الدكتور علي القائمي

تربية الطفل

دينيًا وأخلاقيًا

ترجمة: البيان للترجمة

مكتبة فخراوي





تربية الطفل

دينيًا وأخلاقيًا

بسم اللہ الرحمن الرحیم

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

مكتبة فخراوي: البحرين - المنامة

ت : ٢٣٢٨٤٩ - ٢٧٧٦٤٤

ص. ب. : ١٦٤٣

فاكس : ٥٥٢١٨٢

مقدمة في التربية الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

أول ما نبحثه في هذا الموضوع، هو أن نرىٰ أصل إستعمال عبارة التربية الإسلامية هل هو صحيح أم لا؟ وهل يمكننا التحدّث عن التربية من وجهة نظر إسلامية أم لا؟ إنّ الإجابة علىٰ هذا السؤال تتوقف علىٰ التصوّر الذي نحمله عن الإسلام، فيجب أن ـ نرىٰ ـ أولاً ما هي النظرة التي نحملها تجاه الإسلام؟ وما هو تقييمنا له كدين وعقيدة؟

فالإسلام ـ كما نراه ـ شرعة إلهية حضارية، أو دين له نظام شامل ينطوي علىٰ كلّ الأبعاد والآفاق الخاصّة بحياة الإنسان، وله رأيه في جميع الجوانب الإجتماعية لحياة الإنسان الإقتصادية والسياسية والثقافية، سواء المعنوية منها أو الأخلاقية، وهو يقدّم لنا نظرية في الحقل التربوي باعتباره واحداً من شؤون الحياة الإنسانية بل إنّ عماد الإسلام هو التربية، وإنّ الإسلام دين التربية وبناء الإنسان. نعم إنّنا لو اعتبرنا الإسلام ديناً الٰهياً كاملاً وخاتماً للأديان، فسنرىٰ أنّ بإمكان تعاليمه أن تقدّم آراءً جديدةً في جميع آفاق الحياة، سواءٌ المتعلّق منها بالماضي أم بالحاضر والمستقبل؛ ومن جملة ذلك الجانب التربويّ ايضاً.

النظام التربوي في الإسلام

يرىٰ المتخصّصون في الدراسات الإسلامية، إنّ للإسلام نظاماً في جميع الشؤون السياسية، والثقافية، والإجتماعية، والإقتصادية، وحتىٰ المعنوية والأخلاقية. ومقصودنا من النظام- هنا- هو مجموعة التعاليم، والتوجّهات المنسجمة مع بعضها في طرح المواضيع المختلفة وأحد هذه النظم، هو النظام التربوي، وهو-كما نراه نظاما بنّاءً سواءً في البعد الفردي، أو البعد الإجتماعي، إذ يتمكن الإنسان في ظلّه من بناء ذاته، وتزكية نفسه. أمّا في البعد الإجتماعي فهو (الإسلام) كفيل بتربية الأفراد الصالحين، القادرين علىٰ العيش سوية في منتهىٰ الوئام، والسلام، والإستقرار، والتعاون، والتكافل. ويتّسم هذا النظام بسعة النظر، والرؤية الكونية الراقية، وبشكل لم يهمل أيّ شأن أو بعد من شؤوٰن الحياة الإنسانية وأبعادها الكثيرة، أو يقصّر في بيان جانب من جوانبها.

ملامح هذه الرؤية الكونية:

نجد فيالنظام الفكريالإسلامي سعة نظر فريدة
من نوعها ونستشفّ منها ما يلي:

١ ـ إنّ هذا العالم بكل عظمته وسعته، هو خلق اللّٰه وملك يده.

٢ ـ إن الطبيعة بكل أبعادها وجوانبها، هي كتاب الخلقة الواسع.

٣ ـ إنّ حركة ومسار جميع الظواهر والتفاعلات قائمة علىٰ نظام العّلة

والمعلول.

٤ـ إن الإنسان مخلوق لذلك الخالق، وهو أفضل من كثير من المخلوقات.

٥ـ وبما أنّه يشكل حلقةً ضمن هذا النظام، يتوجب عليه القيام بالسعي، والتحرّك الهادف.

٦ـ وهو أيضاً مكلّف وملزم ببناء ذاته، وبناء الآخرين.

٧ـ ملتزم بالتدبّر والتعمّق في الأُمور، والأَخْذ بما ينفعه وينفع مجتمعه.

٨ـ له أبعاد عديدة في هذا الوجود، وكلٌّ واحدٍ منها مصدرٌ لكثير من الخيرات له وللمجتمع.

٩ـ إنّه ليس موجوداً مادّياً محضاً، بل فيه نفحة من روح اللّه.

١٠ـ ليس له القدرة علىٰ تسخير كل ما في السماء وما في الأرض.

١١ـ بميسوره التّسامي الىٰ ما لا نهاية.

١٢ـ لا تنحصر حياته علىٰ هذه الدنيا، بل تمتدّ الىٰ العالم الآخر.

١٣ـ بإمكانه الإستفادة من جميع الظواهر، بشرط أن يسلك طريق التكامل.

١٤ـ إنّ إمكانية التكامل متاحة لجميع الناس، وبدرجات متفاوتة، وعلىٰ عدد الأنفس البشرية.

□ وجهة التربية:

١ـ يُعتبر عمل المعلم في هذا النظام إكمالاً وإستمراراً لعمل وطريق الأنبياء.

٢ ـ إنّ طريق التربية هو نفس طريق الفطرة؛ وإحياؤها يقع علىٰ عاتق المربين.

٣ ـ إنّ التعليم ضروري والتزكية مقدَّمة عليه.

٤ ـ يجب تقويم مسار الإنسان نحو الإتجاه المطلوب، والمطلوب هو ما يرتضيه الشرع.

٥ ـ يجب أن تنصبَّ كلُّ الجهود والمساعي علىٰ توجيه الإنسان الىٰ السير الىٰ اللّٰه.

٦ ـ إنّ عمل المربي هو ترغيب الإنسان بلقاء اللّٰه.

٧ ـ يجب الإهتمام بالعلم، ولكن الموجّه منه فقط والمعمور بالإيمان.

□ في النظام التربوي الإسلامي:

يعترف هذا النظام بدورِ كلٍّ من الوراثة والمحيط، علىٰ حدٍ سواء

فنجد في التعالم الإسلامية تأكيداً واضحاً علىٰ اختيار نوعية الزوجة، الزوجة، ليكون المولود منها خالياً من النواقص الوراثية؛ هذا من جهة، فان التعاليم الإسلاميةِ تؤكّد ومن جهة أخرىٰ علىٰ دور البيئة بالمعنىٰ العام للكلمة، بما في ذلك شروط الغذاء، وظروف المناخ،وأجواء المخالطة، والأوضاع السياسية والثقافية و...الخ والسبب الكامن وراء التأكيد علىٰ أهميّة الوراثة ودور البيئة، هو أنّ التربية السليمة والبيئة الصالحة يمكنها إزالة التأثيرات الرديئة، والعكس صحيح أيضاً، إذ أنّ البيئة الموبوءة يمكنها إلغاء الصّفات الوراثية الإيجابية.

يرىٰ الإسلام إنّ أغلب الصّفات والطّبائع الخُلقية، وكل ما يستوجب

الثواب والعقاب تنتقل من البيئة الىٰ الفرد، وهذا هو سبب أهمية وضرورة بعث الأنبياء وعمل المربّين.

□ مصادر التعاليم التربوية:

إنّ المصادر الأربعة التي سنشرحها تباعاً لا تختصّ بأمر التربية فقط، بل تُعتبر المصدر الوحيد لكافّة التشريعات السياسية والإقتصادية والمعنوية والأخلاقية. ولمّا كان هذا الدين منزلاً من اللّٰه تعالىٰ، والمؤتمن عليه هو النبي(ص)، ومفسّروه هم الأئمة عليهم السلام، وهؤلاءلهم معصومون من الخطأ والزلل، إذن يمكن هنا تحديد تلك المصادر الأربعة للتربية كما يلي:

١ ـ **القرآن**: وهو كتاب اللّٰه، وأوثق سند إسلامي، والمصدر الرئيسي لجميع الأحكام والقوانين، ولايثبت أمام أحكامه حكم أو رإي

٢ ـ **السُنّة**: وتشمل قول وفصل وتقرير المعصوم؛ ودورها بالنسبة للقرآن هو دور التفسير وطرح المصاديق.

٣ ـ إجماع صلحاءالأمّة من الفقهاء العارفين بمصادر السُنّة، والمعروفين بصدق القول والسداد، بشرط أن يطرحوا من الآ رإ ما لا يعارض النص والسُنّة، وأن تتّفق آراؤهم بالإجماع حول حكمٍ ما.

٤ ـ عقل الصالحين والأخيار وأهل الخبرة والفقهاء، بشرط امتلاكهم الأُسس والمبادئ المستمدّة من القرآن والسُنّة

□ موضوع التربية:

موضوع التربية هو الإنسان بكلّ أبعاده الوجودية التي تصفها التعابير

الإسلامية بأنّ عددها بعدد أبعاد عالم الوجود، ويمكن تلخيصها في الأبعاد الثلاثة: البدن، والروح، والذهن.

أمّا بشأن الأسئلة المطروحة عن ماهية الإنسان، فهنالك إجابات متعدّدة بهذا الشأن. ويمكن القول عموماً: بأنّه كائن مركّب من المادّة والمعنىٰ، منشأه ترابي، وفيه نفحة ربّانية؛ له أبعاد علوية وسفلية؛ قابل للتغيير؛ ولديه استعداد لتحمّل المسؤولية؛ ملتزم؛ بإمكانه الوصول الىٰ ذروة الكمال؛ وفيه بذور القدرة علىٰ الحياة الفردية والجماعية؛ لديه عقل وشعور؛ ويمتلك القابلية علىٰ التفكير والإرادة، والقدرة علىٰ اتّخاذ القرار؛ مهيّأ ومهيئ للتسامي والتسافل علىٰ حدٍ سواء؛ وخلق من ماء وتراب وفيه طبائع من كلا المادتين؛ كائن عجول وحريص؛ إذا مسّه الشر جزوع؛ منّاع للخير؛ بخيل؛ طمّاع؛ طويل الأمل؛ له ابعاد غريزية؛ متمّرد وطاغٍ ... الخ.

نُفخ فيه من روح اللّٰه، وعلىٰ هذا الأساس ففطرته مجبولة علىٰ معرفة اللّٰه وحبّ الخير والإحسان، والتقوىٰ والإيثار، والعدالة والتضحية، والآفاق الملائكيّة السامية.

□ بذور التكامل في الانسان:

إنّ بذور التكامل متوفّرة في الانسان علىٰ الصعيدين الجسدي والروحي. فعلىٰ الصعيد المادّي خُلق الانسان من تراب وماء، واجتاز مراحل تكامله الواحدة تلو الأخرىٰ، من التراب الىٰ النطفة، ومن النطفة الىٰ العلقة، ومن العلقة الىٰ المضغة، ثم نشوء العظام في المضغة، ثم اكتسائها باللحم... الخ، حتىٰ يصير إنساناً كاملاً.

وعلىٰ الصعيد الروحي يمكنه إستثمار ما يتهيأ له من أدوات التربية من قبيل الأُذن والعين، والفهم والإدراك، والحواس الظاهرة والخفية، والإستفادة والتعبير، حتىٰ يمكنه أن يبلغ بذلك درجةً أسمىٰ من الملائكة، فيدرك مقام القرب ويفوز بلقاء الرب.

وعلىٰ صعيد تكامله الجسدي فتتوفر مستلزماته الخاصة به ايضاً، فهو يتحول من التراب الىٰ النطفة حيث يدخل عالمه المحدود في رحم الأُم، ثم ينتقل من هناك الىٰ رحم الدنيا، ثم يُولد بعد الموت من جديد ويدخل عالم الآخرة ويرجع الىٰ الله .

يتلخّص عمل المربّي في توفير الوسائل والإمكانيات التي تتيح له السير في هذا الطريق، ومن ثم تقويمه بالإستفادة من الوسائل والسُبُل المختلفة، ومن خلال إستخدام مختلف الفنون والأساليب.

□ في تربية الإنسان

للإنسان ثلاث صفات وخصائص:

١ ـ الصفات الذاتية: المنبثقة عن الخلقة والوراثة، وهو ليس مسؤولاً عنها.

٢ ـ الصفات والخصائص التي اكتسبها طوعاً واختياراً أو عن طريق تهيئة مستلزماتها، وهو مسؤول عنها.

٣ ـ الصفات والخصائص التي اكتسبها لا إرادياً من البيئة التي يعيش بها، وهو ملزم بتهذيب نفسه من رذائلها، والتحلي بفضائلها.

إن الإنسان مسؤولٌ في جميع الأحوال عن نفسه وعن إصلاحها كمسؤولية الوالدين والمربين تجاهه. ويجب أن يُفرض أمر التربية عليه فرضاً، لأن إفتقاره للتربية يجعل منه إنساناً لا أُبالياً، بل وفي ذلك خطورة عليه، وما أكثر المخاطر والعواقب الوخيمة المترتبة علىٰ إنعدام التربية.

□ العوامل الداخلية المساعدة علىٰ التربية:

هنالك عوامل داخلية متعددة تساعد المربين والمسؤولين علىٰ تربية الأشخاص. بعض هذه العوامل يتعلق بذات الشخص، وبعضها الآخر له علاقة بالمربي.

ويمكن إستعراض نماذج من تلك العوامل كما يلي:

١ ـ الأرضية الفطرية أو الفطرة السليمة، وتمتاز بالشفافية والقرب من

مصدر الفضائل.

٢ـ حب الأستطلاع ووجوده في نفس الإنسان فطري، وبإعتقاد البعض غريزي.

٣ـ حب الذات وهو ما يدفعه لكسب كل منفعة لنفسه.

٤ـ الرغبة في الرُقيّ، وهي رغبة نابعة من حبّ الذات وفيها مصلحة كبرىٰ له، فهي تدفعه دوماً الىٰ التطور والتكامل.

٥ـ حبّ العدل، وكره الظلم والظالم، والتعاطف مع المظلوم، والرغبة في التضحية والإيثار، وطلب الحق...الخ.

□ علىٰ من تقع مُهمة التربية؟

من البديهي أن التربية حق من حقوق، الطفل والتهاون فيها تقصير بحقّه، وقد وردت روايات وأحاديث عديدة تؤكّد صحة هذا، المعنىٰ، ولكن علىٰ من تقع هذه المسؤولية؟ وقبل الإجابة علىٰ هذا، السؤال ينبغي أن نعرف أولاً لمن تعود ملكية هذا الطفل؟

ـ الطفل ليس ملكاً للدولة كما يصرّح بذلك أنصار الفكر الشيوعي.

ـ الطفل ليس للمجتمع كما يعتقد أنصار الإشتراكية.

ـ الطفل ليس ملكاً للوالدين، لأنه لا يحقّ لهما إستخدام ما يشاءان من أساليب التربية.

ـ والطفل ليس ملكاً لنفسه حتىٰ يستطيع إتّخاذ أيّ قرار بشأن نفسه وكما يحلوله.

يُعتبر الطفل من وجهة نظر الإسلام ملكاً للّه، وهو أمانة بيد الدولة

والمجتمع والناس والوالدين ونفسه، وتقع مسؤولية تربيته وتوجيهه الوجهة السليمة علىٰ الوالدين أولاً، ثم عليه هو شخصياً،وواجب الدولة والمجتمع هوتقديم الخدمات له في سبيل تكامله. فلا يستساغ قتله، أو معاقبته، أو سجنه الا في أطار القانون والمعايير الدينية؛ ومعنىٰ ذلك عدم جواز إتخاذ أيّ قرار بشأنه.

□ إستمرار حقّ التربية:

حق الطفل في التربية أمر مقطوع به، وإداؤه من قِبَل الأبوين واجب، وتقع على عاتق أفراد المجتمع مسؤولية بناء شخصيّته. فإن تنصّل الوالدان عن أداء مهمّتهما، فعلىٰ الفقيه العادل أخذه منهما، وانتداب جهة أخرىٰ لأداء هذه المسؤولية.

وعلىٰ هذا، فأمر التربية لا ينحصر في الوالدين والمدرسة بحيث يربّيان الأطفال كيفما اتّفق، بل انّ للحكومة الإسلامية رأياً في ذلك، وبإمكانها أن تفرض نوعاً من الإنسجام بين ما هو كائن، وما لا ينبغي أن يكون.

يتواصل حق التربية حتىٰ سنّ ٢١ عاماً، وتتحوّل مهمّة البناء من بعد ذلك اليه هو شخصياً، وتقع علىٰ الآخرين وحتى الوالدين مسؤولية الإشراف والتوجيه.

وبناءاً علىٰ هذا، فإنّ الرقابة التربوية تمتدّ من لحظة ما قبل الولادة، ومن فترة نشوء الجنين حتىٰ نهاية العمر.

□ الزامية التعليم والتربية:

وعلىٰ هذا الأساس يمكننا الإدّعاء: أن للتربية والتعليم طابعاً إلزامياً في الإسلام بل هما أمران واجبان. وتشير الروايات الإسلامية فيمجال التربية الىٰ أن من حق الإبن علىٰ الأب أن يُحسن إختيار إسمه، ويُحسن تربيته، ويعلّمه القراءة والكتابة والقرآن.

ونحن نعلم أن مسألة حق الإبن عندما تُطرح علىٰ الأب، وهذا ما يشعر بالإلزام، ووجوب أداء الدين. فعدم رعاية هذا الدين تعني العقوق من قِبَل الوالدين، فالأحاديث الشريفة تقول إنه كما يعقّ الأبناء، كذلك يعقّ الآباء. ووردت في الشّرع الإسلامى روايات كثيرة تحثّ بل وتأمر بطلب العلم وتعلّم كل ما هو ضروري، وهناك حديث مرويّ عن المعصوم(ع) إنه قال: «لوددْت أنّ أصحابي ضُربت رؤوسهم بالسياط حتىٰ يتفقّهوا» وكلّ هذا يدلّ علىٰ الوجوب والإلزام في أمر التربية.

□ الأهداف العامة للتربية:

المقصود من كلمة الأهداف هي النقاط التي ينبغي الوصول اليها.

ويتلخص واجب المربي في الأخذ بيد الطفل حيثما هو كائن وإيصاله الىٰ حيث النقطة التي نطمح اليها. وتتباين هذه الأهداف حسب تباين زوايا النظر، فالنظرة الإسلامية ترىٰ إن هدف التعليم إنقاذ الفرد من الجهل، وهدف التربية توعيته وخلق روح الرفعة لديه لغرض سوقه نحو التكامل،

وإيصاله الىٰ مقام العبودية، أي ان
يصبح عبداً صالحاً.

هدف التربية إنقاذ البشرية من الظلمات، والرّبط بين الأبعاد المادّية والمعنوية وبين الدنيا والآخرة وإيصال الإنسان الىٰ الكمال اللامتناهي، وتهدف التربية من جانب آخر الىٰ اعداد الإنسان الىٰ العيش والإستثمار التامّ والصحيح لجميع النعم الموجودة في هذا العالم، والإستعداد اللازم لاستمرار الحياة في العالم الآخر. إن بناء الفرد وتوجيهه الوجهة الصحيحة للحياة يتطلب توفير مستلزمات المجاهدة، لأجل تطبيق قانون الحق، وتوجيه سفينة الحياة في هذا البحر المتلاطم وإيصالها الىٰ ساحة السعادة. وعلينا أن نجعل منه إنساناً قادراً علىٰ تحمل المسؤوليات الفردية والجماعية، وحثه علىٰ إداء واجباته، وخلق الثقة فيه بنفسه، وجعله يدرك الأمور ويشعر بها و...الخ

أما بشأن إعداده لمواصلة الحياة في العالم الآخر، فالغرض منه الوصول الىٰ روح الحق الحاكمة علىٰ الكون، وعليه ان يدرك في مسيره هذا بأنَّه **﴿كل امرىءٍ بما كسبَ رهينٌ﴾ ﴿وأن ليسَ للإنسان إلّا ما سعىٰ﴾**[1]، وإنه مسؤول عمّا اكتسب إختياراً، وإن التكليف الذي يفرض عليه منوط بمدىٰ قدرته و...الخ.

وعليه أن يدرك ايضاً ما هو سرالحياة، ليفكّر ويتأمّل في مسائل هذه الدنيا، وليعلم أنّ خلق السموات والأرض لم يكن عبثاً بل كان لحكمة، وأنَّ

(١) (٣٩ النجم)

في خلق هذه الظواهر ﴿لآياتٍ لأُولي الألباب﴾[1] . ولا شك انّ بلوغ الأهداف يستلزم تهذيب الغرائز وتوعية القلوب، والإلتفات الىٰ أهميّة القيم الحقّة و...الخ.

□ تقسيم الأهداف:

يمكن تقسيم الأهداف التربوية من جهة.. الىٰ أربعة أقسام وهي:

الأهداف التي تخصُّ ذات الإنسان، والأهداف المتعلقة بخالقه، والأهداف المتعلقة بالناس، والأهداف المتعلّقة بالكون بالمعنىٰ العام للكلمة.

١ ـ فالهدف الخاص بالإنسان، غرضه معرفة النفس وبناؤها وفقاً للمعايير الدينية، وبالشكل الذي يضمن تحرّكها صوب الكمال والنضوج.

٢ ـ أمّا الهدف من معرفة الخالق، فهو العبودية له، والإستقامة لأجل تكامل الإنسان.

٣ ـ أمّا فيما يخصّ الهدف التربوي من العلاقة مع الناس فهو لغرض إقامة العلاقة السليمة والبنّاءة معهم، بحيث تنبثق عنها حركة عامة لغرض المسير نحو الهدف.

٤ ـ أمّا العلاقة بالكون، فالهدف منها إيجاد نوع صحيح من التعامل مع الكائنات الموجودة فيه من حيوان ونبات والإستفادة منها في طريق تكامله.

ومن جهة أخرىٰ يمكن تقسيم الأهداف علىٰ النحو التالي:ـ

---

(١) آل عمران ١٩٠.

١ ـ الأهداف الدينية، والغرض منها الإنشداد الىٰ اللّٰه تعالىٰ والمعاد والأنبياء والملائكة والكتب السماوية، والإيمان بها جميعاً.

٢ ـ الأهداف الأخلاقية التي تسعى لبناء الإنسان إستناداً الىٰ التعاليم الدينية، وإحياء فطرته، وتعويده علىٰ الفداء والتضحية والتقوىٰ والعفّة والإخلاص والوفاء.

٣ ـ الأهداف السياسية التي تستند الىٰ الحرّيات المشروطة في إطار الضوابط القانونية وإيجاد التابع أو المتبوع الصالح.

٤ ـ الأهداف الإقتصادية، ومهمّتها التأكيد علىٰ الإنتاج السليم والمشروع والتوزيع العادل، واستثمار الظروف المتاحة، واجتناب الإسراف والترف.

٥ ـ الأهداف الإجتماعية: لقد أكّد القرآن علىٰ ضرورة إقامة علاقات صحيحة بين الناس مبنية علىٰ أسس التعاون والمودّة والتكامل، والأغراض الإجتماعية السامية.

٦ ـ الأهداف الثقافية: وتركّز علىٰ التعليم والتعلُّم، وإحياء السنن الأصيلة وإبرازها، وتؤكد أيضاً علىٰ الفن الذي يخلق الوعي لدىٰ الأُمة، والأدب الهادف البنّاء.

□ الفرديّة أم الجماعية في الأهداف:

لا يستند المذهب التربوي في الإسلام علىٰ أصالة الفرد، ولا علىٰ أصالة المجتمع، بل يستند علىٰ أصالة الفرد الممزوجة بالمجتمع، فهو يؤكّد من جهة علىٰ أصالة الفرد إنطلاقاً من الإيمان بأنَّ ﴿**كُلُّ امْرِءٍ بِمَا كَسَبَ**

رَهِينٌ﴾[1]، وأن احداً لا يحتمل وزر غيره، ولا يُعاقبُ أحدٌ نيابةً عن سواه . فالإنسان مسؤول عن ذاته وهو علىٰ نفسه بصير. ويؤكّد من جهة أخرىٰ علىٰ أصالة المجتمع إنطلاقاً من النظرة الإسلامية التي تؤكّد أنّ أفضلية الأمة رهينة بخدمة الناس.

فالناس مكلّفون بالتعاون علىٰ البر والتقوى ومأمورون بالتعاون مع أبناء دينهم الذين يعتبرهم الإسلام بمثابة الإخوة، ومأمورون أيضاًبالعدل والإحسان الىٰ أتباع الأديان الأخرى،إذ يعتبرون نظراء لهم في الخلق. ففي الوقت الذي تبدو فيه أغلب التشريعات الإسلامية فردية، فهي ذات طابع إجتماعي،كالصلاة والصيام، والحج، والجهاد، وصلة الرحم، والإحسان الىٰ الجار، والأخوّة، والنصح والإرشاد، ... وأمثال ذلك، ويجب أن تؤكدالتربية علىٰ هذه الجوانب.

□ قائد أم تابع؟

والكلام هو: هل أنّ التربية تخلق القائد أم المقود؟ والجواب هو: أنّ التعاليم الإسلامية تؤكد علىٰ أنّ الناس كلهم منقادون للأحكام الإلٰهية، وللسبل التي إختطّها الأنبياء، ولكن يتحمّل كل شخص فيه من المسؤولية بما يتناسب ومقدرته، فهذا يعمل معلماً، وذلك قائداً، والثالث خبازاً، الىٰ آخر ذلك من المهامّ والوظائف. فالجميع تابع لحكم اللّٰه تعالىٰ، ولا أفضلية لأحد علىٰ آخر.

---

(١) الطور: ٢١.

ولا أحد فوق القانون، ولا يمكن أن يدّعي لنفسه في القانون أكثر، من الآخرين. فالحكم لله وحده، والقانون صادر عنه وحده لا عن سواه، والكل منقاد له، فواحد يؤدى دور الحاكم، والآخر دور المحكوم، وهذه من المزايا الفردية للتربية الإسلامية.

□ لليوم أم للغد؟

والبحث هو: هل إننا نربّي الفرد لهذا اليوم أم للغد؟ وهل نركّز في موضوع التربية علىٰ الحاضر أم علىٰ المستقبل؟ فكما نعلم إنّ الكثير من الأنظمة تسعىٰ لفرض كثير من المصاعب الشاقّة علىٰ الطفل، ليتنعّم في المستقبل بنِعَم الحياة. وقد يتبادر هذا السؤال الىٰ ذهن كلّ متأمل،وهو: اذا لم يصل الفرد الىٰ المرحلة المطلوبة من النفع، ارق الدنيا، فما هو موقفنا أزاءه في مثل هذه الحالة؟ وانطلاقاً من هذه الرؤية فإنّنا نعتقد أنّ السنوات التي تمّر علىٰ الطفل والصّبي تعتبر جزءاً من عمره، وينبغي له التمتع بها في حدود الضرورة والإمكان. ومعنىٰ ذلك:كما أنّ التمتع بالحياة ضروري، فإنّ إعداده الجيد ضروري أيضاً، وبعبارة أخرىٰ أن لا نأخذ اليوم بنظرالإعتبار فقط ونتجاهل الغد، أو علىٰ العكس أن نهتم بمستقبل الطفل ونهمل حاضره.

□ إتّجاه التربية وأبعادها:

للتربية إتجاه واضح وهو الكمال، ولها أبعاد تشمل كل جوانب الحياة، ويجب أن يوجد إتصال بين ابعادهالوجودية؛ لأنّنانهدف في التربية الإسلامية الىٰ إقرار نوع من العلاقة بين الفكر والمادّة، والعقل والمشاعر، والدين والدنيا، واللذة والألم، والظاهر والباطن، والمادّية والمعنوية. فلا يتنامىٰ جسم الإنسان وعقلُه باقٍ يراوح في مكانه ولا يتضخّم ظاهره ويظل عقله صغيراًتافهاً.

فالتربية يجب أن يمتدّ ظلها ليُطّي كلّ أبعادالإنسان، فينمو العقل بنفس النسبة التي تتنامىٰ فيها المشاعر، وكما يكبر البدن ترتقي معه الروح أيضاً. والمهم أن يتغذىٰ العقل بمعرفة اللّٰه تعالىٰ،لكي لا ينحرف عن الخير والصلاح، ولا يقع في مهاوى الشر، وإن لا ينفصل العلم والإيمان عن بعضهما، لأنّ إنفصالهما ينطوي علىٰ مخاطر جمّة.

لا انفصال في التربية الإسلامية بين الجسم والروح، فلا يمكن التحدّث عن الحياة المادية بمعزل عن النفس، ولا يمكن إقامة أيّ وزن لهذه الدنيا فيما لو فُصِلَ عن للآخرة، ولا قيمة للآخرة من غير وجود الدنيا.

□ علىٰ طريق بلوغ هذه الأهداف:

من الضروري أن يكون هنالك تعادل وتوازن في تربية جميع تلك الجوانب لأجل بلوغ تلك الأهداف، فيجب تدريب العقل علىٰ الدليل

والبرهان في نفس الوقت الذي يُربّىٰ فيه الجسم بالطعام، وندربه علىٰ الرياضة. وكذلك جوانب الحياة الأخرىٰ ينبغي أن تحظىٰ بنفس الإهتمام والرعاية. فالتفكير يقودنا الىٰ التوغّل فيأسرار الوجود وكشفها ـ ويمكن تربية بقية القوىٰ بشكل متعادل عن طريق التأمل في عالم الخلق وفي حياة الكائنات الحيّة، وفي إرتفاع السماء، واستواء الأرض.

عندما يترعرع الطفل ويكبر تتّسع لديه الجوانب المعنوية بالتدريج، ويبدأ التفكير في موضوع الخالق،نحثه بين سن ٦ ـ ٧ سنوات علىٰ الصلاة ونعلمه الركوع والسجود، وعند نهاية السنة السابعة من عمره نعلمه غسل الوجه واليدين تمهيداً لتعليمه الوضوء، وأخيراً نعمل علىٰ تنظيم كل الحياة المادية والإجتماعية بشكل يتيح لنا أن نطرح من خلالها الحياة المعنوية.

◻ محتوىٰ التربية:

القضية التي يجب إن تبحث هنا، هي ماهية المواضيع التي يُفترض بنا تعليمها للطفل في سبيل تربيته بالشكل الصحيح، وما نوع المواضيع التي يجب علينا تدريسها إيّاه؟ ويستنتج من دراسة الفكر الإسلامي وجوب تعليم الطفل مجموعة من الأمور التي تنفعه في الكبر،وهي في نفس الوقت تدعونا للتأمل في الأبعاد والجوانب التالية:ـ

١ ـ اهتمام الإسلام بالأهداف التربوية، ووجوب معرفة ماذا يجب تعليمه للطفل.

٢ ـ إنّ الإسلام يحثّ علىٰ طلب العلم في أيّ مكان، وعلىٰ يدِ ايٍّ كان، ومن المهدِ الىٰ اللحد.

٣ـ إنّ الإهتمام بتربية الجيل الجديد لا يقتصر بالضرورة علىٰ نفس الأساس الذي وفقه الوالدان.

٤ـ الإستعداد للدفاع عن النفس والمجتمع،وكذلك عن الدين، وبأفضل وجه ممكن.

٥ـ يؤكّد الدين علىٰ ضرورة استثمارنِعَم الحياة المتاحة أمام الإنسان، وكل ماهومتوفّر في عالم الوجود.

٦ـ الإرتباط مع الخالق من باب الحمد والثناء والعبودية،له وبهدف بلوغ مرحلة الكمال.

٧ـ الإطلاع والمعرفة بالتعليمات والضوابط اللازمة لاستمرار الحياة الفردية والجماعية؛ وعلىٰ هذا فإنّ محتوىٰ التربية يشمل جميع المسائل والمجالات التي نحتاجها في حياتنا اليومية، ولا تناقض في هذا المحتوىٰ مع رؤية للجوانب المختلفة. فالطبيعة ـ وهي كتاب اللّٰه الواسع ـ لا تتعارض مع كتابه المنزل، ولا مع سنته، ولا تنطق بما يتناقض معه. ولا يلاحظ أيّ تنافر مع الهدف، أو الإتجاه المؤدياليه، وبرامجه يكمّل أحدها الآخر طولياً لا عرضياً.

□ أسلوب التربية:

نقصد من الأُسلوب مجموعة المساعي والوسائل والأدوات التي تساعدنا علىٰ الوصول الىٰ الهدف، وتعجّل من سرعة عملنا. ويتناول هذا الموضوع بحث النقاط التالية:ـ

١ـ أسلوب التعليم الذي يقوم علىٰ اساس: الإيحا والتلقين، والمشاهدة

والدراسة، والتفكر ولتعقّل والتدبّر،والتجربة والتكرار، ويستفاد في كل ذلك من الوسائل والأجهزة السمعية والبصرية.

٢ـ أسلوب التربية، ويشمل جانبي بناء النفس وإعادة صياغتها من جديد.

ويجب أن يُراعىٰ في تربية الطفل بناؤها علىٰ الضوابط المدروسة من بداية الحياة حتىٰ نهايتها.

يفترض في إعادة بناء الشخصية أنّ الطفل قد سلك طريقاً تربوياً خاطئاً، وأنّ الضرورة تفرض الآن هدم بنائه السابق وإعادة صياغته من جديد.

٣ـ الفنون والأدوات المستخدمة في التربية تؤدّي الىٰ تسهيل أمر التربية من جهة، وتشكّل من جهة أخرىٰ نوعاً من السيطرة والضمان التنفيذي للبرنامج التربوي.

□ الفنون والأدوات التربوية

يمكن الإشارة هنا الىٰ الكثير من الفنون، ويتمثّل أهمّها في ما يلي:ـ

١ ـ الإيحاء من قِبَل شخص الىٰ شخص آخر.

٢ ـ طرح القدوة والمثَل الذي ينشده الإسلام.

٣ ـ التلقين، وهو في الحقيقة تذكير من والىٰ الذات.

٤ ـ التفكير والتعقّل والتدبّر في الأُمور.

٥ ـ المشاهدة العينية،والتجربة، والإبصار، والسمع، واللمس، والتذوّق، والشم، والإستدلال، وسرد القصص، والتشجيع، والإستحسان، والتقدير، واللوم، والتنبيه، والتهديد، والسير في آفاق النفس، والبرهان، والمنطق، فيستخدم بعض هذه الفنون في الجانب التعليمي، وبعضها في الجانب

التربوي، ويستخدم القسم الآخر منها في كلا الجانبين وبما يتناسب مع واقع الحال.

ولايفوتنا ذكر بعض الجوانب الأخرىٰ المفيدة في هذا السياق من قبيل المعاشرة والصداقة، والأمر والنهي، والإنتباه الىٰ ظواهر الأمور وفوائد ذلك، والعادة والنصيحة، والإنذار والتنبيه، وما شابه ذلك.

□ مبادئ تربوية:

هناك مجموعة مبادئ يجب تطبيقها في تربية الطفل، وأهمّها:ـ

١ ـ مبدأ المحبة، وعلىٰ أساسه يقوم العطف والحنان.

٢ ـ مبدأ التشجيع: يخلق لدىٰ الأفراد دوافع السعي والحركة.

٣ ـ مبدأ القيد الذاتي، حيث لا ينبغي أن يرىٰ الطفل نفسه حُراً في ممارسة أيّ فعل من غير أن يأبه لأيّ شيء.

٤ ـ مبدأ الإعتدال الذي، يلزم الإنسان تجنُّب التطرُّف والتفريط.

٥ ـ مبدأ الحرية، بشرط أن تكون مقيّدة وغير متحللة.

٦ ـ مبدأ تهذيب البيئة الإجتماعية: لأنّ مايراه الفرد وما يسمعه في البيئة الإجتماعية له آثارهُ الفاعلة في نفسه.

ولكي تأخذ تربية الجيل دورها المطلوب والمؤثر، يصبح من الضروري ضبط ومراقبة القصص، والتمثيليات، والفنون، والآداب، والمسرح، والأمثال المتداولة في المجتمع. وأن نهتم أيضاً بتعديل الغرائز ونحول دون تضخيمها أو التقليل من شأنها؛ فلغريزة الطعام والجنس والغرائز الأخرىٰ أيضاً ـ كحبّ الذات ـ مكانتها، ولكن يجب أن تكون في وضع معقول.

□ المسير بين قطبين:

يفترض في التربية أن تجعل الإنسان يشعر وكأنّه سائر بين قطبي الإفراط والتفريط، والسلب والإيجاب، والخوف والرجاء، والمادة والمعنىٰ، ولا يعني الإعتدال سوىٰ هذه الحالة. ولو ألقينا نظرة علىٰ الأُسلوب التربوي في القرآن لأدركنا وجود نفس الحالة التي ذكرناها. فنجد آيات العذاب والعقاب في جانب، وآيات الثواب في جانب آخر. ونلاحظ أنه يُشعِر الإنسان بالعجز والقنوط من جهة، ويُحذرّه من اليأس من جهة أخرىٰ. ويطرح مسألة النعيم في كفة ومسألة الجحيم في الكفة الأُخرىٰ، ويتحدّث في مكان عن سقاة الشراب في الجنّة وفي موضع آخر عن مالك خازن النار. ويُشير في جانب الىٰ وجود ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[1] وفي جانب أخر الىٰ ﴿لا مَرْحَباً بِكُمْ﴾[2].

هذه المسألة مهمّة، ويجب أن توضع موضع الإهتمام عند تطبيق تلك الأساليب.

فمثلاً يجب أن تؤخذ بنظر الإعتبار في العقوبة والتشجيع، وعند ملاطفة الطفل ومداعبته، وفي حالة مراقبته وضبط حركاته وتصرفاته، وحين منامه وطعامه، وفي جميع أُموره الأُخرىٰ.

---

(١) الزمر ٧٣.
(٢) ص ٦٠.

□ علىٰ طريق تطبيق تلك الأساليب:

إنَّ تطبيق هذه الأساليب لأجل بناء كيان الطفل يستلزم مراعاة هذه النقطة: وهي علىٰ الوالدين والمربين كسب المعلومات الكافية في هذا الميدان، واختيار الأهداف والأسلوب الواضح في التربية، بحيث يتعوّد الطفل علىٰ معرفة الموقف الذي يتخذه في مقابل أساليبهم وتصرفاتهم.

ومن جهة أخرىٰ يجب توفير مستلزمات التسلية، أو الوسائل التي ينشغل بها الطفل من الصباح حتىٰ المساء، وملء أوقات فراغه بشكل مفيد؛ لأن الفراغ يولد لديه الضجر ويحمل بين طياته الكثير من المخاطر.

ومن جهة ثالثة يجب أن تكون تسليته وانشغاله من النوع الذي يمهد له السبيل لمواصلة العمل، ويعدّه لحياته المستقبليه، من أمثال الألعاب، وسرد القصص، وذكر الله والمطالعة، والتفكير، والعلاقات الإجتماعية البنّاءة، وتبادل الزيارات، والهوايات، والإهتمامات الأخرىٰ، والترفيه، والإنشغال بالأعمال المنزلية، واللعب بالأدوات والوسائل التي تقوّي في الفرد روح البناء والإبتكار، وتعينه علىٰ بلوغ هذه الأهداف.

□ التربية والتباين:

لا يختلف إثنان في أَن الناس متباينون مع بعضهم في جوانب شتىٰ، وأن أفضل النظم التربوية هو ذلك النظام الذي يأخذ كل ذلك التباين بنظر الإعتبار. لقد أدركنا من خلال التجربة والعمل أن درجة تعلم الناس لا

تقاس بميزان واحد، ولاهم يتقدمون بنفس الدرجة، إذن فالقابليات والإستعدادات يجب أن تؤخذ بنظر الإعتبار، وانطلاقاً من هذه الرؤية، إذن فالتربية ذات طابع فردي وهذا هو نفس التباين الذي يفرض علينا القول بأن هنالك إختلافاً بين تعليم البنين وتعليم البنات في نظام التربية الإسلامية. وهذا الإختلاف يرتكز علىٰ الجانب الظاهري، وينظرالى المهامّ التي سيتكفّل بهاكل منهما في المستقبل.

لا تداخل في نظام الحياة الإسلامية بين واجبات الرجل وواجبات المرأة إلا في نطاق محدود، فالرجال يجري إعدادهم للعمل والجهد وكسب العيش وتمشية عجلة الإقتصاد، والنساء لتربية الجيل الشجاع والمقتدر من النساء والرجال، والرجل مكلف بإدارة حياة المرأة من أجل الوصول الىٰ الهدف المذكور، وعلىٰ التربية عدم إغفال هذه الجوانب.

إن العالم المتباين للرجل والمرأة في مسائل البلوغ والحمل والولادة وتغذية الطفل وتربيته، وفي الفرائض الدينية يستجلب تلقائياً مثل هذا التفاوت في أمر التربية.

وبشكل عام يجب أن يكون الوضع بحيث لا يشعر أي منهما بالحرمان، وأن يتلقّىٰ كل منهما من التربية ما يتلاءم مع جنسه وسنّه.

◻ تربية المعلّم:

للمعلم في نظام التربية الإسلامية مكانة وإحترام خاص، بشرط أن يكون حائزاً علىٰ الشروط والمواصفات المطلوبة في هذا الحقل. يُستشف من البرنامج التربويالإسلاميإمكانية أخذ العلم عن أي شخص، ولكن بشرط

أن يكون الإنسان في مرحلة من الرشد والنضوج ، أو تحت رقابة وظروف تحول دون وقوعه تحت التأثيرات السلبية.

يمتاز الأطفال عادة بالرغبة العميقة في تقليد الآخرين، وبحساسيّة شديدة في تقبّل التلقين والإيحاء، وتمثيل دور البطولة والتأثّر بالرموز النافذة إجتماعياً، وهذه الخصائص تستوجب القول: إن معلّم الأطفال يجب أن يتحلىٰ بالصفات اللائقة بهذه المهنة، ويجب التركيز بالخصوص علىٰ الجانب الأخلاقي والبناء الأخلاقي. فالمعلمون يسلكون طريق و عمل الأنبياء؛ ولهذا يجب أن تتوفّر فيهم بعض من صفاتهم وخصائصهم، وأن يكون نمط حياتهم، وأُسلوب أقوالهم وأفعالهم، قائماً علىالمعايير والقيم الجوهرية،وهذا يستوجب العمل علىٰ مستويين؛ **الأول:** هو صقل حياتهم الفردية وكل ما يتعلق بحياتهم الخاصة، **والثاني:** هوتهذيب الجانب الإجتماعي من سلوكهم بحيث يكونون نموذجاً يَقتَدي بهم الأطفال.

□ من خصائص التربية:

من الضروري لنا هنا التحدث عن خصائص النظام التربوي في الإسلام، ونشير في ما يلي باختصار الىٰ عدد منها:

١ ـ إن النظام التربوي في الإسلام لا يختص بفئة، أو فرقة، أو بقعة دون سواها، بل هو مشاع لجميع البشر، وفي مختلف أرجاء المعمورة.

٢ ـ إن فترة التربية تمتدّ منذ الولادة وحتىٰ الممات، وهذا الإمتداد المتواصل هدفه إفادة الإنسان من نعم الحياة في عالم الدنيا، وليكتسب بها الوسائل والمؤهلات تي تعينه علىٰ مواصلتها في عالم الآخرة.

٣ ـ إذا كانت نوعية القدوة تعكس توجهات النظام الذي تمثله، فالنبي(ص) والأئمة، والصدّيقون هم القدوات والرموز المطروحة لهذا النظام.

٤ ـ تطهير البيئة من الأوبئة الإجتماعية والأخلاقية، بسبب دورها المؤثر في الحياة.

٥ ـ مراقبة العلاقات والإرتباطات والبيئة الإجتماعية، وهذه من ضرورات التربية ولا مجال لإهمالها.

٦ ـ التربية من موجبات بلوغ الكمال.

٧ ـ تقوم التربية علىٰ اساس العمل وفقاً للواقع الموجود، لكن ينبغي عدم غياب الطموح عن الأذهان.

٨ ـ يُشاد البناء التربوي علىٰ ركائز العلم، والإيمان، والأخلاق، والعمل.

٩ ـ يشمل محتوىٰ التربية جميع المواضيع والمسائل المهمة والمفيدة في الحياة.

□ مُجرّد الأُطروحة أم العمل؟:

لا يقتصر ما طرحناه في حقل التربية علىٰ مجرّد الطرح المثالي، أو ما يسمىٰ بمدينة إفلاطون الفاضلة، بل كلها برامج يمكن تطبيقها عملياً، وإن من دواعي فخر الإسلام في الماضي والحاضر هو تطبيقه العملي لهذه المبادئ علىٰ مدىٰ القرون المتمادية، وفي بقاع مختلفة من العالم رغم الكثير من المعوّقات والموانع التي كانت تعترض علمه. فقد استطاع الإسلام حين أخذ بهذا المنهاج التربوي من إيجاد مجتمع متّحد ومتآخٍ تسوده روح

العدل والمساواة، ويتّسم بالتوازن والتضامن والتكافل الإجتماعي.

ولا نرىٰ اليوم أي مانع يحول دون تطبيق مثل هذا البرنامج، شريطة حرص أولياء الأمر علىٰ تطبيقه، ووضعه في موضع التنفيذ والإهتمام، ويمكنه أيضاً إحتلال مكانته المرموقة في العالم فيما لو تَمَّ نبذ التعصب القومي والعنصري والفئوي من أذهان الناس.

□ الضمانة التنفيذية:

إن الضمانة لتنفيذ هذه الأُطروحة في المجتمع الإسلامي هي الإيمان بالله والنبي(ص) وما أصدره لنا من أوامر وتعاليم، وكذلك من خلال الإشراف العام علىٰ صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمتين الأُسس الإيمانية للناس، وإنارة أفكارهم وبواسطة الإشراف الحكومي عن طريق إجراء القوانين والمقررات، وتطهير البيئة من المساوئ المؤثرة تربوياً، والتجديد المتواصل لصياغة الشخصية الإسلامية، ومن خلال تقديس القانون و... أمثال ذلك.

إن الفطرة المجبولة علىٰ معرفة الله، وتعاليم هذا الدين المنسجمة مع الفطرة هي أيضاً من المحفزات التي تدفع الناس الىٰ تطوير هذه الأهداف وتنفيذ هذا البرنامج.

الطفل والدين

مقدّمة:

عالم الأطفال عالم مثير، وإن مسألة النمو الناتجة عن التغيّرات المنسجمة والمتوالية التي تحصل في جميع مراحل حياة الإنسان تعتبر أمراً أكثر إثارة، فالطفل حينما يأتي الى الدنيا لا يمتلك أية معلومات كما يدور في هذه الدنيا، ثم يبدأ بالحصول على تلك المعلومات تدريجياً، ولكن ماهيّة ذلك التعلّم، والإنفعالات المتكرّرة التي تقع في ذهن أو نفس الإنسان لكي يتعلّم، والتي يمكن إخضاعها للتجربة لا زالت من المواضيع المثيرة أيضاً، ولم يتمكن العلم الحديث من كشف أسرارها حتى الآن.

□ الطفل والدين :

من الأمور المثيرة في عالم الأطفال هي عالمهم الديني والإيماني والإعتقادي. فالطفل مفطور علىٰ معرفة الله بسبب طبيعة خلقه التي تضم نفحة من روح الله، ففي داخله الكثير من الإعتقادات الدينية التي يسعىٰ لقبولها والإقرار بها ومطابقة ذاته معها، بمجرد أدنىٰ تذكير أو تنبيه من الوالدين والمربين، وبمجرد العثور علىٰ مصاديق لها في العالم الخارجي.

لا شك أن مفهوم الدين مفهوم واسع يشمل كل جوانب حياة الإنسان. لكن الطفل يقبل من الدين ما يتناسب مع رغباته، وما هو قائم علىٰ مشاهداته وتجاربه الشخصية.

وعندما يزداد نمو الطفل ونضوجه، وتكثر تبعاً لذلك معلوماته المكتسبة، تتسع دائرة ارتباطه بالدين، وتُمهد أمامه الأرضية لظهور بعض الحالات عليه، والتي يمكن تسميتها بالحالات الدينية، وتبرز بعض ملامحها بين سن ٧ و٨ سنوات وحتىٰ في سنوات أقل في بعض الحالات.

□ بداية ظهور الشعور الديني:

تتوقف نوعية المظاهر الدينية عند الطفل وما يتصل بها علىٰ نوعية تعامل الوالدين والمربين معه. فما أكثر الأطفال الذين يقلّدون المواقف والحركات الدينية التي يؤديها والداهم، وحتىٰ إنهم يقفون الىٰ جانبهم متّجهين نحو القبلة ويؤدون الصلاة، أو أنهم يقلدون حركات والديهم في الدعاء، أو

تلك التي تقترن مع الشعائر الدينية الأخرىٰ.

تُظهر الدراسات التي أجراها علماء النفس بأن موضوع الحس الديـني يظهر في الأشهر السابقة لسن الرابعة، وحتىٰ أنه يلاحظ عند بعض الأطفال بين سن ٢ ـ ٣ سنوات.

ثم يصبح هذا الشعور واضحاً وظاهر مع نمو الطفل وزيادة سنّه، مثلما يلاحظ علىٰ الطفل في سن السادسة من مظاهر دينية ورغبة واضحة في أداء السلوك الديني، وفي مثل هذا السن تبرز لدىٰ الطفل رغبة دينية عميقة، فهو يرغب مثلاً في مناجاة ربّه وإقامة نوع من الإتصال معه، وهذا ما يثير غضب وقلق الوالدين غيرالمتَديِّنين. ومن غير الواضح طبعاً أن مثل هذا الإنـدفاع سيبقى لديه أم لا، ولذا ينبغي الإنتظار لفترة من الزمن لنرىٰ ما تستقر عليه أحواله. إن للدين معانٍ مختلفة بالنسبة للأطفال في سنوات أعمارهم المختلفة، إلاّ أن دنياهم منذ سن السادسة تصبح مليئة بحب اللّه وتعظيمه وإجلاله وحمده والثناء عليه، والشعور بالخجل منه عند أي عصيان لأوامره، وحتّىٰ قد يبرز ذلك علىٰ مظهره، يتزايد في سن الثامنة فما فوق شعوره الديني، وتصبح رغبته أكثر عمقاً؛ وبعبارة أُخرىٰ يُصبح أكثر تديّناً ـ فيحاول القيام بما ينال به رضا اللّه حسب ما يعبر عنه الوالدان والمربّون.

□ مدىٰ فهمه لمعنى الإلٰه:

منذ سن الرابعة تتسع رغبة الطفل في حب الإستطلاع، فيؤدي به ذلك الىٰ معرفة بعض حقائق هذا العالم، وهذه المعارف تفضي به تلقائياً الىٰ البحث عن مبدأ الوجوده والإقرار بوجود اللّه، وهذه المرحلة هي السن

الطبيعية لمعرفة وجود الله،إذ يتكون خلالها الشعور بعدم إمكانية ظهور أي شيء من غير علّة، وهذا الشعور يكون الأساس الذي تقوم عليه كل مواقفه وأحكامه.

فالطفل في سن الرابعة متصل بأبويه، فيعتبر والده كبيراً ومهماً، ويفهم أن الله مثل أبيه أيضاً ولكنه أكبر، وحتىٰ، أنه يرىٰ فيه عضواً من أعضاء عائلته، والأسئلة التي يطرحها الطفل في هذه المرحلة تعكس وتبرهن صحة هذاالإدعاء، ولعله يتصور عند رؤيته لأية صورة جميلة ولكنها غامضة الأطوار وغير واضحة، أنها الله، ويلصق بها صفة المعبود، وغالباً ما يشعر بالإشباع والقناعة من جراء إختلاف هذا التصور.

فحتىٰ سن السادسة يبقىٰ مفهوم الله وصفاته غير متجذّرة في ذهنه، ولكنه بعدسن السابعة يرىٰ فيه قدرة هائلة تفوق أوصاف الوالدين، فيرغب في معرفة قوانينه وأوامره.

صفات الله تفدو وأضحة امامه الىٰ حدٍ ما، لكن بعض أبعاده الأخرىٰ تبقىٰ غامضة لديه، مثل كونه أزلياً وأبدياً.وتجب الإشارة أيضاً الىٰ انَّ إدراكه محصور حتىٰ الآن في نطاق الجوانب المحسوسه لا الأمور الذهنية المجرّدة.

□ إرتباط الطفل بالله:

أظهرت التحقيقات بأن للأطفال في سن الثالثة رغبة قوية في الأدعية والأناشيد الدينية، وينشرحون لها وخاصة إذا كانت مصحوبة بالأصوات الجماعية، ومنذ السنة السادسة من عمر الطفل تبدأ علاقته بالله تأخذ طابع

الكلام والطلب، ولا تفوتنا الإشارة الىٰ أن طلباته في هذه المرحلة ذات صورة مادية كالطعام، ووسائل اللعب، والثياب....الخ.

فهو يتمنّىٰ علىٰ الله أن تمطر السماء واليوم لكي لا يذهب الىٰ المدرسة، أو أن لا تمطر لكي لا تبتل وسائل ألعابه، ويدعو ربّه أحياناً لكي يجعله ولدا طيّباً، أو أنّ يحول دون أبيه كي لا يضربه، أو أن لا يفعل ما يتعارض وإرادة الله

وفي بعض الحالات يكون دعاؤه مضحكاً، فهو مثلاً يحب أباه كثيراً،لذلك يدعو أن يموت بسرعة حتىٰ يذهب الىٰ الجنّة، وهذا النمط من التفكير شائع عند الأطفال في سن ٥ـ٦ سنوات. فيجد في مثل هذه الطلبات والأدعية والأماني وسيلة للهدوء والإرتباط بالله، وكلما تقدم السن إزدادت رغباته وأمانيه من الله.

□ الأماني المستحيلة:

من عجائب عالم الأطفال أدعيتهم التي تفوح بالآمال والأماني المستحيلة التحقيق، فينطلق الأطفال عادةً من الآمال والمثل التي يعتقدون بها، فيتمنون علىٰ ربهم شتىٰ الأماني، ويصرّون أيضاً بشدة علىٰ ضرورة تحققها.

فأحد أُمنياته مثلاً، أن يرىٰ الله، ويجلس الىٰ جانبه، ويتكلم معه، ويصبح صديقاً له، ويطير معه في السماء... الخ. ويتمنىٰ أيضاً أن يصير كالطير، وأن يمنحه الله جناحين ليطير بهما. ويدعو من الله أن لا يموت أبداً، وأن يبقى أبوه وأُمّه أحياء أبداً.

إنّه يعتبر اللّه مظهراً للعدالة، ويرىٰ أن عدالة اللّه لا تصحّ إلا إذا حققت له أمانيه، ولهذا يصبح فعل اللّه في رأيه عرضة للإنتقاد كأن يقول: لماذا لا يعطي اللّه أباه المال الكثير؟ أو لماذا مات أبوه؟ أو لماذا لم يقدم اللّه له هدية إزاء الصلاة التي أدّاها؟ أو ما دام اللّهُ قادراً علىٰ كل شيء فلماذا لا يقضي له حاجته؟

□ فهمه لموضوع الموت:

يبنىٰ تصور الطفل عن ذاته علىٰ أنه سيبقى حياً الىٰ الأبد، ومن الصعب عليه التصور بأنّه سيموت يوماً ما. وتجدر الإشارة الىٰ أن أفكار الطفل، ومعتقداته عن الموت محدودة جداً، ويصعب عليه تصوّر ما حَلَّ بالشخص الفلاني حين سماعه لخبر موته، إلاّ إذا رأىٰ بعينه حالة موته وعملية دفنه، يتعسر علىٰ الأطفال في سن الثالثة إدراك معنىٰ الموت، ويظل حائراً أمام قضية دفن الميت، فينشغل فكره بها وتمر في ذهنه علامات التعجب بالعشرات.

تتضح أفكاره عن الموت في سن الخامسة، وفي مثل هذه السن تقريباً تبرز منه مشاعر خاصّة تجاه موت أبيه أو أمه، فهو عادة يتصور أن الموت أمر خاص بالكبار، وأن الناس يهرمون ثم يموتون، وأمّا فكرة عمومية الموت، وانه ربّما يشمل أحياناً حتى الأطفال والشباب فهي من دواعي الحزن والألم له.

فهمه لموضوع الجنّة والنّار:

ليس لدىٰ الأطفال أي اطلاع عن ماهية الجنة، أو ماهية النار، وهو يتصور بناءً علىٰ ما يسمع أن الجنّة مثلاً حديقة جميلة فيها أنواع المأكولات من الحلوىٰ والفواكه ووسائل اللعب للأطفال، فيمكنه هناك اللعب بالأرجوحة، ويركب الدراجة الهوائية ذات العجلتين، أو الثلاث عجلات، ويمكنه أن يلعب ويمرح ويلهو ويقضي في المكان الفسيح المليء بالأشجار، وأن يلعب لعبة الإختفاء والبحث (الختّيلة)، وحتىٰ يمكنه أن يختفي في مكان لا يستطيعون العثور عليه!!!

وتصوّره عن جهنم لا يتجاوز كونها مشهداً من النار، ولا يتصور مطلقاً بأنه سيُلقىٰ فيها يوماً ما، بل ويتصور بأن في ميسوره أن يحيد عنها، أو يجتازها وينقذ نفسه منها، أو أنه يتحمل حريقها بشكل أو آخر...الىٰ آخر ذلك.

وهو في الوقت نفسه يعيش بعض لحظات الأمل والشوق للجنّة والحياة في أجوائها البديعة، والخلاص من النار. إنّه مستعد لسماع كلام أبيه وأمه من أجل الجنّة، وإذا أدرك أن عدم إطاعة الأُم تؤدى به الىٰ دخول جهنم

فسيحاول إطاعتها جهد الإمكان. ونضيف أيضاً أن الخوف من جهنم يدفعه الىٰ الصدق في القول، وإجتناب الكذب والعصيان، وفي مقابل ذلك يدفعه الطمع بالجنة الىٰ الصلاة والعبادات، والىٰ حّب الله وأبيه وأُمّه. وعلىٰ المربّي أن يتجنب تخويفه من النار قبل سنّ السابعة لأن ذلك يسلبه الأمن والإستقرار.

□ الأسئلة الدينية للاطفال:

أسئلة الطفل الدينية عجيبة، فإنها تنمّ عن حبه للإستطلاع وهو يحاول فهم كل ما هو مجهول بالنسبة له، ومعرفة عالم الدين، وعالم ما وراء الطبيعة. ففي ذهنه الكثير من الغموض والشكوك التي يسعىٰ الىٰ فهمها. ولو تهيّأ له المربّي الجيّد الواعي لأمكن التفاؤل له بمستقبل مشرق.

أسئلة الطفل كثيرة ، وهي تختلف بإختلاف درجة نضجه وفهمه وإدراكه، وتتناسب مع سنّه. نشير فيما يلي الىٰ بعضٍ من تلك الأسئلة علىٰ سبيل المثال لكي يستفيد الأبوان والمربون للإجابة عنها:

١ ـ **في السنوات الست الأولىٰ**: يختلف نوع الأسئلة في هذه السن، حتىٰ عن الأسئلة التي تطرح في سن السابعة، فالطفل في سن ٣ ـ ٤ سنوات يسأل عادة عن مصدر وعلة الأشياء، فهو يسأل مثلاً: منْ أين جئت ؟ من الذي أعدّ وسائل اللعب هذه؟ أين ذهب حسن ولماذا؟ من الذي صنع السماء؟ ولماذا؟؟ هل مات أبي؟ وأين ذهب ؟. الخ وكما نُلاحظ فإنّ بؤرة أسئلته تتركز علىٰ موضوع المبدأ والمعاد. فهو يرغب في معرفة مصدر ومنشأ الأمر

الفلاني، وما هو مصيره؟ وهذا هو الأمر الذي نعتقد بوجوده بشكل فطرى متجذّر في نفوس الأشخاص.

اسئلة الطفل كثيرة، وهي دليل علىٰ مدىٰ تعطّشه، وإن الإصغاء اليها يحتاج الىٰ كثير من الصبر والأناة،يرىٰ بعض الآباء أن هذه الأسئلة تأتي إعتباطاً، ومن غير أساس، أو جذور. ولكن قليلاً من التأمل يُظهر أنها ليست كذلك فالأسئلة تنمّ عن نضج الطفل، وإن إهتمام الوالدين والمربّين واحترامهم للطفل يؤدي الىٰ نضجه دينياً.

٢ ـ **بين سن ٧ ـ ١٠ سنوات:** إعتباراً من سن السابعة فما فوق، يبدأ التفكير المنطقي بالنموّ لدىٰ الطفل، ولهذا تصبح أسئلته أكثر عمقاً. فالأسئلة التي يطرحها عن اللّٰه دقيقة ولا يقنع بالإجابات الساذجة، بل يبغي الحصول علىٰ إجابات غنيّة ودالّة، وقاطعة.

تتلخص أسئلتهم في مواضيع من قبيل: لماذا لا نرىٰ اللّٰه؟ كيف يوجد اللّٰه في كل مكان؟ ما هو اللّٰه؟ إن لم يكن اللّٰه كالسحاب، أو كنور الشمس، فكيف يمكن أن يكون؟ إن كان اللّٰه يُحبّنا فلماذا يُلقينا في جهنّم؟ كيف يُبعث الإنسان يوم القيامة حيّاً؟ وهل نمتلك في القيامة بيتاً؟ إن كنا لا نرىٰ اللّٰه حاليّاً، فهل بالإمكان رؤيته يوم القيامة؟ لماذا لا يكلمنا اللّٰه؟

أسئلة الطفل كثيرة، ولا اِنقطاع لها، وعلىٰ الوالدين والمربّين تقديم ماتيسّر من الأجوبة المقنعة جهد الإمكان. كما أن الأسئلة التي يطرحونها عن الموت والمعاد، والجنة والنار، يجب أن تلقىٰ الإجابات الصادقة بعيداً عن اللبس والغموض.

٣ـفي سنوات الشباب: من البديهي أن النضوج الفكري والعقلي للشباب يصبح في وضع أفضل مما كانوا عليه في السابق. فوعيهم ورؤيتهم الكونية تكون أوسع، وعليه فلا بد أن تكون أسئلتهم أيضاً اكثر عمقاً ونضجاً.

إنَّ ما يستحق الذكر هنا هو أن أسسهم الإعتقادية السابقة لا بد وأن تكون قد ترسّخت في أذهانهم طوال فترة ما قبل المراهقة. إن إجاباتنا التي نقدّمها لأسئلتهم قبل سن العاشرة لها دور فاعل في تكوين هذه الأسس الإعتقادية، وهذا يعني إلتزام والدي الطفل بإدخاله في ما يشبّه الدورة المركّزة والمبسّطة في اصول الإعتقادت، والنمط العملي في التديّن ويُعتبر هذا جزءاً من حقوقه عليهما.

ولا تفوتنا هنا الاشارة الىٰ ثلاث نقاط لها علاقة بمدىٰ تديّن أبنائنا في مرحلة المراهقة وهي:ـ

١ ـ ظهور الحسّ الدّيني، والميل الىٰ الدّين وتعاليمه، مما يجعله ذائباً في الدّين.

٢ ـ بزوغ معالم الشك لديه يعود سببها الىٰ ما تعلّمه في السّابق، وهو يحاول حالياً وكنتيجة منطقية لذلك ـ إعادة النظر فيما تعلّمه ليتأكّد من صحّته.

٣ ـ تتوارد علىٰ ذهنه الكثير من الأسئلة الناتجة في الغالب من تلك الشكوك وكإفراز طبيعي لنضوج إستدلاله المنطقي، الّا إنّه غير مستعد ـ بسبب غروره وأنانيّته ـ لطرحها في أي زمان ومكان. وهذا ما يدعو الوالدين

والمربين الىٰ الإجابة عن اسئلته بشكل مباشر، او غير مباشر، ودفعه الىٰ إظهار ما يعتلج في باطنه.

□ معنىٰ التديّن في رأي الطّفل:

يمارس أطفالنا سلوكهم الدّيني إنطلاقاً من سلامة فطرتهم، وإشباعاً لروح حبّ الإستطلاع المغروسة في نفوسهم، فيؤدّون الشعائر العبادية علىٰ خطىٰ آبائهم وأمهاتهم. فنراهم يدعون ربهم أحياناً، ويبكون ويتضرّعون أحياناً أخرىٰ.

لا يعني تدين الطفل وجود إنسجام وتعقل في سلوكه وتفكيره الديني. فلا يتخذ السلوك الديني عند الطفل طابعاً عَقلياً إلا بعد سنّ السابعة حيث، يصبح لديه حينذاك فهم لبعض المواضيع التي يتلقّاها. أمّا قبل هذه السنين فلا يعد وسلوكه أن يكون مجرد، مشاعر وتظاهر بمجاراة الأبوين والآخرين.

يصلي الطفل برفقة والديه قبل سنّ السّابعة، ولكن لا يُستبعد أن يجري خلال الصلاة وراء صرصر، أو إذا لفت انتباهه شيء من الحلوىٰ أو ما شابهه يتحرك نحوه ليأخذه، إنه يشارك في المجالس الدينية، ويؤدّي الطّقوس والشعائر المتفاوته عند الناس، لكن هذا لا يمنع من تعلقه بلذات أخرىٰ، كأن يجعل من الفروض الدينية وسيلة للتسلية واللعب.

في حوالىٰ السّنة السابعة من عمره، يبدأ بالتذمر إذا لم يوقظوه لتناول السّحور خلال شهر رمضان، أو يصرّ علىٰ صيام هذا الشهر ولا يصغي لنصائح وإلحاح والديّه علىٰ ضرورة الإفطار، ويبدي رغبة شديدة في

مواصلة الصوم حتىٰ وقت تناول طعام الإفطار.

إذا وقع بصره حين الصلاة علىٰ بعض الحلويّات لا يقطع الصلاة، بل يحاول الحصول عليها بعد إنهاء الصلاة.

□ حالات الطفل الدينية:

قد تستغربون قولنا بانّ لأطفالنا أحياناً حالات دينية، لكن هذا الكلام واقعي وصحيح. قديكون اداء هذه الحالات قبل سنّ الرابعة ذا صبغة تقليدية، ولكن من بعد السنة السابعة من العمر تتخذ هذه الحالات طابع الجديّة بشكل أو آخر.

فهو يتمتم حينما يكون مع الآخرين أو حتىٰ بمفرده ببعض الكلمات التي تعلمها مع ما فيها من إبهام وأخطاء. وفي بعض الحالات يُسبغ الوضوء بهدف التهيؤ للصلاة. يقف ميمّماً وجهه شطر القبلة، ويصرّ علىٰ الوقوف وقفة صحيحة غير منحرف عن القبلة، بينما كان في سن الرابعة يقف في مقابل أمه وجهاً لوجه حينما كانت تقف للصلاة.

كل ما يقوم به الأطفال دون السابعة من ممارسات دينية، لا يتعدّىٰ إنعكاسات عاطفية غايتها نيل رضا الوالدين، ولكنها من بعد سن السابعة تأخذ وجهة عقلانية، حتىٰ أنه إذا ارتكب خطأً ندم عليه، أو حتىٰ إنّه يبكي ويذرف الدموع بسبب ذلك.

إنه ليس في سن أو ظرف يسمح لنا بالقول، بأنه في حالة مناجاة. كل ما نستطيع قوله هو أن الأطفال في سن التاسعة تظهر لديهم أمثال هذه الحالات. ويشعرون بالخجل أمام الله من ذنوبهم، وإذا أدركوا أن عملهم

كان ذنباً يستوجب العقوبة بالنار ينتابهم القلق والخوف، ويهرقون الدموع توبةً وندماً، ولا شك أن توبة هؤلاء أصدق كثيراً من توبة غيرهم.

□ السلوك المعكوس:

قد يبدو من الطفل أحياناً سلوك ديني مقلوب بسبب قلّة إدراكه، وعدم معرفته بأبعاد المفاهيم الدينية، فقد يُقدم علىٰ سرقة شيء من مكان ما ويعطيه لشخص فقير لكي يستحق بذلك الجنّة!! وقد يتصرف في بعض المواقف بسلوكين متناقضين، كأن يتشاجر مع أبيه وأمه ويسيء لهما بالقول، وبعد دقائق يدعو لهما من اللّٰه بالمغفرة ويتوسل اليه بأن يدخلهما الجنّة.

ولا يرى الأطفال ضيراً في الكذب بغية إنقاذ أنفسهم من عقوبة الوالدين والمعلم، ثم يتوبون من بعد ساعة وهم متأكّدون إن غفران ذنبهم مضمون عند اللّٰه. وهذه الحالة تحصل حينما يرىٰ نفسه غيرمستحق للعقوبة، إضافة الىٰ تصوره بأن اللّٰه واسع المغفرة.

إن السلوك الديني المعكوس الذي يبديه الأطفال ناتج في حقيقته عن المعلومات والتصورات الخاطئة التي يتلقونها، وكذلك عن التعليم الذي يركز علىٰ جانب واحد من موضوع ما ويهمل سائر جوانبه الأُخرى. ولهذا السبب فإننا نرىٰ ضرورة أن نشرح للطفل بعض المسائل البسيطة، مع التركيز علىٰ جميع جوانبها وأبعادها. فإذا جرىٰ الحديث عن مساعدة الفقير يجب تفهيم الطفل هذه النقطة أيضاً وهي وجوب مساعدته من مالنا الخاص، لا من المال المأخوذ من الناس، أو عن طريق السرقة.

□ مشاعر اللذة الدينية عند الأطفال:

الدين يشبع روح الطفل وفطرته السليمة. والمفاهيم الأصيلة في الدين هي تلك التي تأنسها فطرة الطفل، فحينما يسمع بضرورة أن يكون الإنسان نزيهاً وأميناً يرتاح الىٰ مثل هذه السّجايا من أعماق قلبه. وحين يقال له إن لهذا الكون ربّاً، وهو الذي أوجد جميع هذه الكائنات، يُقِرُّ بهذه الحقيقة ولا يستثقلها.

لا يشعر الطفل بقساوة السلوك الديني، أوثقل الفرائض الدينية،بل يشعر في أدائها بنوع من الإشباع والإرتياح. فإذا صلّىٰ يشعر وكأنّه أدّىٰ واجباً، وإذا صام يعتقد أن ذلك العمل كان ضرورياً بالنسبة له، فلا يشعر بالإنزعاج والنفور مما إفترضه عليه الدين من تعب وجوع وعطش.

يرغب في سماع القصص عن الله والجنة، وفضائل الأولياء. ويُحب أن يكلّم الله، وأن يقيم معه نوعاً من العلاقة، وأن يبلغ الجنة بأسرع ما يمكن ويعيش في ضلالها الورافة. وحينما تمتزج من أمثال هذه التخيّلات الصبيانية في ذهنه، تترك عليه آثاراً كبيرة.

لا يمكن وصف مشاعر البهجة والإرتياح التي تغمر الطفل حين مشاهدته أحد الوالدين وهو في حالة العبادة . لقد بقي الإمام الحسن المجتبىٰ(ع) يتحدّث لسنوات طويلة عن عبادة ودعاء أمّة في المحراب حينما كان طفلاً ويرىٰ هذه المشاهد . وصفوة كلامنا هو أن الطفل لا يلتذ بعبادته فقط، بل ويلتذ أيضاً لمشاهدة عبادة الآخرين.

وتجدر الإشارة الىٰ انه يهدف الىٰ جانب نيل اللذة الروحية والمعنوية، تحقيق غرض آخر وهو رغبته في معرفة نتيجة عبادته في نفس الساعة. وأقل ما يمكن أن يتحقق له من نتيجةعبادته هو رضا الوالدين عنه وتشجيعهم إيّاه، أو الإهتمام به أكثر في مجال توفير الطعام والثياب، وبقية مستلزمات الحياة.

□ الطفل والمحافل الدينية:

يرغب الأطفال بالمشاركة في المحافل الدينية والتغلغل بين الناس؛ لكي يشاهدوا عن كثب الكيفية التي يتصرف فيها بعض الناس في مجال الشؤون الدينية، فمن الأمور المسليّة بالنسبة لهم هي الأناشيد الجماعية، والأشعار، والأدعية، والمراثي الجماعية، وصلاةالجماعة وما شابهها. ومن الأمور الأخرىٰ التي يرتاح لها الطفل، النقاشات الثنائية، والأحاديث، والمجالس وإقامة الشعائر، ولا سيما إذا تخللهاالشاي والحلويّات والأطعمة. لو انتبهنا الىٰ الأطفال في أمثال هذه المراسيم والإجتماعات لرأيناهم طافحين بالبشر والسعادة. ولو نظرنا اليهم أثناء إقامة شعائر العزاء والمسيرات لشعرنا بمدىٰ شوقهم وسعادتهم، وكيف يتعلّق بأحد والديه ليصحبه الىٰ أمثال هذه المشاهد.

لا شك إن مثل هذه المواقف تعتبر ذات أهميّة بالنسبة للطفل، ولكن بشرط أن تحتوي أولاً: علىٰ بعض المضامين التي يعرفها الطفل، ويدرك ماهيّتها.

وثانياً: أن لا يصاب بالإرهاق ويتعرض للتعب والأذىٰ، بحيث ينتهي به

الأمرالىٰ الضجر والملل. وثالثاً: أن يحصل من بعد إنتهاء تلك المراسيم علىٰ بعض اللذات المادية كالطعام أو الشربت، أو اللـذات المـعنوية كـالتشجيع والإستحسان.

□ ضرورة التربية للأطفال:

تربية الأطفال أمر ضروري وواجب مؤكّد، وهذه الضرورة يمكن النظر اليها من زاويتين، أحداهما فرديّة، والأخرىٰ إجتماعية. فأمّا مـن الوجـهة الفردية يمكن القول، إن الدين هو أساس وجوهر جـميع جـوانب الحـياة الفردية وآفاقها، وهو السبب المباشر في تقدم الشخص او أنحطاطه. فـما أكثر الأطفال الذين انحطّوا دينياً وعقائدياً بسبب إهمال اولياء الأمور،بينما يـغدو الكـثير مـنهم فـي المسـتقبل القـريب أشـخاصاً نـافعين لأنـفسهم ولمجتمعهم.

تُعتبر التربية الدينية بمثابة صمام الأمان للأخلاق، والإطار الذي يضبط مســار الحـياة الفـردية والإجـتماعية ويـوجهها نـحو النـضوج المـعنوي، والأهداف الكـريمة. إذ بـميسور الديـن أن يـقوّي الوازع الأخـلاقي عـند الطفل، ويمهد الأرضية لتوسيع دائـرة مـعلوماته، وفـيظله تـُمزق حُـجُب الشّك، ويصل الإنسان من خلاله الىٰ مراحل متقدمة من النضوج، لا يتيسّرله في ظل الإستدلال العقلي.

فلو أن التربية الدينية شُيّدت علىٰ أساس فكري صحيح، لكانت عاملاً مساعداً في الإزدهار والتقدم، وسبباً لإنـقاذ الفـرد مـن السـقوط، وحـافزاً مشجّعاً للطفل علىٰ تحمّل المشاق، ودافعاً لتـهذيب سـلوكه تـدريجياً مـن

الرذائل. ولتزيل ما علق بشخصيّة من الشوائب ولا سيما الإضطرابات والهواجس التي عَرضت له أيام المراهقة والشباب، فيتحقق له بالنتيجة الإستقرار النفسي المطلوب.

وأمّا من الوجهة الإجتماعية: فالدين عامل أُنسٍ وأُلفةٍ،يأمر الناس بالتعاطف والتّواد والتراحم وتمتين العلاقات، ويحدّد للأطفال منذ البداية ضوابط وقيود تجعلهم ينظرون الىٰ الآخرين بعين العاطفة الإنسانية.

يُمثّل الدين عامل سيطرة علىٰ الفرد بكبح جماح عدوانه عن المجتمع، ويكفّ أذاه عن الآخرين. ولكي يكون الناس في مأمن يده ولسانه، وأن لا يغيب الله عن ذهنه في حالة الكراهية والمحبّة.

فأن كُنّا نعتقد بأنَّ الدين قد وضع التعاليم والأحكام الخاصة بالعائلة، والإقتصاد، والسياسة، والتربية والتعليم وآداب الحياة، وهو الذي يقرر منهج الحياة علىٰ المستوىٰ المحلي والعالمي؛ نعلم حينها بأن التربية الدينية للأطفال تحظىٰ بأهمية بالغة، وإذا علم الأبوان بمدىٰ الأضرار والخسائر والإنكسارات التي سيلحقها أبناؤهم بأفراد المجتمع؛ لشعروا بالخجل من أنفسهم ومن المجتمع إزاء كل هذا الإهمال وعدم المبالاة بمصير أبنائهم، ولبذلوا جهودهم من أجل أن يتحلىٰ أبناؤهم بطابع الدين وروحه.

□ إستعدادهم للتلقّي:

من حسن الحظ أنّ الأرضية مهيّأة؛ عند الأطفال لتقبّل التربية والتعليم الديني، ونحن نعتقد أن نسبة الإستعداد للتلقّي الديني عند الأطفال أكثر منها عند غيرهم، ومَردُّ ذلك هو سلامة فطرتهم التي لم يمسها التلوث،

وإمكانية الإستعداد الذهني للمواضيع الدينية والتربوية والأخلاقية عندهم أكثر ممّا عند غيرهم.

نحن نعتقد أن للدين صبغة إلهية، ولدينا قرائن كثيرة تشير الىٰ أنه أمر فطري مغروس في أعماق كل إنسان. وإن رغبة الطفل في التقصّي والبحث عن علل وأسرار الحوادث والظواهر تمثل وسيلة فاعله تحفّز ذهنه علىٰ التفكير وهي مؤشّر علىٰ إستعداده لتلقي وقبول فكرة الاله، وهذا يتيح للمربي إستثمار هذه الارضية الخصبة التي يمتاز بها قلب الطفل، ليضيئه بنور الإيمان.

وفي السنوات السبع الثانية من عمره، وخاصة في سن العاشرة يبدأ الطفل بالشعور بأنه بحاجة الىٰ السعادة المطلقة، وهو طبعاً لا يعلم ما هي،ثم يسعىٰ لنيلها وفي حالة مزيجة من التطلّع والتردد. ويركن أيضاً الىٰ اللّٰه في سبيل إستمداد العون المعنوي والدعم الديني. إن هذه الحاجة والسعي لإشباعها لها تأثير فاعل في خلق الإطمئنان والسّكينة اللازمة لحياته.

◻ العوامل المؤثرة في التربية:

تتدخل عدّة عوامل في التربية للأطفال أهمها: العائلة، والمدرسة، والمجتمع؛ ولكل واحد من هذه العومل بحوث مهمّة. وكل ما يهمنا منها هي تلك الجوانب المتعلقة بصحة التدرج في التعاليم، ومدىٰ ثبات ومتانة الفكر، وطريقة عرضه بإسلوب جذّاب.

فقد يكون نفس التعليم الذي يتلقّاه الأفراد من المربين سبباً لقبول الدين بشكل أفضل أو علىٰ العكس؛ تركه والنفور منه. فالناس الكبار يعيشون في

ظروف تجعلهم خاضعين لتأثيرات المواقف التي مرّت عليهم في الماضي من أمثال طباع وسلوك المربين والرموز النافذة في المجتمع،إضافة الىٰ شعورهم بالتعلّق بالدين وتعاليمه في تطوير وانضاج شخصيتهم في سلوكهم الديني عامة، فجميع الممارسات الدينية التي يؤدّيها الأطفال اليوم تؤثّر علىٰ مسار حياتهم اللاحقة. وسلوك الوالدين والمربين معهم حالياً له دور أساسي في بلورة إتجاهات حياتهم في المستقبل. وإنطلاقاً من هذه الرؤية ينبغي الإلتزام الحذر والوعي في تربيتهم الدينية.

□ واجبات العائلة:

يتوقف تأثير التعاليم والأنماط الدينية في الطفل علىٰ عوامل النفوذ الأخرىٰ في العائلة كالاب والأم والأخوة الأكبر سنّاً، فالطفل يأخذ بما يسمع ويرىٰ، خطأً كان أم صواباً، وبناءً علىٰ هذا يصبح دور العائلة عظيم التأثير في صياغة كيان اطفالها.

ترىٰ النظرة العلمية إن إلتزام العائلة بالدين، واستعدادها لتطبيقه في حياتها، يُحتمل أن يُقضي الىٰ زيادة إستعداد الطفل للتمسك به أيضاً. وعلىٰ الرغم من كل الإستعدادات الفطرية التي تطبع شخصية الطفل، فلا تفوتنا الإشارة الىٰ أهمية سلوك عائلته، فان كانت مجافية للتديّن وبعيدة عن الإلتزام، فلا نتوقع للطفل حالاً أفضل من هذا.

وضع الطفل يستوجب الرّعاية عادة. ودور الوالدين كدور البستاني الحريص الذي يتعهد النبتة بالإهتمام والرعاية باذلاً سعيه لصيانتها من الآفات. ويلقي رسول الله(ص) اللوم للوالدين اللذين لا يهتمان بوضع

طفلهما، ولا يعلّمانه الدين، ولا يسعيان له في توفير الأجواء السليمة التي يسودها الدين وأحكامه. ولو أنّ الوالدين والمربين وجّهوا الجانب الديني عند الطفل وجهته الصحيحة، وركّزوا علىٰ غرس بذور محبّة الله في أعماق الطفل إنما في نفسه ـ كما نعتقد ـ شوق لا نظير له وتعلق شديد بالدين.

◻ واجبات المدرسة:

المدرسة هي البيت الثاني للطفل، ويؤدي الكادر المدرسي دور الأب والأم فيها.

إن السلوك الذي يمارسه المعلم وبقية أفراد المدرسة، يُعتبر درساً وعبرة تنفذ في أعماق الطفل. فما أكثر السلوكيات المنحرفة والتصرفات القبيحة التي تُلحظ علىٰ الأطفال وهي ناشئة مما تعلموه من المعلم والمدرسة.

من جملة الإنتكاسات التي تعرض في حياة الطفل، هي عدم قيام العائلة بأداء واجبها إزاءه إتكالاً منها علىٰ المدرسة، وأملاً في قيام المدرسة بتربية الأطفال دينياً، وفي المقابل، تتصور المدرسة بأنَّ العائلة تؤدي مهمتها في تربية، ولا ضرورة لجهود المدرسة؛ ولهذا فإننا نعتقد بوجوب التنسيق بين المدرسة والبيت ليكون برنامجهما التربوي متّسقاً طولياً أو عرضياً، ويتخذ سياقاً واحداً في العمل،حتىٰ لا يشعر الطفل بإزدواجية المواقف والآراء، وليقتفي سلوكاً متّزناً ومنضبطاً.

يمكن للمدرسة ان تستثمر مشاعر الطفل وتنفذ في أعماقه بهذا السبيل، وفي ميسور المعلم أيضاً زرع ما يشاء في قلب الطفل، شريطة أن يكون هو ذاته رمزاً عملياً يُقتدىٰ به في ما يدعو اليه . وكذلك من الضروري أن يبادر

المعلّمون لتوعية الأطفال دينياً، حتىٰ لا يكونوا في المستقبل عرضةً لمخاطر الإنحراف، وأن يسعوا للحفاظ جهد الإمكان علىٰ روحية ونفسية الطفل سليمة ونقية، ليكون بعيداً عن مهاوي الرّذيلة.

□ قواعد مفيدة في التربية:

هنالك الكثير من القواعد المستخدمة في تربية الأطفال دينياً، ويمكن تطبيق كل واحد منها علىٰ نحوٍ ما؛ نشير في ما يلي الىٰ بعضٍ منها:

١ ـ قاعدة الحنان: إن السلوكية الفضة في تربية الأطفال مرفوضة من الوجهة الاسلامية. إلا أن هنالك موارد خاصة واستثنائية سنشير اليها لاحقاً تتيح لنا معاملتهم باسلوب آخر. إجتذبوا الطفل بالمحبة، واكبحوا جماح تمرّده باللين والمداراة.

إمتدحوا أي عمل ديني جيد يصدر عنه، فهذا من دواعي مواصلة السلوك الإيجابي لديه. والطفل يمكن إرضاؤه بسهولة، وينقاد بالمرونة، ويُسلِم قياده باللين. فبعض التعابير المستخدمة في وصف ديننا تشير الىٰ انه ليس سوىٰ الحب والمحبّة. فلا تصرّوا علىٰ جلبه الىٰ الطريق بالانفعال والغضب والقسوة، لأنه لا يفي بالغرض المطلوب بتاتاً.

٢ ـ الإستفادة من اللذائذ: إجعلوا الطفل يحمل ذكريات طيّبة عن الدين، فإن كُنّا نحن صياماً فلا نهمل أمره. ومما يؤسف له أن بعض الآباء والأُمّهات يرغمون الطفل علىٰ الجوع حين يصومون ولا يأبهون لطعامه، أو أنهم لا يهتمّون لترتيب امر طعامه بالشكل المطلوب، وهذا ما يخلِّف في نفسه آثاراً سيئة عن الصوم، وعن شهر رمضان. طيّبوا فاه بالحلوىٰ أثناء المجالس

الدينية، وقدّموا له شيئاً من طيب الطعام، ولا تكون المجالس كلها لطماً وبكاءً، ودموعاً وعزاءً فينفر منها الطفل. فالأمر يستوجب غرس الرغبة في نفسه لكي يأتي معكم ثانية، ويتناول الشاي والحلوىٰ، ويسمع بصفّه كلمات ليتعلم بعضاً منها. وعلىٰ كل حال يجب أن تتصرفوا بالشكل الذي لا يجعله يشعر وكأن الدين يثير في نفسه الحزن والأسىٰ، ويبعث فيه الكراهية والنفور.

٣ـ الحث والتشجيع: قد يبادر الطفل في بعض المواقف الىٰ اداء ركعتين من صلاة غير منتظمة في أحد أركان الدار، ثم يأتيكم قائلاً ـ ولعلّه من باب الرياء، أو لغرض لفت الأنظار ـ بأنني قد صلّيتُ!! فلا ينبغي في مثل هذه الحالة التزام موقف اللامبالاة، بل يجب تشجيعه، ولكن ليس بالشكل الذي يستثير فيه خصلة الرّياء ويعمّقها في نفسه. إمتدحوا عمله حتىٰ يتجذّر حبُّ مثل هذا العمل في أعماقه.

لا شك إن التشجيع لا يُفترض فيه ان يتجاوز الحد المتعارف، بحيث يتصور أنه المتفضل عليكم. ولكن في نفس الوقت يجب أن يؤخذ قلب الطفل الصغير بنظر الإعتبار. فالأب والأم يمثلان كل دنياه، وآماله متعلقة بهما، وثناؤهما عليه يملأ قلبه الصغير بالسعادة والإنشراح.

٤ـ اللجوء الىٰ اساليب العقوبة:

نحن لا ننكر ـ في الوقت نفسه ـ ضرورة جلب الطفل الىٰ الطريق في الحالات التي يحاول فيها تجاوز حدوده، و يصرّ علىٰ تجاهل أمركم ونهيكم. ولكن من الأفضل أن يتمّ ارشاده أولاً باللين والعطف، فإن بدت

وكأنها لا تجدي نفعاً، يجب عندها اللجوء الىٰ أسلوب القوة.

من الأفضل أن يكون بناؤكم التربوي لأطفالكم بالشكل الذي يجعله ـ وحتىٰ سن العاشرة ـ يتحرك ذاتياً في شؤونه الدينية من غير حاجة لأمركم ونهيكم؛ كأن يؤدّي الصلاة طوعاً وان كانت الصلاة في مثل هذه السن غير واجبة علىٰ الفتيان. وإن بدر منه أيّ تقصير، يمكن معاقبته من بعد إبداء الإرشاد والموعظة. إن ممارسة الضغوط علىٰ الطفل قبل سن الثامنة قد تؤدي الىٰ إمتعاضه من الدين وإيذاء نفسه، بل وقد تنتهي به في بعض الأحوال الىٰ نتائج عكسية، ولا إشكال في إستخدام أساليب الضغط من بعد هذا العمر، ولكن بشكل مدروس، وفي الظرف المناسب.

□ **ملاحظة مهمة:**

وأخيراً فبما أننا نتحدث من مقام الوالدين والمعلمين ونحن المسؤولون عن حسن أو سوء أخلاق الطفل وسلوكه الديني، فلا شك أن الواجب والتكليف يُوجب علينا بذل قصارىٰ جهدنا في هذا السبيل . فعلينا إتباع جميع الأساليب المتاحة لصيانة الطفل وتوعيته دينياً، وتنمية بذرة الفطرة فيه. ويستمر هذا التكليف حتىٰ سن ٢١ عاماً، وإذا لم نفلح في تحقيق النتائج المتوخاة فلا تثريب علينا.

ويفترض بنا أيضاً الاستفادة من الإمداد الربّاني في تربية الطفل، وأن نستعين بالله ليسددنا في حفظ هذه الأمانة، وإيصالها الىٰ مرحلة الإثمار. وحتىٰ الأئمة المعصومون(ع) لم يروا أنفسهم في غنىً عن هذا الأمر، فالإمام السجاد(ع) يدعو ربّه لإعانته علىٰ حسن تربية وتأديب واصلاح أبنائه.

التربية والتعليم الديني للأطفال

التربية والتعليم الديني للأطفال

المقدّمة

لن يكون بوسع الأنظمة الماديّة أن تأتي بالخير والرفاه للبشرية مهما بلغت من التطور والتقدم، الا اذا تحوّلت الىٰ اداة لضبط الأفراد في المسار الذي هم عليه حالياً. قد تتحقق بعض اسباب الرفاه في ظل التطور المادي، إلّا أن بقاءها واستمرارها، والأهم من كل ذلك الاستفادة منها، لا تتحقق الا في ظل القيم المعنوية.

ولهذا فنحن نعتبر التربية التي لا تقوم علىٰ اسس دينية امراً خطيراً، ووجود المدارس والجامعات غير المبنية علىٰ قواعد دينية والطلبة المتخرجين منها وَبالاً على المجتمع، واذا فقدت التربية عنصر الدين فقدَتْ قوامها، بل كان فقدانه سبباً لانحلال التربية تلقائياً. إنّ ما نراه من فساد وتناحر وحروب واستغلال في المجتمعات المسماة بالمتحضرة ليس مصدرها تدني المستوى العلمي، وهبوط مستوىٰ الرفاه هناك، بل ترجع جذوره الىٰ ضعف القدرة علىٰ التحكم والسيطرة، وانعدام دواعي الإنضباط التي تعينها علىٰ السيطرة علىٰ نفسها.

الطفل وحاجته الىٰ الدين

إِن حاجةَ الطفل الىٰ الدين اشد بكثيرٍ من حاجته الىٰ الطعام، لا سيما وضعه الذي يستدعي وجود عنصر يحميه ويدفع عنه عوامل الفوضىٰ والاضطراب. والدين مفيد للطفل من حيث أنّه يهذّب اخلاقه، وينزّهه عن الخيانة والمشاكسة والتمرد، ويلجم طباعه الشرسة، ويجعله يلتزم بالسير في إطار الضوابط المرعية.

فما أكثر الأشخاص الذين يرتكبون الجرائم. ولوكان الرادع الديني عندهم قوياً لحال دون ارتكاب مثل هذه الجرائم، فبامكان الدين كبح الدوافع غير المشروعة وتوفير فرص النجاح أمام الأطفال والفتيان للتحرك نحو حياة روحية أفضل.

قد يكون التعليم الديني قليل الجدوىٰ للطفل حالياً، إلّا أنّه ضروري جداً لغدهِ، لأنه يطوّر أفكاره ويدفعه الىٰ حب النظام، ويرتقي بمنطقه، ويعينه علىٰ حلِّ مسائلهِ اليوميةِ، ويزوِّده بالوعي اللازم في الحياة.

أطفالنا بحاجة الىٰ الايمان الذي تُدار شؤون حياتهم في ظله، ويكوِّن لهم الثقة الكاملة بأنفسِهم ويجلب لهم السكينة النفسية والاستئناس بالتعاليم الالهية السامية، ويوصلهم بالتالي الىٰ الصلاح والفلاح. فكلما كبر الطفل ازداد شعوره بهذه الحاجةِ، وخاصّةً في سنوات المراهقة حيث يعيش الانسان في اجواء من الاضطراب المتأتي من شعورهِ بانعدام العدالةِ في المجتمع.

□ الأرضية الدينية عند الأطفال

تتوفر في الطفل الأرضية الكافية لقبول الدين، لأن فطرته تدعوهُ الىٰ ذلك ، وهذه الفطرة تكون قويةً في نفس الطفلِ الىٰ درجةٍ يمكنُ القول مَعها أنَّ الطفل لا يمتلك أيّ مفهومٍ عن الدين سِوىٰ ما أُودع في فطرته، وهو الذي يدفعه الىٰ الرفعةِ والتسامي. فالابعاد الفطرية في نفس الطفل تسوقه نحو تلقّي الأُمورِ الحياتية وفهمها، والىٰ حبّ الحقائق الدينية، والىٰ مجانبة القبيح من الأُمور والتمسك بخيرها كما ينبغي له.

نواجه من الطفلِ وهو في سنِ الرابعةِ تصرفاتٍ ناتجةٍ عن حبِّهِ للاستطلاع، وميله الىٰ ادراك اسرار الطبيعة، والعثور علىٰ الطريق المؤدية الىٰ اللّٰه.

تتعمق لدىٰ الطفل في حوالي السنةِ الخامسةِ رغبةٌ شديدة في معرفة اللّٰه، واغلب اسئلته تصبّ في السياق التالي: كيف يكون اللّٰه، وعلىٰ أيةِ هيئة؟ لماذا لا نراه؟ و... الخ.

وعندما يقارب السادسة من العمر ينصبّ تفكيره علىٰ اكتشاف مصادر القوة، فحينما يرىٰ أنَّ اباه يشكّل مصدر قوة هائلة في البيت، يتصوّر أنّه لا بدّ من وجود قوة خارقة في هذه السماء إلا وهي اللّٰه. إنّ الأطفال في سن ٤ ـ٥ـ٦ أعوام مشغوفون بقدرة اللّٰ، ومتعجّبون من مخلوقاته.

□ الرغبات الدينية عند الاطفال

لدىٰ الأطفال رغبات تحثّهم علىٰ البحث والعثور علىٰ الخالق هذا، مَنْ يكون؟ وعلىٰ ايّة صورة؟ تحدوهم رغبة جامحةٌ في الدنو منه واكتناه سرّه، وأن يأخذوا عنه معتقداتهم ومُثلهم التي تخصّ جانبي الحقيقة والأخلاق، فهو قوّة أعلىٰ تغنيهم عن الاب والأُم،فيظلون مشغولين بهذه الأفكار لمدة طويلة من الزمن.

ثم يظهر عند الأطفال في سن الثامنة شغف يدفعهم نحو التكامل النفسي والكشف عن بعض الجوانب الخفية في أبعادِهم الوجودية. فيتركز سعيهم علىٰ اقامة نوع من الارتباط الوثيق والأبدي بينهم وبين اللّٰه، ويتجسد هذا السعي في اسمىٰ صوره في سنِّ الثانية عشرة، ويتّخذ طابع الحبِّ الجارف للّٰه، وحتىٰ أنّهم يُظهِرون في هذا السن إِخلاصاً في العبادة. اما هدف الجهد المبذول في هذا السياق فهو اكتشاف هويتهم والتفكير في طريقة لتخليد انفسهم، وتوفير حياة كريمة لأنفسهم.

□ بداية التربية الدينية

تبدأ التربية أساساً من وجهة النظر الاسلامية من المهد، وتتبلور في أحضان العائلة. أما أُسسها ومقدماتها فتتوغل الىٰ المرحلة التكوينية للجنين و حتىٰ الىٰ ما قبل تلك المرحلة، ولكن صيغتها الرسمية تبدأ منذ لحظة الولادة حين يُوذَّنُ ويُقامُ في أُذُنِ الوليد الجديد.

وفي المرحلة اللاحقة يُفرض علينا في كل سنه وفي كل شهر واجب جديد ازاء الطفل يتدرّج بتدرج سِنّه، ونحن نقومُ أيضاً بتأدية ماعلينا علىٰ اعتبار كوننا مربين.

ولا شكّ أنّ استعمال أيّ نمط من أنماطِ القوّةِ والضغطِ مرفوض، وحتىٰ السلوك الديني للطفل لا يتجاوز صيغة اللعب والتسلية، ولاكلام لنا في هذا المورد، وانما تتمثل مهمتنا في برمجة الفرائض الدينية بالشكل الذي لا يُثقل كاهل الطفل، ولا يُرهقه قبل الأوان.

ويُفترض بنا أن نسعىٰ أيضاً طوال فترة التربية في السنوات السبع الأُولىٰ من حياة الطفل إلىٰ عرض المصاديق والمُثُلِ المفيدة للطفل تربوياً، وأن يكون نمط التربية بشكل لا تستدعي الضرورة إصلاحه واعادة النظر فيه، لأنّ الكثير من الانحرافات الدينية للأشخاص منبثقة عن هذا الخلل.

يصل الوله بالدِّين الىٰ ذروته في العاشرة لدىٰ الفتيات، وفي سن الثانية عشر عند الفتيان، وفي هذه السنوات فقط يمكن الحديث عن موضوع الايمان بالدين، إذ حيث يتنامىٰ الحس الديني خلال هذه السنوات شيئاً فشيئاً حتىٰ يبلغ أوجه عند مرحلةِ البلوغ.

□ مبادئ في التربية الدينية:

قبل الحديث عن اغراض ومحتويات وفنون وأساليب التربية الدينية للأطفال، تقتضي الضرورة أوّلاً الاشارة الىٰ ثلاثة مبادئ مهمّة تستوجب الاهتمام بالتربية الدينية وهي كما يلي:

١ ـ **مبدأ الوعي والمعرفة**: لا ندّعي بأنّ الطفل قادر علىٰ إدراك جميع

المسائل المتعلّقة بالدين أو أنّه يدرك ما نقول. إلاّ أنَّ هناك نقطة ينبغي أخذها بالحسبان، ألا وهي وجوب ضخِّ المعلومات اليه بما يتناسب مع قدرته علىٰ الاستيعاب والفهم، وألّا نتهاون في أمره علىٰ أساس كونه صغير السن وما زال أمامه متّسع كبير من الوقت ليصبح مُتديّناً.

٢ـ **مبدأ المشاعر والأحاسيس:** ينبغي أن يتعرّف الطفل بشكل او آخر على النشاطات الاجتماعية، وما يجري خلالها من أعمال وشعائر، فيشارك في المراسيم، والأدعية الجماعية، والأناشيد والمراثي، والعبادات الجماعية مثل صلاة الجمعة والجماعة، ليرىٰ بالتدريج، الدموع والآهات، والانفعالات والأفراح، مما يؤدي الىٰ إثارة عواطفه ومشاعره الدينية، وكذلك لا يخلو ذكر القصص الدينية من الفائدة ضمن هذا السياق.

٣ـ **السلوك والعمل:** للسلوك والعمل سواء عند المربي أم عند الطفل دور لا يمكن تجاهله، وذلك لشدة تأثيره وتفوّقه علىٰ تأثير المنطق والقول. فالقلوب تنجذب الىٰ الحقيقة بواسطة العمل، وبه تبرز وتتميز العادات الدينية، وتتبلور في الفرد رغبته في الطاعة والعبادة. وهذا هو النمط الذي كان يقتفيه الرسول(ص) في التعليم حيث كان يقول لأصحابه «اعملوا كما تروني اعمل!»

□ منهاج التربية الدينية:

تعترض مسار التربية الدينية للأطفال مجموعة من المعوِّقات والمصاعب التي يقتضي الحال تذليلها وإيضاح الغامض منها، ليكون المربي علىٰ بيّنة من أمره ومستدلاً علىٰ السبيل المطلوب، وعلىٰ الأهداف المبتغاة في نهاية

هذا المسير، وما هي المواضيع المستهدف تعليمها للطفل؟ وما هي الأساليب المفترض استخدامها، وبأية وسيلة وفن؟ وكيفية الرقابة والسيطرة؟

نشير في ما يلي الىٰ كل واحدةٍ من هذه النقاط مع مراعاة الاختصار:

أ- الاهداف والمقاصد:

يتلخّص الهدف العام في تنشئة الطفل نشأة دينية ليكون معتقداً بتعاليم الدين ومطبقاً لها. والغرض من ذلك ان يعتبر طفلنا الاسلام عقيدة صالحة ومذهباً بناءً للحياة، وان يتقبل مبادئه وتعاليمه علىٰ اساس كونها افكار حركية أصيلة، وأن يطبع حياته الحالية المستقبلية بطابع الفلسفة التي يقرّها الدين، وأن يسعىٰ لايجاد البيئة والأجواء الاجتماعية التي يرىٰ الدين صحّتها وصلاحها، وهي البيئة النظيفة الخالية من أيّة شائبة والبعيدة عن المؤثرات التربوية السافلة.

ومن تلك الأهداف ايضاً أن يكون مطيعاً لربّهِ وخاضعاً لتعاليمه، ومنقاداً لأوامره، وأنْ يتوكّل عليه في كلِّ الظروف والأحوال. وعليه أيضاً معرفة ربّه؛ فهذه المعرفة تدفعه نحو التحرك والسير علىٰ الصراط الموصوف بالاستقامة والذي ينتهي بلقاء اللّه. وعليه ايضاً أن يعتبر نفسه مسؤولاً في حياته الحالية والمستقبلية ولا يكون في معترك الحياة كالريشة التي تتداولها الرياح من صوب الىٰ صوب، لخفّتها وخلوّها من أيِّ محتوىٰ.

ب ـ المحتوىٰ والمضمون:

يمتاز محتوىٰ ومضمون تربية كهذه باستيعاب كل ابعاد الحياة سواءً في جانب الواقع ام في مثل الحياة، ويمكن الاشارة الىٰ تلك الموارد مبوّبةً بالشكل التالي:

□ أولاً في الأُصول الاعتقادية:

يدور بحث الكثير من مواضيعنا الدينية حول الأُصول الاعتقادية، ونُطلق عليها اسم الأُصول، لأنّها القواعد التي تقوم عليها جميع أفعالنا وأقوالنا وتصرفاتنا الدينية. ويمكن تبيين هذه القواعد للأطفال دون السابعة من العمر علىٰ شكل قصص او سيرة حياة شخصية.

كما يمكن تلقينها بأسلوب استدلالي الىٰ حدٍّ ما لمن تجاوز الثامنة او التاسعة من عمره ويُعتبر تعليم الأُصول الاعتقادية من انواع التعليم الأساسي وله دور مصيري في حياة الأشخاص.

أما المواضيع التي يتوجب دراستها في هذا الحقل فهي كثيرة، الا أنَّ اهمها يتلخّص في:

١ - الايمان بالله والتوحيد:

يختص هذا الحديث عن معرفة الله، وعظمته وجلاله، وجماله، وكذلك بالحديث عن علاقة الله بالإنسان من جهة، وعلاقة الإنسان بالله من جهة أُخرىٰ. ففي الجانب الأول ينصبُّ الحديث عن مسألة خلق الوجود وتسيير

نظام هذا الكون وما فيه من الظواهر بالإضافة الىٰ رازقية اللّٰه وحاكميته في عين علمه وقدرته وإرادته، اما الجانب الثاني فيتناول الخشوع والخضوع للّٰه، والاستعانة به والتضرّع اليه ومعرفة الواجبات في سبيله، وتنظيم برامج الحياة وفقاً لأوامره واحكامه، وأن لا يكون هنالك اي حب أو عداء الا علىٰ اساس ارادته وتعاليمه.

يُفترض أن يكون مبدأ التوحيد ركناً لا تقوم عليه عقيدة الإنسان لوحدها فحسب بل يقوم عليه جميع شؤون حياة الإنسان ايضاً . ولا يفوتنا طبعاً أن يجري تعريف اللّٰه بالشكل الذي يحبّهُ الطفل. فهو ـ اي الطفل ـ لا يستهويه الآله الموصوف بقسوته وغلظته وشدة عقوبته، فما زال أمامه مُتّسعٌ من الوقت لمعرفة السبب الذي من أجله يُعاقب بعض الناس، وينذرُ اللّٰه بعض الناس بأليم عقابه وغضبه.

لا ينبغي أن تتضمّن المواضيع التي يتلقّاها الطفل في معرفة اللّٰه أية اسرار وخفايا. فهو لا يفقه الخفايا والأسرار، وأمثال هذه الألغاز اللفظية تطعنُ مشاعره الدينية. فلا يستلزم الأمر اعادة ما لا يفهمه الطفل علىٰ مسامعه، إذ أن من اليسير عليه معرفة الجنّة والتشويق اليها عن طريق اللذات الحسية لكن ادراك مفهوم رضوان من اللّٰه اكبر لا يزال مبكراً بالنسبة له.

٢ـ في تعريفه بأولياء اللّٰه:

من الأُصول الأساسية في العقيدة دراسة ومعرفة الأنبياء، وولاة الدين والقادة الربّانيين. ومن الضرورة تلقين الصغار منذ نعوما اظفارهم المعلومات الكافية عن الأنبياء ودورهم في الحياة، ويجب ان يكون ذلك

باسلوب سلس مفهوم، متضمناً سرد قصّة حياة نبيّنا(ص) وبياناً لأهمية القرآن في حياة الانسان، وبشكل يخلق لديه شعوراً بنوع من التعلّق به.

ثمّ نتحدّثُ لهم ايضاً في هذا الجانب عن الأئمة المعصومين ودورهم ومواقفهم، وخلاصةً عن حياتهم وبالخصوص في أيام ولاداتهم ووفياتهم. ويمكن كذلك إلقاء الخطب والكلمات التي تنشر الوعي بأمثال هذه المواضيع خلال المجالس الخاصّة التي تعقد لهذا الغرض.

ويتحقّق اشباع النفوس بحب ولاة الدين من خلال التحدّث عن صفاتهم الحميدة وامتداحها، وهو ما يثير عواطف الطفل ويشدّه اليهم نفسياً. وعلينا أيضاً أن نحدّثه عن الملائكة والأنبياء وعظمتهم. لعل بعض الأطفال يتصور أنَّ بمقدوره رفض الأنبياء أو الأوليإالآخرين وعدم الاعتراف بهم، او التجاسر علىٰ بعضهم كعزرائيل! الا ان هذا التصور يتعارض وعقيدتنا، وعلىٰ الأبوين والمربين الالتفات الىٰ مثل هذه القضية والسعي لتوعية أطفالنا بشأنها.

٣ـ في موضوع الموت والمعاد:

لا تشكِّل قضية الموت مفهوماً ذا معنىٰ بالنسبة للأطفال حتىٰ سن ٣ـ٤ سنوات الا اذا راىٰ مثل هذا الموقف بعينيه، أو كان يتمتع بنسبة عالية من الذكاء. ان موضوع المعاد لا يدخل ضمن ادراكات الطفل ايضاً ولا يفهم عن اي مدلول لديه.

في حدود السنة الخامسة من عمره يبدأ الطفل بالانصات او قل بالانتباه الىٰ ما تسردون له من قصص بشأن الموت ثم الحياة بعده، ومسألة الجنّة

والنار. وتُصبح أشباه هذه الأُمور أوضح عند من تجاوز السابعة من عمره، وفي سن العاشرة يفهمها تماماً، ويستطيع من بعد سن الثانية عشر عاماً ان يثبتها شخصياً بالأدلّة.

ولهذا ينبغي تكريس جزء مهم من التربية الدينية لموضوع المبدأ والمعاد وما يتعلّق بالموت والحياة. ومن الأفضل ان لا تتناول أحاديثنا مسائل النار والعذاب وكيفيّته، اذا كانت موجهة لأطفال تقلّ أعمارهم عن ثمان سنوات لأنّها تثير فزعهم. كما ويمكن ان نشرح لمن تجاوز السنة الثامنة من العمر، موضوع الموت وكأنه انتقال من عالم الىٰ آخر،وتفصيل ما يراد في هذا السياق من معلومات.

□ ثانياً: في فروع الدين وتعاليمه:

اما القسم الآخر من التعليم الديني فهو ما يتعلّق بفروع الدين وتعاليمه التفصيلية. ان الأمر يتطلب هنا طرح المواضيع بنحو اوسع مما هو متداول علىٰ الألسن، كأن يُشرح للطفل مثلاً عن الحدود والحقوق التي يقول بها الدين، وموقفه ازاء جميع الأُمور الحياتية، فيما يلي نشير الىٰ قسم من تلك التعاليم:

١ـ **في العبادات:** يختصّ قسم من التعليم بالعبادات والفرائض كالصلاة والصوم والحج والجهاد والخمس والزكاة، والخ - التي يتعلم الطفل بعضاً منه عملياً والبعض الآخر يتعلّمه نظرياً. وينبغي في موضوع الصلاة تعويد الطفل عليها وهو ما بين ٢ـ٣ سنوات من العمر، كأن يقف الىٰ جانب امه او ابيه ويصلي ولو من باب اللعب والتسلية.

نقل عن الإمام الصادق(ع) إنّه قال بشأن الصيام «إننا نوقظ أبناءنا الىٰ تناول طعام السحور في سن السادسة و..... وحين يبلغ السابعة من عمره نشجعه علىٰ تحمل الجوع والعطش لعدة ساعات، كأن يصوم هذا اليوم من الصباح وحتىٰ الظهر، ثم يصوم اليوم التالىٰ من الظهر وحتىٰ الغروب.»

أما مواضيع الحج والجهاد فتُطرح في الغالب علىٰ شكل معلومات نظرية، او سيرة شخصية حينما تتوفر الأرضية المساعدة. ويجب ان تبذل المساعي في جميع الأحوال الحثّ الطفل علىٰ معرفة أمثال هذه الحقائق والقضايا ليعتاد عليها نفسياً.

٢ -**في الأحكام والتعاليم:** يتضمّن الاسلام تعاليم تحدد الصورة التي ينبغي أن يكون عليها قول الإنسان او فعله،وعلىٰ الطفل ان يفهمها عملياً. فيتوجب عليه مراعاة المظاهر الدينية والتحلّي بالآداب الإسلامية بحيث يكون فعله كفعلكم مرتبطاً بالله؛ كأن يدعو الله مثلاً، ويحمده، ويشكره بعد تناول الطعام، ويجعل الله نصب عينيه في كل اعماله، ويتعلم الامانة ويُلَقّن بمصاديقها، ويتواضع للقرآن تأدباً، ويعرف جزاء الكذب والخيانة،وان عاقبة البغي وخيمه، والتخريب فعل مذموم، وان تجاوز حقوق الآخرين خصلة سيئة. وعلىٰ الطفل ان يتعلم واجباته تجاه الاب والأم والاقارب والأصدقاء والزملاء، ولينظر الىٰ والديه والقائمين علىٰ أمره نظرة تكريم واحترام، ولا ينسىٰ صلة رحمه، وان يتعامل مع الآخرين بتفاهم ومحبّة.

يجب علىٰ الوالدين ان يعلّماه منذ الصغر ويعوداه علىٰ الدعاء للآخرين ايضاً حينما يدعو لنفسه بالخير والسعادة، وان يكون في قلبه حب الخير

للآخرين، وإن كانت هذه الأدعية لا تتجاوز الألفاظ والكلمات، الا أن تأثيرها في نفسه سيتّضح اثناء العمل، فهي تغرس في نفسه حب الآخرين وتجعله مستعداً للتآخي والتآلف مع الآخرين.

٣ـ **في المواقف**: يتمثّل أحد اهداف التربية في تعليم الطفل كيفيّة اتخاذ المواقف ازاء الحوادث المختلفة العارضة له في مسار الحياة، وما هو الأُسلوب الذي يتخذه في التعامل معها. ما هي المواقف التي تتطلب الشدة والصلابة، وماهي المواقف التي تستدعي اللين والمرونة؟ وهل عليه أن يتّبع الأهواء أم يتبع الحق؟

ويُفترض بنا أن نُعرّض الطفل منذ الصغر الىٰ المواقف التي تستهوي القلوب وتسحر الألباب. ونعلمه كيفية الصمود امامها، وعدم الانهيار امام مغرياتها. وان لا تؤدي له الهواجس والحياء وضعف الشخصية الىٰ الانحراف، ولا يكون فريسة لشهوات الطامعين، وان يقف بصلابة بازاء كل ما يخرجه عن الحدود المتعارفة. وان يكون ميله الىٰ الاشياء نابعاً عن دوافع معقولة، ونفوره وتصدّيه لأخرىٰ قائماً علىٰ اسباب واضحة ومفهومة ايضاً، وان تكون لديه القدرة للدفاع عن معتقداته في حدود تفكيره.

إنّ للاأباليّة مَرض يُصاب به الطفل منذ الصغر، وهو ناتج عن توصيات وتأكيدات وعمل الوالدين والمربين الذين يحذرونه دوماً ـ حفاظاً علىٰ سلامته ـ من الاهتمام بشؤون الآخرين فيقولون له: لا علاقة لك بالآخرين، وما هو شأنك والطفل الفلاني اذا تشاجر مع الآخرين؟ .. فيكون نتيجة ذلك ان تعتاد نفسه علىٰ عدم التحسس إزاء الأوضاع التي يعيشها الآخرون، في

حين أن عليه ان يتمرس منذ الصغر على مقارعة الظالم واعانة المظلوم.

□ في آداب الحياة الدينية:-

للحياة الدينية آدابها وأصولها التي ينبغي للطفل ان يسعىٰ منذ البداية للانسجام معها والتحلي بها، من أمثال: معرفة قيمة الوقت والالتزام بالعمل، وإتقان الاشغال التي يكلَّف بها، ورعاية حدود وحقوق الآخرين، والاستئناس بالعمل، والنهوض المبكر من النوم، والميل الىٰ الاستراحة والنوم بعد صلاة العشاء، وتقسيم اوقاته في الليل والنهار الىٰ ساعات للعمل، وساعات للاستراحة، والتسلية وغيرها من عشرات المسائل الاخرىٰ. وكذلك يجب ان توضِّح للطفل حدود الخجل والحياء، وذلك لأنّ بعض الخجل ينطوي علىٰ نتائج خطيرة. وان الكثير من الاحتياطات المشوبة بالحذر تُؤدي في ما بعد الىٰ نتائج مدمّرة. وهنالك ايضاً الكثير من المواضيع الأخرىٰ التي يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار في تربية الطفل مثل: حدود التزيين والتجمل، وفي نوع الثياب وارتدائها، وفي المأكل والمنام، وكيفية مصاحبة الآخرين، واسلوب مراعاة عواطف المحبّة، وحدود الخدمة والتضحية، صحّة العمل، وضبط النفس، وإدارة الشؤن الذاتية وصيانة الذات. وهنا تتجلىٰ بوضوح العلاقة بين الدين والأخلاق.

في فلسفة الحياة: وتستلزم التوجهات التربوية أيضاً طرح موضوع فلسفة الحياة، والسبب الذي من أجله وجدت الحياة، والهدف الذي نعيش لأجله؟ ويمكن للوالدين خلال حياتهما اليومية طرح تفاسير وتعاليل كثيرة عن سر ومفهوم هذه الحياة لأطفالهم من اجل صياغة افكارهم بما ينسجم

والمفاهيم الإسلامية.

قد تكون نظرة الوالدين للحياة نظرة سلبية، أوايجابية. يحتمل انهما ينظران للحياة بمنظار اسود او احمر. فبعضهم يعتبر ما في هذه الدنيا من زينة وأموال مجرد جيفة نتنة، بينما يعتبره آخرون وسيلة او غاية. وقد يكون فهمهم للتوكل، والصبر، والزهد، والتقية، فهماً بناءً، او قد يكون فهماً سلبياً هدّاماً. وعلىٰ اية حال سيكون لهذه المناهج التربوية دورها الفاعل في تعليم الدين للأطفال؛ وان مصير الطفل يتوقّف عليها بشكل او آخر.

يجب ان ينصبّ جهدُ المربِّين علىٰ هذه الأساليب في تعليم الطفل وتعريفه بفلسفة الحياة والغاية منها ليفهمها بالصورة التي يرتضيها الدين، وان يُطرح موضوع الدنيا للطفل وكأنها شيء يستحق الاهتمام به. وهذا ما ينبغي التدرج في طرحه من سن السابعة حيث تشتدّ رغبته في الحياة، ويتزايد اهتمامه بالحصول علىٰ المعلومات بشأنها.

وعلىٰ كل حال فلا ننسىٰ ان فلسفة الحياة من وجهة نظر الاسلام سيتعرّف عليها الطفل ويؤمن بها من خلال المشاهدة والمعايشة لحياة الوالدين، وإلّا فإن الآراء والأقوال لا تكفي لتكوين وجهة نظر فكرية في هذا الميدان.

ج - في موضوع المناهج:

نتناول في هذا الموضوع الأساليب والسبل التي يجب نهْجها في تربية الطفل، وصياغة أفكاره وشخصيته. فما هي الاجراءات المتخذة في تعليم الأطفال؟ وما هي السبل المفترضة في تربيتهم؟ وما هي الأدوات والفنون الممكن استثمارها في بنائه؟ ويمكن ان نتحدث في هذا الصدد عن

الأبواب التالية:

١ـ**في موضوع التعليم**: هنالك اساليب وفنون مستخدمة في التعليم لغرض تربية الطفل تربية صالحة، وأهمها السير في عالم الطبيعة وفي الآفاق والنفس، ومنها ايضاً التذكير في المواضع التي يكون فيها مُجدياً، والتفكير في النفس وأبعادها الوجودية، وكذلك الحثّ على التمعن والتدبّر في الأمور، والتعقّل والاستدلال والاستفادة من التجارب الشخصية، والسياحة، وزيارة الأماكن المقدّسة، ثم الاستفادة من كل ذلك للتوعية واستخلاص العبرة و....الخ.

لا تقتصر الدروس الدينية علىٰ المواضيع الذهنية الصرفة، لأنها ستكون والحالة هذه جافّة لا طائل من ورائها، ولكن أحياناً يمكن توجيهه نحو مشاهدة العناصر الموجودة امام ناظريه من جمال الخَلق والطبيعة، الىٰ الدين وما فيه من تعاليم قيّمة، وعظمة الخالق وقدرته المتجليّة في أعماق روحه.

لا يعني الأُسلوب التربوي الهيمنة التامّة علىٰ فكره وعقله، واستعباده . ولهذا السبب فهو لا يتمثّل في السعي لإلقاء المواضيع الجافّة التي لا تجدي شيئاً، بل يتلخص في الاستعراض العملي والمعاينة الواقعية لصورة الدين الحقيقية في الحياة العائلية، وفي المواقف العملية الهامّة.

ينبغي رفع مستوىٰ ادراكاته عن طريق الأسئلة، وتقوية قدرة التعميم لديه باسئلة كهذه: من خلق الأرض؟ من خلق الشجر؟ من أوجد الماء؟ من أوجد السماء؟ ...الخ، ليستنتج من ذلك أن ادارة الكون وتدبيره تسير بمشيئة الله وبقدرته.

وعلينا ان نجعل من اللّٰه شيئاً مهيباً ومحبوباً في ذهن الطفل، وأن نحاول تسريب روح الدين الىٰ اعماق وجوده، وازالة الشكوك من كوامن نفسه. ولتكن اساليب التعليم مسموعة ومرئية، لا بل خاضعة للادراك واللمس لكي تستهوي اليه الطفل وتدفعه الىٰ الاعتقاد والإيمان بدينه قلبياً.

٢ـ في موضوع التربية: تقوم تربية الأطفال دينياً علىٰ جملة من المسائل والمواضيع أهمها:

*** احياء الفطرة:**

تكمن في ذات الطفل وفطرته نوازع تسوقه صوب التقوىٰ، والعدالة، والإخلاص، والطهارة. فالصفاء والطهارة أمور يمكن ملاحظتها لدىٰ الأطفال في مختلف ارجاء العالم. فلا نعرف في كل العالم شخصاً كان يبغي في طفولته سوىٰ الخير والصلاح، والنبل والإخلاص، أو ان لا يستحسن اعانة المظلوم. يُعتبر احياء الفطرة بذاته خطوة نحو الأمام، وله ايضاً دورٌ هام في تربية وبناء الأطفال. ويفترض أن ينصبَّ اهتمام التربية علىٰ إرجاع الطفل الىٰ فطرته، واستحصال الحُكم من ضميره، وجعل حظه ونصيبه على اساس ما يقرّه ضميره وفطرته.

تتطلب تربية الجيل السعي لمناصرة الحق لا غير، وتجسيد هذا المنهاج امام الطفل بعيداً عن ايّة شائبة، ومنزهاً عن أيّة مصلحة وان نسمح لفطرته ان تبقىٰ سليمة لا يمسُّها اي سوء، يبقي الطفل برئياً وصادقاً وصالحاً، وميّالاً للفضائل.

❊ تغذيته بمحبّة اللّٰه:

يجب ان نفعل ما من شأنه أن يؤدّي الىٰ محبة الطفل للّٰه، وهذا ما يجعله ملتزماً باحكام اللّٰه. وإن بلوغ هذه الغاية يتطلب منا ان نظهر له أنّ اللّٰه محبوب ورؤوف ورحيم، وأكثر عطفاً من الوالدين. ومن الضروري ايضاً ان تستقر في ذهنه فكرة ان اللّٰه يُحبهُ ويريد له ان يكبر ويكون فرداً فاضلاً وسعيداً، ومرموقاً. ويجب ان نحدّث الاطفال دوماً ومنذ السنة السادسة من اعمارهم عن رحمة اللّٰه وعنايته ولطفه وكرمه، لا عن غضبه وناره وعقابه.

يمكن الاستفادة من جميع الوسائل المشروعة لتغذية الطفل بمحبة اللّٰه، ولو عن طريق اختلاق القصص في هذا الصدد وسردها عليه، ولا ننسىٰ ايضاً ان تصورات واحاديث الأبوين بشأن اللّٰه تؤثر في صياغة افكار الطفل.

❊ محبّة اولياء اللّٰه:

يجب بناء شخصية الطفل علىٰ محبّة اولياء الدين كالرسول والائمّة عليهم السلام وحماة الدين الآخرين، ليكون أمرهم ونهيهم وسيرتهم مثالاً يحتذي به الطفل. ويمكن تحقيق هذا الهدف بسبُل شتّىٰ منها علىٰ سبيل المثال ذكر قصص حياتهم وتضحياتهم وما قدموه لنا من خدمات.

فالأطفال يميلون عاطفياً الىٰ حُبّ الشخصيات التي تستثير اعجابهم والتي تمتاز بالنزعة البطولية والأسطورية. فلو اننا استطعنا ان نصوِّر للطفل مدىٰ عظمتهم ـ كما كانوا حقّاً ـ وشرحنا له مآثرهم وتضحياتهم بلغة سلسلة يهضمها، فسيتفاعل معهم قلبياً، ويتشرّب قلبه بحبهم، وتدفعه رغبته في

مسايرة الآخرين الىٰ اتباع اسلوبهم واقتفاء أثرهم في الحياة.

❊ **بث روح الجماعة والتعاون:**

وعلىٰ التربية ايضاً ان تهتم بتقوية جانب التولّي والتبري عند الطفل بحيث يتقبّل ولاية اولياء الحق ومحبّي العقيدة، ويتبرأ من اعداء الدين. فكما ان الضرورة تستوجب حبّه للآخرين فعليه ايضاً معرفة الأولويات في حب الخير وإيصاله للآخرين.

فالخير والمعروف والمحبة لها درجات تبدأ من الوالدين والأقارب والجيران والأُخوة في الدين الذين يؤدّون واجباتهم ومن مواقع مختلفة، ثم يأتي من بعدهم اتباع الأديان الأُخرىٰ ـ حتىٰ وان كانت معتقداتهم غير سليمة ـ الذين لا تصدر منهم إساءة ضد الاخرين.

ويجب أن تكون الروحية الجماعية قوية عند الأطفال، وتنتشر في ما بينهم روحية التعاضد والمؤزارة التي تتحقق في ظلها الوحدة والأُلفة التي تتيح لهم فرصة مؤازرة بعضهم الآخر وتوحد قواهم من أجل تحقيق بعض الإنجازات الكبرىٰ علىٰ الصعيد المحلّي والدولي. او كما عبّر عنه رسول اللّه(ص): ان يكونوا يداً واحدة علىٰ سواهم.

د - الفنون والوسائل اللازمة:

يتناول الحديث هنا الوسائل والفنون والسبل التي يجب استخدامها لإنجاح العملية التربوية، ونشير في ما يلي الىٰ بعضها:

١ـ **الوسائل:** هنالك وسائل جمّة يمكن توظيفها في الحقل التربوي، ويمكن تلخيص بعضها كما يلي:

* **القصص**: لا شك أنّ القصص المتعلّقة بحياة ومواقف أئمّة الدين تزيد من معارف الطفل، وتؤثر فيه تأثيراً عجيباً وتغرس في نفسه محبتهم وتحفزه علىٰ محاكاتهم والاقتداء بسيرتهم. ونحن نستطيع من خلال هذا الأسلوب ايصال المعلومات والأفكار المفيدة الىٰ الطفل.

* **التجمّعات والمجالس**: فالطفل الذي يشهد الأنشطة الدينية في المساجد والمجالس والتجمّعات الموجّهة توجيهاً دينياً سليماً تؤثّر في تربيته الدينية ونضوجه الفكري. ويتوفر هذا الاستعداد لدىٰ الأطفال إبتداءً من سن الثالثة، اذ يقومون من بعد هذه السن بتعلّم وحفظ الآيات والأدعية والبرامج الدينية الأُخرىٰ. فالطفل يتملكه الفرح حينما يذهب برفقة ابيه الىٰ المسجد ويصغي الىٰ المواضيع الدينية بكل جوارحه. ويرغب من بعد الثامنة في الانضمام الىٰ الجمعيات والتجمعات الدينية ويعتبر ذلك مصدر فخر له.

* **السلوك الديني الجماعي**: يرغب الطفل عادة بالمشاركة في صلاة الجماعة وقراءة الأناشيد الدينية بشكل جماعي. ويبدو أن التمثيليات والمسرحيات، والعبادات الجماعية، والتواشيح الدينية الجماعية تسهم في اشباع العاطفة الدينية عند الطفل، وتنمّي ميوله الدينية، وتزرع في نفسه الصفاء والإخلاص حتىٰ وان كانت تلك النشاطات تجريها طبقات اجتماعية أُخرى.

* **المنطق والاستدلال**: غالباً ما يتأثر الطفل باستخدام المنطق الذي يميل اليه وكذلك باستخدام اللغة التي يفهمها. وعلىٰ هذا يجب ان تكون البرامج منسجمة ومتّسقة مع بعضها بحيث تسوق الطفل نحو الانسجام الفكري،

وأن تكون مفهومة بالنسبة له ومقنعة وبما يتناسب ومقدرته الفكـرية. ولا يفوتنا ان نذكر ان التفكير المنطقي يبدأ عـند الأطـفال مـنذ سـن السـابعة ويتطور لديهم بالتدريج.

❁ **المناسبات والفرص**: تمرّ احياناً فرصٌ خلال مسار الحـياة العـامّة ، ويجب علىٰ المربي اغتنامها باعتبارها وسيلة واداة تعينه علىٰ تحقيق هدفه. فنحنُ المسلمين تمرُّ علينا الكثير من المناسبات الدينية،كالأعياد، والمواليد، والوفيات التي يمكن استغلالها كفرص لطـرح البـحوث والكـلمات التـي تتضمّن مسائل اسلامية، وتتحدث عن آداب ومقتضيات الحياة الاسلامية، وعن الأخلاق والعادات الدينية، لأجل زرع بذور العاطفة الدينية في روح الطفل.

٢ـ**الفنون**: يمكن التحدث عن نقاط عديدة في هذا الحقل لا يتيسّر شرحها جميعاً في هذا البحث المختصر، اِلّا أن هنالك نقاطاً مهمّة يـمكن الإشارة اليها ـ مع مراعاة الإختصار ـ بالشكل التالي ـ

طرح القدوة: نرىٰ أن الضرورة تستدعي هنا الحديث بشكـل مـفصل بسبب أهميّة الدور المصيري الذي تؤدّيه القدوة في بلورة شخصية الطفل. فالتربية وخاصّة الدينية منها تقوم علىٰ التعليمات والأطر التي يضع اساسها الوالدان والمربون. فنلاحظ الطفل يقضي أثر السلوك الذي يراه يصدر من والديه، سواءٌ كان ذلك السلوك سليماً أم سقيماً.

يُعتبر اقتفاء القدوة مسألة هامّة في جميع الأعمار، إلا انـه يـصبح اكـثر رسوخاً في النفس بين سن ٦ و١٢ عاماً. وهنا تجدر الاشارة الىٰ أنَّ الطفل

في سن الرابعة من عمره يتصوّر آباه قدوة مطلقة يعرف كل شيء وأن كل ما (يبدر) منه صحيح. ولهذا السبب نؤكد لهم دوماً علىٰ ضرورة الانتباه الىٰ كل حديث او تصرف يصدر منهم.

ونحن نعتقد انَّ القدوات التي تُطْرَح لتربية الأطفال في مجال الأخلاق والصبر والأمانة والاخلاص والصلاح، واجتناب الشبهات، ينبغي ان تكون صالحة وعالمة وربّانية، تقول القول الحسن، وتلتزم بما تقول، وان يأخذوا بنظر الاعتبار ان ذهن الصبي اشبه ما يكون بالأرض الخصبة فهو يصدّق بكل ما يسمع، حتىٰ الأوهام والخرافات.

اننا لا نعتقد بفاعلية الكلام في التربية، ونرىٰ ان السلوك العملي للوالدين اكثر فاعلية وتأثيراً. فالسلوك الديني للطفل يتوقف علىٰ مستوىٰ ادراك وفهم ونوعية سلوكهم ومواقفهم في مختلف الحوادث والظروف، فهم يعتمدون علىٰ الأبوين، علىٰ العكس من الشباب الذين ينزعون للاستقلال والوقوف علىٰ اقدامهم.

ـ العبر والدروس: وهذه ايضاً نقطة مهمّة وبناءة في التربية وهي ان نجعل من كل حادث، او موقف درساً يستفيد منه الطفل؛ كأن نعلّمه مثلاً أنّ شخصاً كذب ثم افتضح أمرُه، أو أن آخر سرق فأُهِينَتْ كرامته، وان كل من يتهاون او يتكاسل يتعرض للشقاء، وان شخصاً قد زرع شراً فلم يَجنِ الا ثَمَرهُ، وآخر قد ذهب من الدنيا وخلف وراءه ذكراً حسناً او سيّئاً. فكل هذه تُعتَبر دروساً يعتبر بها الطفل. فإن كان المربي واعياً ومتفهماً للأمور أمكنه استثمار مثل هذه الحوادث وتقديمها للطفل بشكل مثمرٍ وبنّاء.

ـ الانتباه الىٰ رغبات الطفل: ليس الطفل علىٰ استعداد في كل الأوقات لانجاز اي عمل يطلب منه. فلا تحدوه الرغبة احياناً في الصلاة معكم، فلا تضغطوا عليه وتلزموه بالصلاة كرهاً، لأن مضار هذا العمل اكبر من نفعه. دعوه يتّجه للصلاة طوعاً، كي يؤدي صلاته بشوق واندفاع وحضور للقلب. فالاكراه باسم الدين لا يجدي نفعاً.

ومن الضروري أن يجد الطفل ارتياحاً مع شخص آخر ملتزم دينياً. لأن مثل هذا الإرتياح والأُلفة، يكرِّس الانضباط الديني في اعماق نفسه. ولو أنه اعطي الحرية في العبادة كما هو حر في الفكر، واتُبِعَ معه هـذا الاسـلوب مبكّراً أي قبل العاشرة او حتىٰ قبل الثامنة من العمر، فسيعطي هذا الاسلوب ثماره لاحقاً، وتتركز الأُسس في نفسه.

□ هـ ـ المحاذير:

تتطلب التربية الدينية للأطفال الالتفات الىٰ بعض النقاط، والحذر مـن أخرىٰ لكي تكون التربية أنجح وأجدىٰ، ويمكن الحديث عن هذه النقاط في ابعاد متعددة، أهمها:

١ ـ عند الإجابة علىٰ اسئلتهم: عـلينا أن نـتذكّر أنّ مـدىٰ فـهم الطـفل للمسائل الدينية محدود جداً، وهو الذي يدفعه لطرح الكثير من الأسئلة في الحقول المختلفة لتوسيع دائرة معارفه. ان في اسئلته دلالة علىٰ رغبته فـي جعل معلوماته الدينية عقليةً وقائمة علىٰ البرهان. وهذه نقطة ايجابية يمكن للمربي استثمارها.

المهم هو تقديم الاجابات علىٰ اسئلته وينبغي ان تكون صحيحة ومُقنعة.

فالوضع لا يتطلب الاجابة المدعومة بالاستدلالات القويّة والمعقدة، لأنه قد لا يدرك حقائقها لعدم امتلاكه لمقومّات الفهم المنطقي المبرهن، ولكن من الضروري أن تكون الإجابة قاطعة بحيث تقنعهُ لا أن تُسكتَه. ويجب أن يتقبّلها قلبهُ الطاهر البريء، ويستسيغها ذهنه ويضعها في موضعها المناسب.

والنجاح في هذا المجال يتوقف علىٰ مدىٰ المعلومات والمعتقدات التي يمتلكها الوالدان والمربون، ومدىٰ ايمانهم بما يُقَدِّمونه لَهُ من الأجوبة. فإن كانت لديهم قضيّة غامضة في مجال معين فليتجنّبوا ذكرها وليضعوا أنفسهم في موضع فهم وادراك وظرف الطفل، عند الإجابة علىٰ سؤاله.

٢ـ اجتناب الانعكاسات التربوية السيّئة: تنشأ الكثير من الشبهات والإنعكاسات التربوية السيئة من جهل، أو عدم انتباه المربين، وقد يكونون معذورين في ذلك، لأن بعض المستشرقين الحاقدين، والأصدقاء الجهلة والأعداء قد لوّثوا الأفكار بالروايات والأساطير التي اختلقوها باسم الدين وأدخَلوها عن عمدٍ في اطار الحياة الاجتماعية.

فاذا دخلت المعتقدات والأفكار الخاطئة الىٰ الأذهان، لا تخرج منها بسهولة، والأسوأ من ذلك هونقلها الىٰ الأجيال الأخرىٰ ورسوخها في اذهانهم ؛ فيجب اذِن تعليم الأطفال مسائل دينية لا تستدعي الإصلاح في ما بعد.

فالصورة التي يخلقها الوالدان والمربّون في أذهانهم عن الاعتقاد بالله، والايمان بالدين واحكامه يفترض ان تكون بشكل يغرس فيهم روح الدين بشكل صحيح، وأن لا يجد الطفل المسائل التي تعلّمها تتنافىٰ الان وفيما

بعد ـ مع الحق والحقيقة. والغاية من كل ذلك جعل المعتقدات الدينية للأطفال قريبة من واقع الحياة اليومية، ومن التجارب والمعلومات التي يحصل عليها من البيت والمدرسة.

٣ـ التعوّد علىٰ العادات الدينية: لنجعل حياتنا وحياة عائلتنا حياة دينية، بحيث تَتَطَبَّع كل تصرفاتنا وعلاقاتنا ومأكلنا ومشربنا ومواقفنا بطابع الدين. ولتكن صلاتنا في اول الوقت، ولننظم برنامجاً للطفل في اللعب والتسلية والراحة بشكل يكون فارغ البال في هذه الساعة لكي يجارينا في الصلاة.

يحتاج الطفلُ أن نُحيِي فيه روح حب الخير لبني الانسان ، لا سيما اذا لاحظ وجود مثل هذه الخصلة لدينا حتىٰ يتعلّمها منا. كونوا طليقي المحيّا في التعامل مع الآخرين، فحصيلة ذلك طلاقة محيا أبنائكم في تعاملهم مع الأخرين ايضاً، أكثروا من ممارسة العمل الذي ترغبون ان يتحلىٰ به أبناؤكم، فسيعتادون علىٰ ممارسته تدريجياً حتىٰ يمسي خصلة متجذّرة فيهم.

فالصفات الدينية ضرورية لأبنائنا الذين نطمح في تنشئتهم تَنْشِئة دينية ولو أننا واصلنا هذه السلوكية (طلاقة المحيا وممارسة العمل الطيب) فان نرىٰ علىٰ الشخص ـ الطفل ـ أي ضجر أو عجز عن اكتساب مثل تلك الصفات، بل ستُتَّخذ برنامجاً عادياً وطبيعياً لا تَكَلُّف فيه. ونشير أيضاً الىٰ انه ليس المقصود من العادة هنا الشكل المكرر والتلقائي للعمل الذي يتطلب الانتباه والحضور الذهني، بل الغرض هو غرس تلك العادة لدىٰ الشخص فلا يشعر معها بالتكلف في اداء العمل، كالصلاة مثلاً، فعندما يقوم الشخص

بأدائها لا يشعر بالتعب والضجر منها.

٤ـ**التعب الجسدي والذهني**: يطمح كل منا في ان يتربىٰ أبناؤه ملتزمين بالدين وتعاليمه، لكن ينبغي أن لا نميل الىٰ إرهاقه بالعبادة والممارسات الدينية الأخرىٰ حتىٰ لا يسأمها وينفر منها. فالطفل الذي يُرهقُ بالعبادة منذ الصغرِ يُفضِّلُ البقاء بلا دين أو أيّة التزامات دينية.

وقصدنا من هذا الكلام هو أن نأخذ بنظر الاعتبار ـ في الفرائض والعمل بها ـ القدرة الجسدية والتحمل الفكري والنفسي والعاطفي للطفل، ثم نلاحظ مدىٰ قدرته واستعداده للعمل والتحمّل. فلا نتوقع منه وهو في السابعة من العمر ان يشارك مع ابيه في احد المسيرات ويواصلها حتىٰ نهايتها ويردّد الشعارات كما يردد ابوه. فهو طفل وسريع التعب، ولا يحتمل ان يجلس مَنْ هو في العاشرة من عمره في احد المجالس الدينية ويبقىٰ هادئاً وصامتاً لمدة ساعتين او ثلاث ساعات، او يشارك مثلكم في الدعاء وشعائر العزاء والمراثي.

لقد أظهرت الدراسات والتحقيقات ان اكثر الأشخاص غير المتدينين أو المعادين للدين ينحدرون من فئتين: الأولىٰ، هم الأشخاص الذين لم يتلقّوا في فترتي الطفولة والصبا أية تربية دينية، والفئة الأخرىٰ هم الأشخاص الذين اقترنت تربيتهم الدينية في عهد الطفولة بالخشونة والشدة أو الاكراه علىٰ اداء بعض المسائل بدون فهم لمعناها.

□ و ـ تحذيرات

غالباً ما يؤدي جهل الوالدين والمربين أو تجاهلهم وتساهلهم الىٰ ايجاد مشاكل للطفل يصعب عليه تلافيها في المستقبل، كأن يلجأ بعضهم الىٰ عزله أو إبعاده عن التربية الدينية علىٰ اساس انها لا زالت مبكرة بالنسبة له الا انهم يُفاجأون بعدم امكانية فعل أي شيْ. أو قد يقوم بعضهم يتعليم الطفل أموراً خاطئة أو معكوسة علىٰ أمل اصلاحها مستقبلاً في مراهقته او عند بلوغه ، ولكنهم سيكتشفون يوماً أنه قد سبق السيف العدل وأنَّ فرصة التربية قد ولّت، ولو أرادوا فعل شيءٍ الآن فهنالك المئات من العوارض والصعوبات التي تقف في طريقهم.

ومع أن التربية تبدو سهلة وبسيطة، الا انها في رأينا عمل شاق وذلك إننا نتعامل مع انسان صعب ومعقّد، ولا نكاد نملك من المعلومات عن الانسان الّا النزر اليسير، ودراسة الأبوين والمربين عن نفسية الطفل وسلوكه ضئيلة واغلب الناس لديهم أفكار متطرفة عن المواضيع التربوية، ويتصورون انهم يعرفون كل شيء، بينما الحال ليس كذلك. فبعض الناس يطالع عشرات الكتب من اجل التعرف علىٰ الميكروب، أو النحل، او البهيمة، وأنا علىٰ يقين بأنكم تعتبرون أبنأكم أسمىٰ وأفضل من الميكروب اوالنحلة او الخروف.

اما عدم مبادرتكم للحصول علىٰ المعلومات المفيدة والكافية لتربية ابناءكم، فهو موضع نقاش وتساؤل.

◻ سر التخلي عن المعتقدات:

ولكن ما هو السر الكامن وراء تخلي بعض الأشخاص عن معتقداتهم علىٰ الرغم من نشوئهم في عوائل متديّنة؟ والجواب يتضح الىٰ حدٍ ما من خلال التحليل الذي استعرضناه سابقاً. وأود هنا لفتَ انتباه بعض الوالدين الراغبين في تنشئة أبنائهم تنشئة دينية الىٰ التمعّن في النقاط التالية لمعرفة السر الكامن وراء تخلي أبنائهم عن الدين، أو الاتصاف بالنزعة اللادينية.

١ـ عدم الوعي الكافي بالمسائل الدينية وهو ما يفضي الىٰ الاعتقاد بأن الدين فكرة عبثية لا جدوىٰ من ورائها.

٢ـ التناقض بين قول وعمل كل من الوالدين والمربين مما يدفعه الىٰ إساءة الظن بهم.

٣ـ استخدام الأساليب الفظة والغليظة في التربية الدينية، وفرض الطاعة العمياء البعيدة عن كل فهم أو نقاش.

٤ـ افتقاد القدرة علىٰ الاستدلال المنطقي في هذا الصدد، والتي يُعتبر وجودها ضرورياً لكل شخص لأجل الدفاع عن معتقدِهِ.

٥ـ شيوع الكثير من الأوهام والخرافات والأساطير باسم الدين وهذا ما يسيء الى سمعته.

٦ـ عدم الربط بين الدين والعلم لا بل وحتىٰ الإيحاء بتضادّهما.

٧ـ التأكيد ـ باسم الدين ـ علىٰ وجوب هجر كل انواع اللذة، بدعوىٰ ان اجتناب اللذات من مستلزمات التدين.

٨ـ وجود الهوّة الشاسعة بين ما يَطرحهُ الدين من تعاليم، وبين التطبيق العملي في المجتمع من قبل القائمين بأمر الدين.

٩ـ تحميل الطفل ما يفوق طاقته الجسمية والنفسية، مستغلين بذلك خجله.

١٠ـ عدم اعداد الأرضية الكافية لدىٰ الطفل، حتّىٰ أنَّ انشداده الىٰ التلفزيون يصرفه أحياناً عن التوجّه الى الصلاة.

١١ـ العلاقات الاجتماعية المتفسّخة التي تعريه بالجرى وراء المفاسد.

١٢ـ المظاهر الاجتماعية المشجِّعة علىٰ الفساد، والإيحاء المغرض الذي يقف وراءه الجهلة، والأعداء المتلبّسون بثياب الأصدقاء، أو حتى الاستعمار في بعض الحالات ايضاً.

□ نحن أُمناء عليهم:

ولا ننسىٰ في جميع الأحوال إننا أُمناء الله عليهم، وهم أمانة الله بأيدينا. وبعد بلوغ سن التمييز تصبح مسؤوليتهم فيايديهم وفي ايدي المجتمع وعلىٰ عاتق زعماء الدين والأصدقاء. اننا مسؤولون ازاء هذه الأمانة وعلينا اداؤها.

والمصيبة تصبح أعظم فيما لو أهملنا التفكير في أمر انفسنا، وفي أمر أبنائنا. إنّ التهاون والتساهل في اداء الواجب تترتّب عليه عقوبات قاسية إننا أمام أنظار جيل انظاره مشدودة الينا ليرىٰ ما نصنع، وأسماعه مصغيةٌ إلينا ليعلم ما نقول. نحن مسؤولون عن حُسن أو سوء سلوكهم. والواجب يحتم علينا تنشئتهم تنشئة دينية وشدهم فكرياً الىٰ المالك الأصلي وجعلهم من

عباده الصالحين.

نحن مسؤولون عن اداء هذه المهمة أمام اللّٰه اولاً، وأمام الطفل والمجتمع ثانياً. وإن تربيتهم دَينٌ لهم في اعناقنا، والتقصير في اداء ذلك الدين يستوجب العقوبة. فالمجتمع ينتظرُ منّا رفده بالجيل الصالح والمتربّي الذي يأمَنُ الناس من شر يده ولسانِهِ. ولا يقتصر الأمر علىٰ ذلك بل ان تلك المهمة تُعتبر مسؤولية علينا تجاه أنفسنا لأن أبناءهم ثمرة حياتنا، ويجب أن تتمّ تربيتهم وبناؤهم بأحسن مايمكن. وبراعم اليوم يجب أن تثمر غداً بأفضل الثمار.

□ بِمَنْ نَسْتَعينُ علىٰ تربيتهم؟

يجب الاستعانة ببعض الطاقات والخبرات لتنشئة أبنائنا كما ينبغي، ونبدأ بأنفسنا أولاً، فَنَسْتَلهِمُ منها العزم والارادة، ونشمِّر عن ساعد الجد لنصنع من طفل اليوم رجلاً صالحاً غداً. وثانياً الاستعانة بالمتخصصين وأصحاب الخبرة، والمسؤولين التربويين، ومعلمي الأخلاق، والمتخصصين في دراسة وفهم القرآن لكي يقدموا لنا المعلومات اللازمة في هذا الصدد. كما ينبغي استغلال الفرصة المتاحة من قبل المجتمع، واستثمار الامكانات التي تقدمها الحكومة والأجهزة التربوية في سبيل بناء الانسان الذي يطمح اليه الاسلام.

ينبغي الاستعانة برب العالمين أولاً وأخيراً، فهو قريب الدعاء سريع الاجابة لحفظ هذه الثمرة وإيصالها الىٰ أوان نضجها. وهذا هو نفس الدافع الذي حدا بالنبي ابراهيم(ع) لمدّ يد الدعاء الىٰ اللّٰه تعالىٰ وكذلك فعل النبي

الأكرم(ص) والأئمة الأطهار(ع) الذين كانوا كثيراً ما يتوسّلون الىٰ اللّٰه كي يعينهم علىٰ تربية جيل مطيع للّٰه جل شأنه عابد له، ونحن مأمورون باتّباعهم لا سيما في هذا الباب.

التربية الدينية للطفل

٤ ـ التربية الدينية للطفل

مقدمة:

تقييم الوضع العالمي الراهن:

نعيش اليوم في عالم يغلب عليه طابع الرعب والخوف، ويغمره الاضطراب والحيرة والشعور بالوحدة والحذر والترقب، وهو حصيلة لما جنته يد البشر، وكان الواجب عليه صرفه في سبيل رفاهه وسعادته، بدل أن يكرسه للدمار والخراب واحراق الأخضر مع اليابس، وتدمير الحرث والنسل، والقيام بالأعمال غير النافعة كالرحلات الفضائية.

يكثر في عالم اليوم المجرمون من الرجال والنساء، ومرتكبو الجرائم والجنح من الفتيان والأحداث، ويتزايد فيه عدد المنحرفين من الصبيان والمراهقين، وهو عالم اضطربت فيه الأركان المقومّةُ للحياة الأُسرية،

وارتفعت فيه نسبة الطلاق بشكل فاحش.

ويسود في مجتمع اليوم، الزيف والخداع، والرياء والتزوير، والأنانية والنزعة الذاتية، والعناد والغرور، ويكثر فيه الادمان علىٰ مختلف انواع المخدرات والمشروبات والرذائل الأُخرى، وتطغي عليه مظاهر القتل والانتحار. أغلب الناس في هذا العالم يغطّون في سبات عميق، وعلىٰ مستوى الشعوب في غفلة وجمود، ولم ينتج عن الهيمنة والضغوط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، سوىٰ انتشار الأمراض النفسية، والاضطرابات والقلق، إضافة الىٰ دفع اعداد كبيرة من الناس نحو العبثية الباطلة.

يمكن الاشارة هنا الىٰ عامل الثقافة والتربية باعتباره واحداً من عشرات العوامل لهذه الاضطرابات، والتأكيد علىٰ ان كل هذه العوارض والرذائل حصيلة عمل الأجهزة التربوية في العالم.

لقد سعت الأجهزة التربوية في العالم الىٰ تربية أُناس جهلاء يهرعون لتلبية حاجات البدن فقط، متجاهلين متطلبات الروح. وقد دأبت النظم التربوية علىٰ إثارة الغرائز بدل العمل علىٰ تقويمها وتهذيبها ، وعملت علىٰ اغراق الأهواء النفسية بدل اشباعها بشكل منتظم ومدروس .

ركزت هذه النظم التربوية علىٰ تربية الانسان علىٰ بعد واحد، وهو البعد المادي، فأصبح الانسان يصبّ كل جهده علىٰ تحقيق مصلحته الشخصية، ويتهرب من ادنىٰ شعور بآلام الأخرين. فهو لا يفكر بسعادة ورفاه المجتمع ولا يهتم بملء فراغه الروحي.

ولا شكَّ أن الجميع مقصرون ومسؤولون عن هذا الوضع الذي تتخبّط فيه الانسانية اليوم. وأول المقصرين هم الوالدان لافتقادهم لبرنامج صحيح لتربية أبنائهم، وحتىٰ ان بعضهم طرح عن نفسه وزر المسؤولية، وجعل البشرية تواجه معضلات جديدة حين قصر مسؤوليته علىٰ توفير الطعام واللباس والسكن للطفل، ولم يعتبر نفسه مسؤولاً عن تهذيب غرائزه، وتوجيهه بالتربية الفكرية والروحية الصحيحة وللأسف إن أولئك الذين لديهم الثروة الكافية أوكلوا أمر تربية اطفالهم الىٰ الخادمات والحاضنات، وغفلوا ان تربية الطفل تحترق لها قلوب الوالدين، بينما لا يمس ذلك من الخادمة شيئاً سوىٰ حجرها، وأن طفلهم لا يساوي عندهم حتىٰ قيمة الاثاث أو المنضدة أو السجاد الموجود في البيت، لكي يمسحوا بأيديهم علىٰ رأسه مرّة واحدة كل يوم علىٰ اقل تقدير.

والمقصرون في الدرجة الثانية هم المعلمون والمربّون، لأنهم لم يوفوا ـ بشكل جيد ـ حق الأمانة التي وُضِعتْ بأيديهم. فلم يهذبوا أفكارهم كما ينبغي، ولم يجعلوا من أدمغتهم مخازن لنفيس الجواهر الأخلاقية والنفسية والأدبية وأنفقوا كل جهودهم علىٰ تعليمهم لا تربيتهم.

ومسؤولو المجتمع مقصّرون أيضاً إزاء هذه الأوضاع المضطربة التي يُعاني منها مجتمعهم، لأنهم اَخذوا بنظر الاعتبار بُعداً واحداً للانسان في برامجهم وخططهم وهو البُعدُ الماديّ، ولم يضعوا في حساباتهم مطلقاً التخطيط لاشباع حاجاته الفكرية وإرواء روحه المتعطشة لمعرفة الحقائق.

وعلىٰ كل حال، إذا كانت هناك نيّة لاجتثاث هذه الأوضاع القلقة فهي، لا

تـتمُ عـن طـريق تكـثيف الرحلات الفضائية، ولا عـن طـريق زيـادة الاختراعات، او توفير المزيد من وسائل الرفاه ، ورفع المستوىٰ الاقتصادي ومضاعفة دخل الفرد، بل يتمّ ذلك عن طريق اصلاح البرامج التربوية لا غير.

□ وجوب تربية الطفل:

لنتحدث أولاً: عن معنىٰ التربية، ونطرح السؤال التالي: ما هي التربية؟ وهـناك طـبعاً أجـوبة مـختلفة يـطرحـها أصـحاب المـذاهب والأديـان، والمتخصصون في فروع العلوم الانسانية، فقال بعض علماء الاجـتماع: إن التربية عبارة عن إعداد الأفراد الصالحين للمجتمع.

وقال بعض علماء النفس: إنها تعني المراقبة الدائـمة للـحياة وهـي فـي طريقها لانضاج وإحداث التـغيير فـي الفـرد بـهدف ايـجاد القـدرة عـلىٰ الإدراك، وإعداد الأرضية للاستقلال الفكري.

وقد اعتبر بعضهم التربية إحداث التغييرات المطلوبة.

أما من وجهة النظر الاسلامية فيمكن القول: إن التربية هي عـبارة عـن الهداية وتوجيه المسـار التكـاملي للانسـانية، أو خـلق الأرضـية الجـديدة المساعدة للفرد علىٰ النضوج والتكامل في جميع المجالات.

وبعد ان لاحظنا التعاريف الواردة اعلاه بشأن التربية، يمكن القول بانها:

١ـ عمل واع ومقصود.

٢ـ تُطَبَّقُ علىٰ الفرد أو الأفراد من قِبَل جهة مقتدرة.

٣ـ ذات هدف وغاية.

٤ـ غايتها المثلىٰ إِصلاح الفرد والعمل علىٰ إِنضاجه، وتكامله في جميع الجوانب.

٥ـ عمل متواصل، ومن خصائصه الاستمرارية والدوام.

□ ضرورة التربية:

إن التربية بهذا المفهوم ضرورية للانسان من الوجهة الفردية، والاجتماعية، والسياسية، والمعنوية، والثقافية، وتتمثل ضرورتها في الجانب الفردي في تنامي ونضوج البدن، وفي تربية الفكر والشخصية، وتعريف الأنسان بواجباته الشخصية، وخلق الثقة بالنفس، ومعرفة الذات، والعثور علىٰ فلسفة صحيحة للحياة من أجل إقتفاء الطريق الأفضل للسعادة في الحياة.. الخ

أما في الجانب الاجتماعي، فتتجسد ضرورة التربية في إعداد الفرد وجعله عنصراً مفيداً لمجتمعه وللمجتمع الانساني عموماً، متحلياً بالخصال الحميدة وحب الخير للاخرين، وقادراً علىٰ هضم الظروف الاجتماعية ومعرفة ملابساتها بروحية التفاهم والشعور بآلام الآخرين.

وفي الجانب الاقتصادي يمكن تلخيص ضرورة التربية، في كلمة المُنتج بمعناها الشامل، أي ان يكون للشخص القدرة علىٰ توفير الحاجات الاقتصادية، وان يكون كفوءاً في عمله، ومتناسباً مع نوعية العمل الذي يؤديه.

وتتضح ضرورة التربية في الوجهة السياسية من خلال تربية الانسان العارف بالشؤون السياسية المعاصرة، وطبيعة الأنظمة السياسية، وان يتبع

الفكر السياسي الصحيح، وان تتركز مساعيه علىٰ بث وتقوية الروح الديمقراطية الصحيحة، ويدرك سبل تكوين العلاقة مع الحكومة، ولديه معرفة بواجبات الحاكم وحدود عمله، والأساليب الصحيحة في اجراء القوانين سواءً كان ذلك علىٰ مستوىٰ القيادة ام علىٰ مستوىٰ القاعدة.

أما ضرورة التربية في الجانب الثقافي فهي من أجل أن يكون التراث الثقافي في حالة تطور وإتساع دائم ومتواصل، ولغرض أن يكون لدىٰ الانسان القدرة علىٰ استثمار مختلف أبعادها وفوائدها في شؤون حياته المختلفة.

وأخيراً فالتربية ضرورية في الجانب المعنوي الذي تحقق في ظله علاقة الانسان بخالقه، وبالظواهر المادية، وظواهر ما وراء المادة وفقاً لقوانين محدده وواضحة، يجتاز الانسان في ظلها بحر الحياة المتلاطم الىٰ شاطئ الأمان. والموضوع الذي يهمنا في هذا البحث هو التربية الدينية التي تُعتبر فرعاً من التربية بمعناها العام.

□ مفهوم التربية الدينية:

التربية الدينية هي في الحقيقة مجموعة التغييرات التي تحصل في فكر وعقيدة الشخص بهدف خلق نوع خاص من العمل والسلوك القائم علىٰ الأُسس الدينية، وبعبارة أُخرىٰ هي التغييرات والتطورات التي تحصل في فكر وعقيدة الأفراد وتتكون من خلالها الأخلاق، وتتخذ العادات والأدب والسلوك والعلاقات الفردية والاجتماعية في ظلها طابعاً شرعياً ودينياً، يبرز خلالها الدين كعنصر فاعل وسائد في حياة الشخص بمختلف أبعادها

وآفاقها الرحبة.

ولأجل دراسة هذه المسألة بشكل أعمق، ينبغي لنا أولاً: تحديد الأُمور التي نرتجيها من الدين . لا شك إننا نأمل من الدين أن يُحدد لنا نمط العلاقة التي يجب أن تقوم مع الظواهر والكائنات الأُخرىٰ المحيطة بنا. وكلما إتّسعت قواعد الدين وتعاليمه، كلما إتسعت وتعددت انواع العلاقات والضوابط.

وبناءً علىٰ هذا يجب علىٰ دينٍ كالاسلام الذي هوخاتم الأديان أن يقدم ضوابط وعلاقات متعددة عامة شاملة بحيث تغطي كل جوانب الحياة الإنسانية وتطبعها بطابعها. فعلىٰ الدين ان يخطَّ لنا المسار الذي ينبغي التزامه في جميع أوجه الحياة، ويحدد لنا نوع العلاقة مع الظواهر والكائنات في هذا العالم.

يتضح مما سلف أن عمل الدين يتلخص في تحديد الأُسس والقواعد التي يجب ان تسود العلاقات؛ والتربية الدينية هي عبارة عن العمل الهادف الىٰ تحكيم القوانين والتعليمات في تلك العلاقات.

□ ضرورة إيجاد القوانين التي تحكم العلاقات:

إن القوانين التي وضعها الدين للعلاقات الانسانية تُعتبر أكثر ضرورة من أية قوانين أخرىٰ، وذلك لأن الانسان، في هذا العالم الذي غمره التطور الصناعي، لم يبق عليه أية واجبات إزاء مجتمعه إلا من الوجهة الدينية. لقد كان عالم النفس النمساوي فرويد يظن بأن المجتمع لن يحتاج الىٰ الدين، وسيكون التقدم الصناعي وحده كافياً لتسيير شؤون الانسان.

إلا أن تجاهل سماسرة الحروب العالمية لقيمة الانسان، وأضرار الخراب والدمار والمجازر الواسعة، وأعمال القتل والنهب التي طالت النساء والرجال، والشباب والشيوخ والأطفال، والتي لم تنج منها حتىٰ الحيوانات والمباني، دفعه الىٰ العدول عن رأيه وإعادة النظر في تصريحاته وأقواله.

يقول عالم النفس الشهيد آدلر الذي يستمدّ أقواله من تجاربه التي قام بها طيلة ثلاثين عاما: إن جميع المصابين بالأمراض النفسية لا يتماثلون للشفاء ما لم يستعيدوا مشاعرهم الدينية.

وعلىٰ كل حال، فالدين يعني طرح القوانين والأحكام والعلاقات الانسانية، والتربية الدينية تعني تطبيق تلك الأحكام والقوانين في حياة الناس.

□ الغايات المرجوّة من العلاقات:

يُمكن القول أن علاقات الانسان يمكن تقسيمها الىٰ ثلاث شُعب وهي: علاقته مع نفسه، وعلاقته مع ربّه؛ وعلاقته مع العالم بمعناها الاوسع، وعلىٰ التربية الدينية أن تغطي هذه الجوانب الثلاثة بكل تفاصيلها. وهذا يعني أن لدينا ثلاثة أنواع من القوانين لثلاثة اشكال من العلاقات. وسنحاول في ما يلي استعراض هدف كل واحد من تلك العلاقات باختصار، مع تناول اساليب الوصول الىٰ تحقيقها.

□ الهدف من علاقته بذاته

إنَّ باستطاعتنا ان نقول بشكل عام بأن الهدف المنشود من العلاقة بالذات

هو نوع من التجديد الهادف الىٰ بلوغ السعادة، وان السعيد هو من يتصف بالجسم السليم، والفكر المتجدد لاكتساب الفضيلة، والروح المقتدرة الحُرة.

من الواضح لدينا أن السعادة تُكْتَسب وتُنال ولا تأتي عفوياً، وان الاستعداد لها وبناء الذات لغرض الحصول عليها ضروري، إلّا أن بناء الذات يحتاج بنفسه الى مقدّمة وهي معرفة الذات. ومعنىٰ هذا أن التربية الدينية عليها واجبان في هذا المجال؛ الأول: معرفة الذات، والثاني بناء الذات. وعلىٰ المتصدّي للتربية الدينية أن يلتفت الىٰ هاتين النقطتين عند الطفل:

أـ معرفة طبيعة الطفل

يمكن تقسيم الجوانب التي يتمّ من خلالها دراسة الانسان ومعرفته إلى: الجانب الذي يهتم به علم الأحياء؛ والجانب الذي يدرسه علم النفس؛ والجانب الذي يدرسه علم الإجتماع؛ وقد طرحت الأديان والمذاهب رأيها فيه أيضاً، ولا يتناول بحثنا هنا تفريع تلك الآراء والخوض في تفاصيل كل منها، بل نعطي صورة توضيحية للخطوط العامّة لهذه المواضيع.

الانسان كائن ترابي النشأة، خُلِق مقروناً بالمعاناة، ويمر بمراحل عديدة، وهو ذو تركيب مزيج من المادة والروح، وله ظاهر وباطن، ظاهرة من الدم واللحم وهو مكوّن من العناصر الموجودة في التراب، وباطنه النفس والعقل، ومصدرهما العالم العلوي.

الانسان مخلوق كريم، ومستخلف من الله، ومُسخَّر له كل ما في الأرض

والسماء يبدو من بين الكائنات الأخرىٰ وكأنه قطرة منحدرة من قمّة جبل الىٰ ساقية ثم لتدخل منها في محيط الأبد.

أما الجانب السلبي فيه، فهو كائن ضعيف، وفي نفس الوقت مغرور، وهو مملوء زهواً واعجاباً. يحيد عن الحق والحقيقة، ولكن يطلبه من الآخرين. حريص وبخيل، يرجو من الأخرين الهبة والتكرّم عليه ولا يَهَبُ أحداً ولا يكرم آخر. جاهل لحقيقة الخلقة، ظلوم جهول.. يراوح بين الحرص والبخل، فهو حريص علىٰ جمع المال من جانب، وبخيل في توزيعه من جانب آخر.. معتدٍ وغشوم. إذا امتلك القوة استخدمها في سبيل مصلحته الشخصية، وهو مع امتلاكه القوة ضعيف.

اذاجاع صَرخ، واذا تألم بكى، بعيد المدىٰ، وطويل الامل لكنه في نفس الوقت يتأثر بأدنىٰ ضرر.

أما في الجانب الايجابي، فإنه كائن ينشد الكمال، ويتطلع اليه، وعلىٰ الرغم من طغيان غرائزه فبامكانه ترويضها، ورغم كونه ترابي النشأة فبامكانه بلوغ مقام القرب من الله، خلافاً لادّعاء جان بول سارتر الذي يرىٰ أن قيمته لا تساوى حتى قطرات المني التي خُلِق منها، ولو شاء ـ لتمكن ـ بجهده وتركيز قدراته العقلية وقواه الارادية ـ أن يكون في مصاف الملائكة، أو اعلىٰ مقاماً. ومع ما يبدو من صغر حجمه، الّا ان العالم الأكبر منطوٍ فيه، ولو أنه تمسك بكتاب الله واطاع ربه، لأضحىٰ بمقدوره أن يفعل فعل الله، اي يتمكن من التصرف فيالكون، واخضاع كل ما فيه من ظواهر لإرداته، ومع أن الانسان ترابيالمنشأ، اِلا أنه بعض صفات الله متجليّةٌ فيه

انطلاقاً من تلك النفحة الربانية التي يمتاز بها.

وبالرغم من جموح نفسه وطغيانها، إلا أنه قادر علىٰ لجمها واخضاعها لإرادته. يمكن للمربي ممارسة عملية بناء الانسان استناداً الىٰ هذه المعلومات التي يمتلكها عنه.

ب ـ بناء الطفل

لقد سبق ان عرّفنا السعيد بأنه الشخص الذي يمتلك جسماً متميّزاً بالسلامة، وعقلاً سائراً في طريق الفضيلة والارتقاء، وروحاً قادرة مقتدرة.

وعلىٰ هذا الأساس ينبغي أن يشمل بناء الانسان ثلاثة جوانب: الجسم، والعقل والروح .

١ـ تكمن أهمية بناء الجسم في كونه موضع استقرار النفس، وتجلّي العقل قائم به والعناية بنموه ونضجه، والمحافظة علىٰ صحته وسلامته ، ومنحه الراحة والهدوء والسكينة بالقدر اللازم، وايجاد نوع من التناسق والانسجام بين اعضائه، وتغذيته من الطيبات، والرزق الحلال ، ووقايته من عوامل الطبيعة حفاظاً علىٰ سلامته.

٢ـ تربية العقل: وتهدف الىٰ تهذيبه لكي يقوم بدوره في طرح الأفكار الإيجابية ، وصيانته من الانصياع للخرافات، والتقاليد البالية، والإيحاءات الفاسدة، ولغرض تنمية القدرة لديه علىٰ الاستنباط والاجتهاد في الأُمور، وتطويعه نحو التفكير في الحصول علىٰ المعاش، وطاعة الدين وقانون الحياة الذي يستسيغه العقل، والتدبر في شؤونه الحالية والمستقبلية.

٣ـ تربية الروح؛ والغاية من ذلك اكسابها القدرة علىٰ تطويع الغرائز،

وموازنة الأحاسيس والعواطف، والسعي نحوالسير التكاملي لبقاء النـفس، والعناية بسلامتها وتقوية دورها، والاهتمام بتحليتها بكل ما يزينها واجتناب ما يشينها، والميل الىٰ الحق والدفاع عنه، والسيادة علىٰ النفس، وحفظ الشخصية، ووحدة الكيان، والقدرة على التزام السكينة في مقابل هجوم الحوادث والوقائع، والتحلي بروح التضحية والايثار، وحب الخير، والصبر في المصائب، وصفوة القول: التحلّي بالمثل الانسانية السامية.

ويمكن القول ان التربية بشكل عام تعني بلوغ الانسان درجة يستطيع معها إدخال المعنىٰ في المادة، وإعطاء الحياة طابع المفاهيم المعنوية الأصلية، وتقديم التضحيات في سبيل الحق، ومن ثم الوصول أخيراً الىٰ ادراك أنّه «**ليس لأنفسكم ثمن الا الجنّة فلا تبيعوها الا بها**». «الامام علي(ع)»

◻ اهداف العلاقة بالخالق:

الهدف العام هو بلوغ مقام القرب من اللّٰه القادر المطلق ، ونيل رضاه، وحُبه حُبّاً ملائكياً يُزيل الحجب عن البصائر، وينير أعماق القلب والحياة. وهذا الأمر يستلزم معرفته ، ثم عبادته:

أـفي مجال معرفة اللّٰه: بأن ندرك بأنه المصدر الخالد لهذا الوجود، ولا أحد ولا مصدر ينظم أمور هذا العالم سواه. لم يتخذ شريكا حين فطر السموات والأرض وبيده ملكوت كل شيء، ولا شيء خارج عن قدرته، لا ترىٰ في نظامه أو فعله أي ضعف اوخلل، هو العلم والغنىٰ المطلق، قدرته وحياته مطلقة، وهو أزلي وأبدي، واحدٌ أحدٌ.

ليس هو الهنا وحدنا، بل هو ربُّ العالمين، ورب كل الظواهر والأزمنة والشعوب، هو اللّه الحي المريد المدرك، هو مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة (كما قال الامام علي«ع»).. علىٰ علاقة بمخلوقاته، لكنّها علاقة العالم بالجاهل، وعلاقة الغني بالمحتاج والمالك بالعبد، العبد الذي لا يمكنه الخروج عن ريقه قدرته، ولا إخفاء اسراره من علمه.

ب ـ في جانب العبادة: نودّ الاشارة ـ أولاً ـ الىٰ أنّ العبادة هي ارفع الطرق لبلوغ الكمال. العبادة معناها تمهيد القلب ليكون دائم الارتباط باللّه بحيث لا يصدر منه عمل او سلوك إلا بعد استشارته أو معرفة احكامه وسننه. والعبادة من الآثار العلمية للعلاقة مع اللّه، وهي العلاقة الموسومة بالمتاجرة معه، والخوف منه، ومحبّته والإنابة اليه.

والعبادة كما توصف علىٰ حقيقتها لا تشمل اللحظات التي يقف فيها الإنسان بين يدي ربّه فيحمده ويثني عليه ويعرض عليه بثه وحزنه ويتوسل اليه متضرعاً مستكيناً فحسب ، بل تشمل كل لحظات الحياة بجميع آفاقها وجوانبها من سلوك وقول وعمل وتفكير. العبادة ـ في الحقيقة ـ قبول المسؤولية الملقاة من قبل مصدر الفيض ومنبع الكمال، ونتيجتها الحصول علىٰ الأجنحة التي تعين الانسان علىٰ التحليق، لأن التعلق بالقدرة الكاملة المطلقة، يخلق لدىٰ الانسان قدرة خلاقة.

العبادة هي تركيز الجهود لتصبّ في المجرىٰ المؤدي اليه، واستدرار رضاه في جميع الأحوال، والخضوع لأوامره، والتوجّه اليه في جميع الحركات والسكات، والشعور باللذة ونيل الغنىٰ الروحي في ظلّها. إذن

فالارتباط بالله يتطلب الإيمان به كخطوةٍ أولىٰ، وطاعته كخطوةٍ ثانية، وتقواه كخطوةٍ ثالثة، ثم العمل المتواصل بالواجبات وإداء ما عليه من المسؤوليات كخطوة رابعة، وأخيراً: الخطوة الخامسة وهي الاحسان، أي تكون مشيئة العبد متحدة مع مشيئة ربّه.

□ أهداف العلاقة مع الكون:

يقدم لنا الدين كذلك قوانين واحكاماً تنظم علاقاتنا بالعالم بالمعنىٰ الأشمل للكلمة ويجب أن تشمل التربية الدينية هذه التوجّهات ايضاً.

والمقصود هنا من كلمة العالم هي أولاً: الكرة الأرضية، وثانياً: العوالم الأخرىٰ غير الأرض والتي أشار الدين بشكل أو آخر الىٰ علاقات الانسان معها.

فالعالم كما يراه الدين مدرسة ودار للكمال، ويجب أن تأخذ العلاقة به طابعاً مثمراً لإحداث التغييرات المطلوبة، ويجب أن يُستغل لما فيه خير وفائدة الفرد والمجتمع معاً.

تقسم العلاقة مع هذه الكرة الأرضية الىٰ أربعة شُعَب؛ وهي علاقة الانسان بالانسان، وعلاقته بالحيوان، وعلاقته بالنبات، وعلاقته بالجماد.

فعلاقتنا مع النبات والجماد قائمة علىٰ الاستفادة والاستثمار؛ وبعبارةٍ أخرىٰ يمكن استغلالها لما فيه منفعتنا ورفاهنا ورفاه المجتمع من خلال ايجاد التغييرات المطلوبة فيها.

أما في مجال العلاقة مع الحيوانات فهنالك مجموعة احكام بشأنها تدخل تحت عنوان حقوق الحيوانات، فعلىٰ سبيل المثال ورد حديث عن

المعصوم يذكر ستة حقوق للحيوان علىٰ صاحبه، ويجب عليه رعايتها وهي:

١ـ أن لا يحمّله فوق طاقته.

٢ـ ان لا يبقىٰ جالساً علىٰ ظهره عندما يكون في حديث مع الآخرين.

٣ـ أن يطعمه ويسقيه أوّلاً حيثما نزل.

٤ـ أن لا يصم وجهه.

٥ـ اذا عبر به الماء يحب عرضه عليه.

٦ـ ان لا يضربه لأنه يسبح للّٰه تعالىٰ.

ولغرض الحصول علىٰ مزيد من التفاصيل يمكن مراجعة الكتب الفقهية، باب نفقة البهائم، ووردت أيضاً توصيات بشأن بقية الحيوانات حتى الخفاش والقطة والكلب، والحيوانات المؤذية، والنمل وغيرها.

وفي موضوع العلاقة مع الانسان يتسع البحث وتتنوع فيه الأحكام والضوابط ويتوقف نوع تلك العلاقة علىٰ الانتماء الديني للطرف المقابل، او علاقة الدم والرحم ورابطة الجوار، أو رابطة الانسانية. فالعلاقة بالوالدين، مثلاً، علاقة احترام واحسان، **﴿وقضىٰ ربُك ألّا تعبدوا الّا إيّاه وبالوالدين إحسانا﴾**[1].

ويختلف عنها نوع العلاقة مع الأخ والأُخت، وهكذا نوع العلاقة مع الزوجة، أو العم أو العمة او الخال أو الخالة.

الأحكام التي تحدد نوع العلاقة مع سائر الناس متنوعة الىٰ درجة كبيرة، بحيث نرىٰ انفسنا مضطرين لذكر عناوينها فقط دون التطرق الىٰ ذكر

---

(١) الإسراء: ٢٣.

تفاصيل، وتلك العلاقات هي كالآتي.

١ـ علاقة الوالدين مع الأبناء، كالعلاقة بهم من جهة الجنس، وعن جهة التفاوت في الأعمار.

٢ـ علاقة الابن بالوالدين؛ وهي تختلف باختلاف كون الوالدين مسلمين، او من أهل الكتاب، اوكافرين، وتقسم الىٰ علاقة مع الاب، وعلاقة مع الأم.

٣ـ العلاقة بالمحارم، من أمثال العمة، اوالخالة، والعم، والخال، والجد والجدة... الخ.

٤ـ العلاقة بالأرحام من الدرجة الثانية؛ أي أبناء العم، والعمة، والخال، والخالة.

٥ـ العلاقة بالزوجة: الزوجةالمؤقتة، والزوجة الدائمة، وعلاقة المرأة بزوجها والزوج مع المرأة، ومع الزوجة أثناء العدّة.. الخ.

٦ـ العلاقة بالجار، والجار من الأقرباء، والجار الغريب، والجار المسافر، والجار الأخ بالدين، والجار الكافر.

٧ـ العلاقة بافراد المجتمع، وهي العلاقة مع المجتمع الانساني، وقادة المجتمع، والحاكم، وعلاقة قادة المجتمع بالناس.

٨ـ العلاقة بالأخوة في الدين، وان كانوا في غير مجتمعنا.

٩ـ العلاقة بأهل الكتاب، ومنها العلاقة بالإلٰهيين منهم، أو العلاقة مع الآخرين لمجرد كونهم نظراء لنا في الخلق.

□ أساليب التربية الدينية

الاسلوب: هو عبارة عن الطريقة العلمية المتبعة لبلوغ هدف. او هو مجموعة النشاطات التي تيسر لنا بلوغ ما نصبو إليه. وتُعتبرُ الأساليب عادةً طريقاً ميسراً لبلوغ الهدف.

وكما نعلم فإن الناس يأتون الىٰ هذه الدنيا واذهانهم صفحة بيضاء خالية من أية معلومات، وهذا ما يستدعي منا القيام بملىء ذهن الطفل عن طريق العين والأذن والعقل، وقد عرض القرآن الكريم نفس هذا أيضاً. ﴿**والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**﴾[1] وعلىٰ هذا يجب مراعاة هذا الترتيب في اسلوب التربية الدينية،كما يلي:

١ـ **اسلوب تقديم القدوة:** تأخذ العين دورها في هذا الأسلوب فتحيط بالأمور، ويأتي دور الأذن فيالمرحلة الثانية. فقد جاء فيالروايات أن مسألة تعليم الوضوء أول ما طرحت، عندما قام جبرائيل بإسباغ الوضوء عملياً امام النبي(ص) وشاهدها النبي(ص) بعينه وتعلمها وعمل بها. وقال صلىٰ اللّه عليه وآله وسلّم: «**صلّوا كما رأيتموني أُصَلّي**». فتقديم القدوة يعيننا علىٰ غرس المفاهيم الدينية في ذهن الطفل بكل يُسر وسهولة، ودفعهم الىٰ العمل بها لا سيّما وإنَّ حس التقليد قوي جداً عند الأطفال.

---

(١) **النحل**: ٧٨.

المسألة الهامة في هذا المجال هي ان يكـون القـدوة مـثالاً كـاملاً فـي الأخلاق والسلوك الذي يُقرّ الدين صحته. وإن أدنىٰ خطأ،أو إهمال يؤدي الىٰ انعكاسات تربوية وخيمة.

والجانب الايجابي الآخر في القضية هو أن تقليد الطفل لا يصدر عـن وعي دائماً، بل يكون مصدرهُ اللاشعور أحياناً. ولهـذا يـجب عـند طـرح القدوة، أو الأسوة مراعاة الدقة الكاملة، وخاصةً في أمور كالصلاة، وتعليم المفاهيم الدينية والتزام العـدالة، وتشـخيص الحـق، والدفـاع عـنه، وحب الخير، والإحسان، وتقديم الإعانات السخية للمعوزين، وممارسة السلوكية الاجتماعية الاسلامية.

٢ـاسلوب التعليم: يركز هذا الأسلوب علىٰ حاسة السمع، ويتم فيه نقل المواضيع المراد ايصالها الىٰ الطفل، بشكل مباشر.

وهذا الأسلوب يُكمِل ـ في الحقيقة ـ الأسلوب السابق الذكر، حتىٰ انه يُعد للأطفال الأكبر سنّاً مقدمةً للتربية، أي أن الأمر يستلزم أولاً تعلّم بعض الأمور عن طريق العين والأذن، ثم العمل بها، وتطبيقها.

أما الغاية المرجوّة من هذا الأسلوب فهي اصلاح السلوك عـن طـريق النصح والتذكير، أيان يقوم المربّيبتقويم واصلاح اي تصرف خاطيء قد يصدر من الفرد.

٣ـاسلوب التلقين والايحاء: ويمكن من خلال هذا الأسـلوب ايـجاد صلة بين الفرد وربّه ودينه. إذ من المتيسّر ايجاد حالة مـن الخـوف، عـند الطفل أو إحياء الأمل فينفسه من خلال استعراض آيـات اللّـه، ولطـفه،

وكرمه، ونعمه، وحسابه.

يمكن بهذا الطريق شحن قلبه بمفهوم حب الله، وتوعيته علىٰ معنىٰ حب الله، وعدم حبه بأداء كل فعل يرتضيه الله واجتناب كل ما يثير سخطه.

وتتضمن هذه الطريقة أيضاً امتداح عمل الشخص بشكل مباشر، أو غير مباشر وايجاد نوعٍ من الصلة بينه وبين الدين وذلك من أجل احياء الشوق للارتباط بالله بقلبه، وليشعر من وراء ذلك باللذة والسعادة.

٤ـ **طريقة سرد القصص**: وهي وسيلة جيّدة لإثارة مكامن تفكيره، واستخلاص الدروس والعبر، وتنبيهه الىٰ امكانية الهداية من بعد الضلال، وخلق مشاعر لديه لكي يتحسس الأمور بشكل أوضح، ودفعه الىٰ التفكير بشأن العالم الداخلي والخارجي، وتنقية وتهذيب ذلك التفكير.

ويمكن كذلك تعليمه مبادئ الدين واحكامه بشكل غير مباشر عن طريق سرد القصص والحكايات، لأجل أن تصبح تلك القيم هي السائدة في حياته.

وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب أيضاً في تربية الناس، فقصَّ علينا في هذا السياق قصة إتّباع النبي موسى(ع) للرجل الصالح للدلالة علىٰ الصبر والتواضع، وقصة أصحاب الكهف للاشارة الىٰ ايمان أولئك الفتيةِ وقلوبهم الحيّة (كما ورد في الآيتين ١٣ـ١٤ من سورة الكهف) ، ووردت فيها [القصة] اشارة أيضاً الىٰ جزاء الكافرين والظالمين، وإثابة المحسنين (كما ورد في الآية ٨٧ من نفس السورة)، وقصة قارون الذي ظلم وذاق في نهاية المطاف وبال سوء عمله، (الآية ٨١ من سورة القصص)، وأتىٰ

القرآن الكريم أيضاً علىٰ ذكر قصة يوسف(ع) لتجسيد مفهوم الطهارة والعفة (كما يستفاد من سورة يوسف).وورد فيه ايضاً ذكر قصة أصحاب الأخدود الذين كانوا يشاهدون بأعينهم ما جرىٰ من العذاب علىٰ اولئك النفر من المؤمنين (وهو ما أشارت اليه الآية الرابعة من سورة البروج)، وقصة قوم لوط، وآدم وحواء، وقصة مريم وطهارتها، وغيرها من القصص الأخرىٰ التي وصفها بقوله تعالى: **﴿إن في قصصهم عبرةً لأُولي الألباب﴾**.

أما الجوانب التي تستلزم الاهتمام بأسلوب السرد القصصي في التربية الدينية فهي:

١ـ أن تركز القصة علىٰ الصفات الحميدة والنقاط البارزة.

٢ـ أن تكون متناسبة مع سن الأشخاص التي يتعظون بها. فالقصص التي تُحكىٰ للأطفال في سنِ الثالثةِ يجب ان لا تتجاوز نمط تناول الطعام، والذهاب الىٰ حفلات الضيافة، وارتداء الثياب، والحديث عن الأشياء المحيطة بالطفل، وأسماء الأشياء التي يقع عليها بصره.

٣ـ أن تكون القصة مناسبة للمقام ووفقاً لما تقتضيه الضرورة.

٤ـ ان تتمخص القصة عن نتائج قيمة يُشار اليها بشكل مركّز.

٥ـ أن لا تتضمن القصة معايب تربوية قد تؤدي الىٰ إحداث تأثيرات سلبية في نفس الشخص.

□ الاساليب المساعدة في التربية الدينية

وفي هذا النمط التربوي يكون الدور الأساسي للشخص ذاته في شؤون حياته وبناء نفسه، ويأتي دور المربي ـ بما في ذلك المعلم والولدين ـ في المرحلة الثانية. ويمكن استعمال الأساليب التالية في هذا الصدد:

١ـ **السير في النفس والأفاق:** كمشاهدة الآيات الإلهية والمعجزات الربانية التي هي مظاهر قدرة اللّٰه، والتمعّن فيها يحدث في نفس الانسان إنعطافاً يقوده الىٰ معرفة مدىٰ عظمة ربّه. إنَّ إجالة النظر في الطبيعة أشدُّ تأثيراً في النفس من الاستدلال العقلي؛ ويمكن معرفة اللّٰه عن طريق المحسوسات اكثر من أي طريق آخر، وهنالك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو الناس للسير في الأرض والتفكّر في الأفاق وفي خلق السموات والأرض.

فأحدىٰ الآيات الشريفة مثلاً تقول **﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِّبين﴾**(١) و**﴿سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم﴾**(٢) **﴿أفلا ينظرون الىٰ الابل كيف خلقت والىٰ السماء كيف رفعت﴾**(٣)

اما النتائج المتحققة من هذا السير فهي الادراك والشهود والعرفان وبالنتيجة: ادراك حقائق الأمور.

---

(١) النحل: ٣٦.

(٢) فصلت: ٥٣.

(٣) الغاشية: ١٧ـ١٨.

٢ـ**التفكير والتدبّر**: لقد إعتبر الحكماءُ الانسان حيواناً مفكراً، والتفكير هو نوع من الكلام والاستدلال الصامت.

ومن العناصر الأصلية للتفكير هي الغاية المنشودة، والسبيل الأقوم لبلوغها، والتدقيق فيالانتباه الىٰ العلاقات القائمة بين الظواهر، وابتكار واكتشاف طرق الحل المناسبة.

ومما يسهل عملية التفكر هو المعلومات المكتسبة والمنبهات الحسية والنظرة النقدية للأشياء، والمثالية الفكرية والأمال السامية، وبالإضافة الىٰ توفّر الظروف الثقافية الملائمة.

ومما يحول بين الإنسان والتفكر هو الخوف، والاضطراب، والإكراه، وثقل المسؤولية. ويجب حثّ المربّي علىٰ التفكير خلال اداء واجبه التربوي، والتأمل فيما اذا كان الموقف او التصرف الفلاني الذي صدر عن الشخص الفلاني صحيحاً أم لا.

ومن الايجابيات الأخرىٰ المتاحة في هذا المجال هي عدم تقيّد التفكير بزمان ومكان معينين، اذ بميسوره الإنطلاق في متسع فسيح زمانياً ومكانياً. ويؤكّد القرآن في منطقه التربوي علىٰ الدعوة الىٰ التفكير والتدبّر في شؤون هذا الخلق.

٣ـ**استخلاص العبرة**: ويُراد به الاتّعاظ بمشاهدة ما يحيط بالانسان من مظاهر عجيبة، وتغييرات كبرىٰ في حياة الناس والحيوانات والنباتات، ويأخذ منها مايستنير به في حياته، إذ أنها تعينه علىٰ استكشاف الدلالات والمؤشرات التي تضيء له الطريق الذي ينبغي له سلوكه في حياته.

٤ ـ **التجربة والإختبار:** ليس العقل وحده هو القادر علىٰ اكتشاف الحقائق، بل الحس وسيلة قيمة أيضاً في هذا الميدان. والحقيقة هي أن الانسن قليلاً ما يعتمد على القول والسماع، ولا يتحقق له الاطمئنان التام الابعد مشاهدة ما سمع وتجربة ما قيل.

يحصل الانسان من التجربة والاختبار علىٰ الاستقرار الفكري. وجاء في قصة النبي ابراهيم(ع) بأنَّ الاطمئنان القلبي يُنال بعد المشاهدة العينية والتجربة الشخصية.

٥ ـ **التعقل والاستدلال:** ويتم ذلك باستخدام العقل في النظر الىٰ الأُمور، والاستفادة من المنطق والقوىٰ الباطنية لأكتشاف الحقائق والوصول من خلالها الىٰ فهم علاقات العلة والمعلول، وادراك ماهية القوانين المهمينة علىٰ كل الوجود، وبالنتيجة الوصول الى الاقتناع الذتي.

اِنَّ البرهان يقنع نفس الانسان، ويمنح الأعضاء الثقة والقدرة علىٰ فعل ما يؤمن به في اعماق قلبه. وقد أكد القرآن كثيراً علىٰ موضوع البرهان والاستدلال.

□ جوانب التربية الدينية

تتوفر في الإنسان ـ الذي هو موضوع التربية ـ جوانب يمكن الاستفادة منها لتمكين المربي من الوصول الىٰ الغاية المنشودة من التربية الدينية، وتوصف تلك الجوانب لدىٰ الطفل بأنّها فطرية وغريزية، فهي إذن ليست بحاجة الىٰ التعلّم، ولا حتى الىٰ تهيئة المقدمات التي تساعد علىٰ إيجادها، وتُعدّ هذه من الجوانب القيمة التي تسهل قيام المربي بعملية التربية،

وتتلخص تلك الجوانب الإيجابية في ما يلي:

١ـ **الفطرة**: وهي قائمة علىٰ اساس الإقرار بوجود خالق لهذه المخلوقات ولا تشكل أوامره ونواهيه عبئاً ثقيلاً لا يمكن تحمله. تذعن الفطرة عادة لوجود نظام وقوانين تهيمن علىٰ الكون، وان الأمور ليست متداخلة، ولا تجري اعتباطاً. ونقرر كذلك موضوع الاستدلال وعلاقات العلّة والمعلول، وتقبل بكل ما له وجود علىٰ أرض الواقع. وكل انسان يولد عليها وانما البيئة او المجتمع هو الذي يحرفه عن هذا المسار القويم.

٢ـ **حب الاستطلاع**: حينما يخرج الطفل من محيطه الضيق ويدخل في أجواء العالم الرحبة يواجه ظواهر عديدة ومتنوعة، فتدفعه الغريزة الىٰ معرفتها واكتشاف كنهها ومعرفة اسرارها والسؤال عن منشأها واسبابها.

ويبقىٰ متسائلاً عن علاقات العلة والمعلول بين الأشياء الموجودة في هذا الكون، وتظل الأسئلة تتوارد علىٰ ذهنه عن الأسباب والكيفيات الكامنة وراء هذه المشاهد، ولا يخفىٰ أن هذه من المجالات الخصبة لتربية الطفل دينياً. ولا ينبغي تفويت أمثال هذه الفرص، بل يجب استغلالها لتعريفه بالحقائق وتوجيهه اليها وتوعيته بها.

٣ـ **الرغبات**: يمتاز الطفل بكونه موجوداً اجتماعياً يرغب الاختلاط بالآخرين والاندماج معهم، واستعراض ذاته ووجوده بينهم، وتقليد سلوكهم.

وهذا جانب يمكن استغلاله لتعليمه بعض المسائل الدينية، وتشجيعه علىٰ تطبيقها أو ممارستها عملياً. فالطفل مثلاً يرغبُ المشاركة في التجمّعات

الدينية، إذن فالموقف يستدعي اصطحابه الىٰ المسجد ولا بأس بذلك. وهو يرغب في احتلال مكانه بين الكبار،إذن فاسمحوا له بالاختلاط مع الكبار، وعلّموه آداب الحياة، وأصول الاختلاط، والأخلاق الحميدة والتعاليم الدينية عامة. وحاولوا جهد الامكان أن تَروهم من يقتدىٰ به من المتدينين ومن الذين تكون شخصياتهم مثالاً طيباً يُحتذىٰ به.

٤ـ **العُجب والكبرياء**: وهي صفةٌ موجودة عند جميع الناس، اِلا أنه ينبغي توجيهها الوجهة الصحيحة. ويمكن استغلال مشاعر الكبرياء عند الطفل للأغراض الايجابية، او الدينية بالخصوص ـ كأن يقال له مثلاً: أنا متأكد من قدرتك علىٰ اداء الصلاة، أو انت قادرٌ علىٰ المشاركةِ في التجمع الفلاني كما تفعلُ أُمّك، أو في ميسورك الصوم من الصياح حتىٰ الظهر، أو انك قادر علىٰ قول الصدق، وتستطيع أن تكون حسن الأخلاق، أوبالإمكان أن تصبح فتىً عاقلاً ومنظماً، أو أنتَ قادرٌ علىٰ عدم الإضرار بالآخرين، وأن لا يصدر منك كلامٌ قبيح و...الخ.

تستلزم العملية التربوية أحياناً وضع اهداف قريبة وسهلة التناول أمامه لغرض تشجيعه علىٰ تقبّل بعض الأعمال، والاستعداد لبلوغ تلك الأهداف. ومن الواضح أن الطفل كلّما كبُرَ اصبح بالإمكان وضع أهداف أصعب وأبعد نُصبَ عينيه وتشجيعه علىٰ بلوغها.

□ مبادىء التربية الدينية

نحاول في هذا البحث طرح الأصول والمبادئ الجوهرية التي نرىٰ ضرورة مراعاتها من قبل الوالدين والمربين لتسير التربية الدينية بشكل صحيح.

١ ـ **مبدأ المحبة:** يقوم أساس التربية في السنوات الأولى من عمر الطفل على المحبة. ويفترض تعويد الطفل منذ البداية علىٰ الأخذ بما يراه الوالدان وترك كل ما لا يرتضيانه. وبعبارة أوضح؛بامكان المربي أن يقول للطفل وبدون اي ضغط وإكراه: انني لا أحبُّ هذا العمل، وذلك حينما يبدر منه عمل غير صحيح، وأما اذا صدر منه تصرف صحيح فيقول له: أنني أُحبُ هذا العمل. يجب ان يبني الوالدان سلوك الطفل علىٰ هذه الجانبين (أُحبُ ـ لا أُحبُ). ويمكن تطبيق هذه القاعدة عن طريق النظرات التي تنمّ عن المحبة أو الاستياء، والكلام المعبر عن الرضا، أو الصمت او الاهتمام والتجاهل والمحبة أو الغضب . يجب ان يتذوق الطفل خلال ذلك ضمنياً مزايا حب الوالدين، أو غضبهما واستياءهما، ويمكن ان يتحسس مزايا ونتائج ذلك بشكل صريح في السنوات اللاحقة.

٢ ـ **مبدأ التشجيع:** يتأمل الطفل أن يكافأ لقاء كل فعل حسن يصدر منه، وعلىٰ الوالدين تحقيق هذا الأمل. إلا أن هناك قضية حساسة وهي أن المكافأة يجب ان لا تأخذ طابع الرشوة.

يجب أن يؤدي الطفل العمل الحسن علىٰ أساس كونه واجباً شخصياً

واجتماعياً من غير أن يتوقع الثناء عليه، وعلىٰ الوالدين تشجيعه علىٰ اعتبار كونه شخصاً صالحاً وعارفاً بواجبه، والمسألة الأخرىٰ هي ان لا تتخذ المكافأة صورة المكافأة النقدية، كأن يقال له: إذا صَليت أُعطيك درهماً، بل يجب أولاً أن يعتبر اداء الصلاة واجباً مفروضاً عليه شأنه في ذلك شأن بقية افراد العائلة. وثانياً ان يكون تشجيعنا له من باب الارتياح لقيامه بأداء واجبه، أي أن نظهر له سرورنا من عمله، ومن ثم نُفْهِمَهُ في السنوات اللاحقة، بأن اللّٰه تعالىٰ راضٍ عن عمله هذا أيضاً.

والنقطة الثانية التي ينبغي الاشارة اليها هي ضرورة عدم تكرار المكافأة لأن التكريم والمكافأة يفقِد في مثل هذه الحالة قيمته الحقيقية.

أما النقطة الثالثة التي أودّ التنبيه اليها فهي ان لا تتجاوز المكافأة الحد المعقول بحيث لو أدىٰ الطفل عملاً اخر اكثر أهمية ويستحق المزيد من الثناء والتكريم، لا يبقىٰ لنا ـ حينذاك ما نُعبِّر به عن رضانا وأرتياحنا ازاءه.

لتكن المكافأة دوماً عند حدٍ تبقى معه أمام الانسان مجالات اوسع لبلوغ مدارج أسمىٰ ونيل المزيد من رضىٰ اللّٰه تعالىٰ واستحسان الوالدين.

من بعد سن الثامنة يمكننا أن نوضح لهم أن اللّٰه تعالىٰ يحب العمل الفلاني ويبغض التصرف الفلاني، ويصبح من اليسير أن نكلمه بأن عاقبة محبة اللّٰه لنا هي دخول الجنةِ بكل ما فيها من النعم واالمذات، ونتيجة غضبه هي العقوبة ودخول النار.

وقد انتهج القرآن الكريم نفس هذا المسار، وأشار في الكثير من الايات الىٰ أنه يُحب هذا العمل والقائمين به، او انه يبغض ذلك العمل ومن يرتكبه.

والقضية الهامة هنا هي ضرورة اللجوء الىٰ الشدة في بعض الموارد ولكن لا ينبغي ان يطغى علىٰ الاعتدال والمحبةِ. وتُظهِر التجارب أن اكثر الناسُ تديناً هم الذين نشأوا وتربوا في عوائل تمتاز بالاعتدال والعطف والمحبّة. اِنَّ نقص المحبة والحنان يثير في النفس مشاعر الغربة والوحشةِ، وحتىٰ أنه قد يُفضي الىٰ الوقوع في بعض المنزلقات الخطيرة كالفرار من البيت والانتحار والمتاجرةِ بالشرف.

٣ ـ مبدأ الخشونة واستخدام القوة من قبل الوالدين: حينما يحاول الطفل التمرد علىٰ الصيغ التربوية المتعارفةِ واتباع رغباته واهوائه الشخصية لسبب أو آخر، يجب علىٰ الوالدين حينئذٍ اللجوء الىٰ اسلوب القوة. فيصدرون له الأوامر والتوجيهات، ويشرفون علىٰ تنفيذها بدقّةٍ. يجب علىٰ الوالدين الاحتفاظ بدورهم فى الارشاد والنُصح والسيطرة والتسلّط في جميع مراحل التربية، وما دامت مسؤولية الإشراف علىٰ الطفل بأيديهم، سواءً كان ذلك بشكل مباشر في المراحل الأولىٰ أم بشكل غير مباشر في‌ما بعد. وحتىٰ اِنَّ الروايات الأسلامية تحدثت عن ضرورة معاقبة الطفل فيما لو تمر علىٰ طاعة والديه، إلا أن اغلب تلك النصوص وردت بالمعنى اللغوي للكلمةِ، أي بمعنىٰ التنبيه والإرشاد وأحياناً الضرب غير الموجب للدية.

٤ ـ مبدأ الاعتدال: إلتزام الاعتدال أصل مهم أيضاً في التربية الدينية، فلا ينبغي أبداً تكليف الطفل بأي عمل شاقّ. فقد ورد عن الأئمة المعصومين(ع) انهم أمروا باصطحاب الطفل الىٰ المسجد، ولكن بشرط أن لا يطول المكث فيه، شجعوا الطفل علىٰ الصلاة، ولكن لا تكرهوكْ علىٰ

القيام لصلاة الليل واداء النوافل، وشجعوه ايضاً علىٰ الصوم ولكن اجبروه علىٰ الأفطار في أي وقت يشعر فيه بالملل والجوع. يذكر الحديث المروي عن الامام الصادق(ع).

لا تصطحبوا الطفل الىٰ المجالس المقامة لإحياء الليل، ولا تفرضوا عليه السهر وجاء في حديث المعصوم(ع) بأننا نكره أطفالنا علىٰ الجمع بين صلاتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء. إنَّ وضع الطفل يستلزم ان لا تكون الفرائض الدينية بشكل يستوجب الاستعداد لصلاة الظهر مرّة ولصلاة العصر مرة أخرىٰ، فيشعر من جراء ذلك بالأذىٰ والتعب.

٥ـ مبدأ تنقية البيئة المحيطة به: تُبذل الجهود فيالتربية الاسلامية لإزالة العوامل والأسباب المشجعة علىٰ الإنحراف،وكل ما يمكن أن يترك أثاراً سلبية علىٰ ذهن الأنسان. وهذا يتطلب سلامة اجواء البيت والمدرس والمجتمع من أي انحراف، وبعبارة أخرىٰ، ألا تبطل عوامل التربية والاجتماع بعضها البعض وتنتفي بذلك تأثيراتها. ويجب ان لا تسلك الأجهزة الأعلامية اي سلوك يتعارض مع التربية الدينية ويُلغي مفعولها. وعلىٰ المربي ان يرىٰ نفسه ملزماً بِرعاية هذه الجوانب.

مراحل التربية

لا شك أنّ كل مرحلة من مراحل الحياة تستوجب وضعاً خاصاً بها. فالبرنامج الذي يطبق علىٰ طفل في الثالثة من العمر يختلف كُلياً عن البرنامج الذي يطبق على الأطفال في سن العاشرة او الرابعة عشرة.

صحيح أن التربية تبدأ منذ اليوم الأول للولادة،الا ان فترة ما قبل الولادة تجري خلالها أيضاً بعض انواع الرقابة والتحفّظ، ويُعتبر هذا أيضاً جزءاً من التربية الدينية. التي تبدأ في حقيقة الأمر من اختيار الزوجة، ومن بعد ذلك من لحظة الجماع، وتؤثر علىٰ الطفل افكار الأب والأُم أثناء عملية الجماع، وما تفكر به الأم اثناء فترة الحمل، والىٰ غير ذلك من انواع الطعام وطبيعة الحياة والأحداث التي تتعرّض لها.

ويبقىٰ الوالدان مسؤولَين عن ابنائهم بشكل مباشر منذ الولادة حتىٰ السنة الحادية والعشرين. ويَعُدّ ادنىٰ تقصير في اداء هذه المسؤولية بحق الأبناء ذنباًكبيراً عند الله وتقصيراً لا يغتفر امام المجتمع والدين.

جاء في كتب الحديث إن هذه المرحلة المؤلفة من (٢١)عاماً يمكن تقسيمها الى ثلاث مراحل تبلغ مدة كل واحدة منها ٧ سنوات، وهذه بدورها قابلة للتقسيم الى فترات أقصر.

* **السنوات السبع الأولىٰ**: وهي مرحلة التكوين. وتبدأ التربية فيها منذ اليوم الأول للولادة بأجراء المراسيم الدينية،كالأذان والإقامة في أُذنيه، ومن

ثم غسله وختانه، وحلاقة رأسه والتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة، وتسميته بأسم حسين، وتقديم عقيقة عنه، يجري كل هذا في الأيام الأولىٰ للولادة اما المراحل اللاحقة فتجري خلاله تكاليف ورسوم أخرىٰ تتناسب مع سنه.

ففي سن الثالثة تعليم الطفل قول (لا اله الا اللّٰه) وفي الثالثة والنصف قول الشهادة برسالة النبي الأكرم(ص)، وَيُمرنَّ بين الرابعة والخامسة علىٰ الصلوات وفي سن الخامسة يتعلم اليمين واليسار، وفي السادسة يتعلم إتجاه القبلة، والسجود والركوع، وفي سن السابعة يتعلم الصلاة والنهوض لتناول السحور.

وهنالك قضيةٌ أخرىٰ وهي ضرورة عدم تقبيل خدود البنات من بعد سن السادسة والأبناء من بعد سن السابعة، من قبل الجنس الآخر.

جاء رجلٌ الىٰ الإمام الصادق(ع) وسأله عما يجب الامتناع عنه بشأن جارية له تبلغ السادسة من العمر فقال له الإمام(ع) بوجوب الامتناع عن تقبيلها ولا إجلاسها في الحجر ولا إحتضانها.

ويجب الانتباه الىٰ ان السنوات الأربع الأولىٰ من حياة الطفل مهمّةٌ جداً في صياغة شخصيته بحيث يمكن القول ان (٧٠٪) من شخصية الفرد تتم صياغتها خلال هذه المرحلة.

* **السنوات السبع الثانية:** وهي المرحلة التي يجب ان يكون فيها سلوك الطفل وتصرفاته تحت الرقابة المتواصلة والمدروسة للوالدين والمربين. وتقسم علىٰ اقل احتمال الىٰ فترتين؛ أوّلاهما من سن ٨ـ١٠ أعوام، والثانية من ١١ـ١٤ عاماً. وفي هذه المرحلة يجب اعداد برنامج

جديد من الواجبات يتناسب وسن الطفل، مثل غسل الكفين، وتعليمه الوضوء حتىٰ نهاية السنة التاسة من عمره، وفي السنة العاشرة يجب اجباره علىٰ اداء الصلاة.

يبدأ الايمان الحقيقي عند الطفل في سن ١٢ عاماً، وفي هذه الفترة يمكن الىٰ حدٍ ما ـ تعليمه المفاهيم الأصلية للدين. ولا تفوتنا الإشارة الىٰ وجوب نقل كل الأُسس الأخلاقية والتربوية الىٰ الأطفال خلال هذه الفترة بمفهوم آداب المعاشرة والعادات والسُنن. وتحل في نهاية هذه المرحلة، مرحلة المراهقة التي يصبح فيها للطفل شخصية مستقلة بفضل التجارب التي اكتسبها في المجالات المختلفة، ويصبح له رأيه الشخصي في الأُمور التي تواجهه.

* **السنوات السبع الثالثة:** وهي دورة الممارسة والتطبيق العملي لمعلوماته. ويجب ان يبقىٰ الشخص تحت اشراف المربي فيها، وتقسم بدورها الىٰ ثلاث مراحل وهي: نهاية مرحلة المراهقة، ومرحلة البلوغ، ومرحلة الشباب، إن الظروف التي يمر بها الانسان توجب تركيز جل اهتمام الوالدين علىٰ مرحلة البلوغ، لأنها فترة نضوج المشاعر وفيها يحدث ما يشبه الولادة من جديد.

يعيش الأشخاص في هذه الفترة حالة من الحيرةِ في معتقداتهم، وهم بحاجةٍ الىٰ إِعادة النظر فيها، ويشعرون بالقلق حيال فكرة الجنّة والنار، لا يعلمون ما سيحصل بعد الموت، والىٰ اين ينتهي مصيرهم؟ وهم أحوج ما يكونون الىٰ التوجيه في هذه الفترة، وعلىٰ المربين الأخذ بأيديهم

وتوجيههم الىٰ ما فيه صلاحهم.

يبلغ الايمان ذروته في سن ١٦ عاماً. واذا ما صادف الشخص خلالها نماذج او قدوات مزيّفة فسيعرض اعتقاده الديني لبعض المخاطر حتماً.

تنتهي مرحلة البلوغ في ما يقارب سن الثامنة عشر عاماً ويتبلور لديه خلالها شيء من الاستقلال التقريبي، ويتطور استدلاله المنطقي، وهذا مما يسهّل في عملية تعليمه وتربيته.

□ نُقاط في التربية تستوجب الاهتمام

١ ـ **موضوع الجنس**: يختلف نمط تربية الإناث عن الذكور في التربية الاسلامية وهذا الاختلاف منبثق عن التفاوت القائم بينهما طبيعياً ووظيفياً.

ففي الجانب الطبيعي يُقر الدين ـ كما هو الحال بالنسبة للعلم ـ بوجود اختلافات واضحة بين الذكر والأنثى من الناحية الجسمية والعقلية والنفسية. وهما يفترقان كذلك في نسبة النمو خلال مراحل السن المختلفة، وفي جانبي الأحاسيس والمشاعر، والأهم من كل ذلك هو اختلافهما في بلوغهما الجنسي والعقلي. ونحن نعلم أن أفضل النظم التربوية هو ذلك النظام الذي يأخذ هذه الاختلافات بنظر الاعتبار ويعيرها الاهتمام اللازم.

فالعلم يرىٰ أن الأولاد يختلفون عن البنات في وظائف الأعضاء والدين يرىٰ نفس الرأي أيضاً. فطبيعة اجسام الإناث مكيفة للحمل والارضاع ورعاية الطفل، بينما طبيعة اجسام الذكور تلائم الأعمال الثقيلة. ونشير أيضاً مرة أخرىٰ الىٰ أن افضل الأنظمة التربوية هو ذلك النظام الذي يعير هذه الاختلافات الاهتمام المطلوب.

٢ـ**نوع المواضيع التعليمية**: وهي من النقاط المهمة التي يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار في التربية. فالمواضيع التي ندرسها ينبغي أن تتناسب مع اعمار الأشخاص ومستوياتهم العقلية. فما يُدرَّسُ للفتاة البالغة من العمر الخامسة عشر عاماً لا يُدرّس للفتىٰ مطلقاً. والأنثىٰ التي تبلغ العاشرة من العمر تحتاج الىٰ تعلم المسائل الدينية الخاصة بها اكثر من الذكر الذي يبلغ نفس العمر، إذن فهي بحاجة الىٰ المزيد من التعليم.

□ التربية في الأُسرة

كانت علىٰ عاتق الأبوين في الماضي مسؤوليات جسام في المجال التربوي، فإن كانوا قد أدوها علىٰ خير ما يرام فجزاهم اللّٰه خير الجزاء، وان قصروا في تأديتها علىٰ الوجه المطلوب، فإننا ندعو لهم بالعفو والمغفرة. أما المسؤولية التي يتحملها الأبوان اليوم فهي أثقل من مسؤوليات السالفين أضعافاً مضاعفة وسيجلب أقل تقصير فيها لعنات الأجيال المقبلة.

والقيام بهذا الواجب يستلزم الوعي والإيمان الكافي لأن بناء الانسان اصعبُ بكثير من بناء اي شيّ أخر.

فإن كانت تربية النحل والماشية تتطلب دخول دورة تعليمية، واكتساب الخبرة والتجربة اللازمة، فمثل هذه الخبرة في بناء وتربية الانسان اكثر اهمية وضرورة. فالأطفال ليسوا أدغالاً تُترك وشأنها كيفما نمت، بل هم براعم يجب أن تنمو في ظل التربية الصالحة لتعطي ثمراً طيباً.. بل هم براعم يجب أن تنمو في ظل التربية الصالحة لتعطي ثمراً طيباً. ولهذا كانت التربية بالنسبة لهم أمر ضرورياً وحيوياً.

□ تعريف وأهمية التربية

يمكن تعريف التربية باختصار بأنها عبارة عن أحداث التغييرات المطلوبة في الانسان او بعبارة أوضح: ايجاد التغييرات المثمرة في مجال حياة الانسان بهدف بنائه وازدهار واستثمار طاقاته. أو يمكن التعبير عنها بالقول إنها تربية القوىٰ الجسمية والروحية للانسان لبلوغ الكمال المطلوب، ونقل اسلوب التفكير والمشاعر والعمل الموجود في المجتمع الىٰ الأجيال القادمة.

لقد كانت التربية، بالمعنىٰ العام للكلمة والتي تعني تربية الأخرين وتلقيّ التربية علىٰ ايدي الأخرين، موجودة منذ القِدم، ولكن ليس بهذا الشكل العلمي الذي يبلغ بالانسان ما يشاء من درجات المعرفة، والقائم علىٰ أسس الفلسفة ، وعلم النفس، والاقتصاد، وعلم دراسة الأحياء.

ويكفي في وصف أهمية التربية القول أن جميع هذه الغايات النبيلة وكل هذه الفضائل، والرذائل، والأمال الخيرة والشريرية وليدتها، ولأجل ادراكها بصورة أعمق يكفي أن يضع الانسان نفسه مكان الطفل الذي ولدته أمه وهو لا يعلم أي شيء عن هذا العالم.

□ ما هي التربية

تُعتبر التربية علماً من جهة، لأن لها موضوعاً، وهدفاً، وأسلوباً، وهي تُسيطر على مجرىٰ حياة الانسان ونضجه بأسلوب علمي. وهي من جهة

أخرى ابداع لأن نشوء وتطّور القوىٰ الانسانية يجب أن يخضع للمراقبة بأساليب ابداعية متباينة. فقد يكون الشخص عالماً واسع المعرفة، الا انه ليس معلماً.

وتُعد التربية من جهة ثالثة فناً لأنها تتضمن الاهتمام بدقائق الأمور وطريفها، وخاصة المفيد منها في اعادة بناء الانسان وتشكيل شخصية، وهي من جهة رابعة خدمة للإنسان ذاته وللمجتمع الانساني، وتيسر بواسطتها جعل الانسان موجوداً نافعاً يصل الىٰ حقيقة الانسانية، وتتضح أهمية هذه الخدمة حينما يترعرع الطفل بعيداً عنها، إذ يصبح موجوداً وحشياً وخطراً.

□ مهمّة التربية

مهمة التربية باختصار: البناء والاصلاح والصنع والاعداد، والسعي لخلق حالة من التوازن بين الحاجات وترويض الغرائز والرغبات.

ويمكن القول بمنظار أوسع: إن التربية تتكفل ببناء الجوانب الثلاث في الانسان: الجسم، والعقل، والروح .

وصفوة القول؛ هي تمكّن الانسان من إقامة علاقة صحيحة مع خالقه ومعع العالم، وجعله عنصراً فاعلاً ومفيداً للمجتمع، أي انها تصنع الانسان الطموح لبلوغ القيم السامية، والقادر علىٰ الابتكار واتخاذ القرار، والعارف بآداب الحياة ليكون فاهماً لمسار الحياة الاجتماعية من غير أي انحياز مسبق لأي جانب دون آخر.

تتحمل التربية مهمة بناء الانسان الذي تقوم حياته علىٰ أساس القيم

والمعايير المدروسة، وعلىٰ استقلال الشخصية والعدالة الاجتماعية، ومعرفة الجميل، واختيار الأفضل، وعلىٰ الأسس الأخلاقية والأنسانية.

□ عناصر التربية

تقسم عناصر التربية في بحثنا هذا الىٰ ثلاثة أقسام وهي:

١ـ **الأبوان**: وهما العنصر الأساسي في التربية ويؤديان الدور الأكبر في انجاز هذه المهمة.

فالأبوان يمثلان الوسيط الوراثي من جهة، والمحيط الاجتماعي من جهة أخرىٰ، ففي الجانب الوراثي يقومان بنقل الكثير من الخصائص والصفات الوراثية منهما ومن الأباء والأجداد الىٰ الأبناء وأما في الجانب البيئي فهما أول مدرسة يكتسب الطفل منهما علو الهمة والقيم النبيلة والأخلاق الفاضلة، أو ما يعاكس ذلك من سفالة، وانحطاط، وسوء خلق. وتحظىٰ الأم في هذا المعترك بالنصيب الأوفر والدور الأخطر لأن مسؤوليتها أثقل من مسؤولية الأب اضعافاً مضاعفة وخاصة في السنوات الأولىٰ حيث تكون الجهة الوحيدة التي يستند اليها الطفل ويرتبط بها.

وعن أهمية دور الأبوين تكفي الاشارة الىٰ أنَّ الطفل يقضي حوالىٰ (٥) الاف ساعة فيالمدرسة، ووقتاً يماثل هذا علىٰ اكثر التقادير مع الأصدقاء والأتراب، من مجمل عدد ساعات عمره البالغة (٩٥) ألف ساعة الىٰ الحادية عشر، وأما المتبقي منه فيقضيه في البيت، والأهم ان القسم الأعظم من هذه المدة وهو ما يقارب الـ(٨٥) ألف ساعة يقضيها الىٰ جانب أمه او في حجرها وبين يديها او على الأقل في ارتباط مباشر معها.

٢ـ افراد المجتمع: والذين يمكن تقسيمهم وفقاً لإرتباط الطفل بهم وعلاقته معه الىٰ المجاميع التالية:

ـ الأخ، والأخت، والجد، والجدة.

ـ العم، والعمة، والخال، والخالة، وأبنائهم.

ـ المعلم، والمدير، والمستخدم، والزملاء في الصف، وفي المدرسة.

ـ سائر افراد المجتمع كالعطار والبقال، وبائع الكتب، والبزاز، والقصاب، والخباز، وصاحب الحمام و...الخ.

والشرطي ، والحارس والروحاني، وقيّم المسجد، والقائم بأمر هيئة العزاء... ولهؤلاء تأثيرهم الهام في بناء او هدم صرح حياة الأفراد. والطفل يتعلم عن وعي تام نمط حياتهم وأسلوب تعاملهم، ويقيم علىٰ اساسه فلسفته ونظرته الخاصة للأمور.

٣ـ العوامل الخارجية: وهي عبارة عن الأجهزة الأعلامية كالمذياع، والتلفاز، والفلم والسينما، والصحف والمجلات والكتب وغيرها، من الكتابات.

والكائنات الأخرىٰ سوىٰ الانسان أمثال النبات والحيوان والجماد والتي تواتر عليه بشكل أو أخر. فلمسه للخشب الناعم في محيط العمل يختلف في تاثيره عن لمسه لمعدن صلب.

وتؤثر فيه أيضاً التغييرات الطبيعية كتحول الفصول، والزلازل، والظروف الجوية، والأحوال المناخية و... الخ، ويطال تأثيرها سلوكه وأخلاقه ونمط تفكيره. بل أنَّ حياة الانسان في الحقيقة تابعة للبيئة بمعناها الشامل (بما في

ذلك البيئة الجغرافية، والظروف الثقافية، والأقتصادية والسياسية...).

نحن الآن بصدد الحديث عن العامل التربوي الأول والمهم أي عامل الأبوين، وإن كان الحديث عنه يتضمن طرح بحوث أخرى ايضاً .

◻ الوالدان والطفل

الوالدان هما المسؤولان الأولان عن اصلاح وفساد المجتمع، ومسؤوليتهما عظيمة أمام اللّه وابناء المجتمع، ولا شك أن التهاون في ادائها سيكون مدعاة للعقوبة ومسؤولية الأم في هذه المهمّة الصعبة أثقل من مسؤوليةالأُب لأن الطفل يأخذ عنها القسم الأعظممن مكوّناته الروحية، وخاصة الجوانب العاطفية والمشاعر.

وقال الرسول(ص) «الجنّةُ تحت اقدام الأمهات» وذلك لأن القسم الأعظم من سعادة الطفل واستحقاقه الجنة يُقام علىٰ يد الأم.

الأبوان هما اللذان يطبعان شخصية الطفل، وهما اللذان يحددان الأسلوب والسلوك الذي يقتفيه في حياته. والمنهج التربوي الذي يعتمده الأبوان مع الطفل هو الذي يصنع منه شخصية هادئة ومتزنة، أو يجعل منه شخصاً طائشاً في أهوائه، وبما أنَّ الصفات تنتقل من الأبوين الىٰ الأبناء بالصورة التي تم إيضاحها، فلا يتأتّىٰ لأيٍّ كان إحراز مقام الأبوة أو الأُمومة. صحيح أن البلوغ والنضوج الجسمي يهيء الأرضية للزواج، إلاّ أنَّ الأبوة والأمومة تستلزم توفر النضج العقلي والأخلاقي والعاطفي.

فيجب علىٰ الأشخاص التعرف، قبل الزواج علىٰ واجباتهم وأن يكون لديهم وعي بالشؤون التربوية العامّة وينتبهوا الىٰ ما تفرضه عليهم

المسؤولية.

إنَّ تربية الطفل وإنْ كانت تتراءىٰ وكأنها تبدأ منذ ولادته، ولكن لو اخذنا تأثير الوراثة بنظر الاعتبار، لتأكد لنا حقاً انها تبدأ قبل ولادته بأشهر وسنوات، وأقل ما يمكن أن يقال عنها أنها تبدأ منذ اختيار الزوجة. وللاسلام منذ بزوغه وما زال، خطواته التي يتبعها في تربية الجيل، ويمكن العثور علىٰ ما فيها من احكام وبرامج في الكتب الفقهية والأخلاقية. ونشير في ما يلي الىٰ امثلة من تلك البحوث علىٰ سبيل الذكر لا الحصر.

لا يُبيح الأسلام لإنسان الزواج بأية امرأةٍ كانت لانجاب النسل، بل يحدد لها مواصفات وشروطاً يجب مراعاتها وفق قاعدة الأهم فالأهم:

١ ـ من الناحية العائلية، ينبغي ان تكون للزوجة اصالة عائلية؛ فلا تكون من عائلة تشرب الخمر وتدمن علىٰ تناول المخدرات. ولا يجوز للأبوين ايضاص تزويج ابنتهما من شارب الخمر، أو قاطع الرحم أو فاسق. قال الرسول الأكرم(ص): «إياكم وخضراء الدمن. قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأةُ الحسناء في منبت السوء».[1]

٢ ـ يبدو من الناحية الشرعية أن لا حرمة من زواج الأقارب، ولكن وردت روايات تُوصي بعدم الزواج من ا لأقارب المقربين جداً. فقد جاء في الحديث الشريف: «لا تنكحوا القرابة القريبة» ومن ثم قيل إن من اسباب ذلك هي أن الأطفال يولدون مصابين بالنواقص والعاهات، وهو نفس ما يؤكده الطب الحديث.

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣٣٢.

٣ـ من الناحية الجسمية، أكدت التعاليم الأسلامية علىٰ ضرورة أن تكون الزوجة عاقلة، ورشيدة ومقتدرة وقوية البُنية. وقد ورد في وصية الامام علي(ع) لأخيه عقيل بشأن اختياره لزوجة صالحة له والتي انتهت بزواجه من ام البنين:؟

٤ ـ من الوجهة الأخلاقية؛ يقول الشهيد الثاني (قده) ينبغي ان تتمتع الزوجة بملكة العفة والأصالة. وجاء في الأحاديث المروية عن المعصومين «تخيروا لنطفكم فإن العرق وساس» وقالوا أيضاً «اختاروا لنطفكم فإن الخال احد الضجيعين.[1]»

٥ ـ اما في الجانب النفسي فيجب ان لا تكون المرأة حمقاء ناقصة الذهن.

قال الرسول الأكرم(ص) «**اياك وتزويج الحمقاء، فأنَّ صحبتها بلاء وولدها ضياع**»[2].

□ محاذير قبل الولادة

إذا تمَّ إختيار الزوجة وفق الشروط المذكورة، وتقرر تمهيد مقدمات الزواج، تبقىٰ هنالك مسائل أخرىٰ تجب مراعاتها من لحظة الزواج وحتىٰ الولادة ويمكن الإشارة الىٰ أهمها كما يلي:

١ ـ **في الزواج:** قبل مباشرة الزوجة يُبدأ بصلاة ركعتين وقراءة الدعاء الذي يبدأ بحملة: اللهم بأمانتك أخذتُها... وإذا قصد الجماع، فهناك جملة

(١) **الكافي**: ج٥ ص٣٣٢.
(٢)

من التعاليم، أهمها:

ذكر الله حين المواقعة وعدم اشغال الذهن بذكر امرأة أخرىٰ، وبأفكار منحطة، والدعاء بإنجاب الذرية الصالحة، والتحلي بالسجايا النبيلة وما شابه ذلك من الصفات الانسانية.

٢ ـ **فترة الحمل:** ينتهي الدور الوراثي للاب بإلقاء النطفة. أما الأم فتبقىٰ على اتصال بالجنين في جانبي الدم والوراثة لمدة تسعة أشهر، وهو يتغذىٰ خلالها من دمها بواسطة حبل السُرّةِ. وهنالك تأكيدات تربوية كثيرة بخصوص هذه الفترة من قبل الأديان ومن العقائد والمدارس الفكرية الأخرىٰ علىٰ حدٍ سواء. اظهرت التحقيقات والتجارب العلمية أن الأطعمة والأدوية التي تتناولها المرأة، والمشاهد الجميلة أو القبيحة التي تراها، والإثارة والإضطرابات التي تغشاها، وحالات الحقد، والغضب التي تنتابها، وكل ما يَعْرض لها من افكار وهواجس تؤثر علىٰ الجنين. وتؤثر عليه ايضاً بعض الأمراض التي تصيب الأم كالسُكريّ والحصبةِ والحُمّىٰ المرتفعة، أضف الى ذلك ورغباتها وأهوائها والمثل النبيلة او الرذيلة التي تؤمن بها، وكذلك نوعية علاقاتها مع زوجها وغيره من الناس والظواهر الاخرى والتحولات الطبيعية، والتغييرات الأجتماعية، ويتضح من كل هذا المعنىٰ المراد من الحديث الشريف: «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أُمه»

وتتضمن الكتب الفقهية في باب الأطعمة والأشربة وباب النكاح الكثير من التوصيات والتأكيدات علىٰ هذه الجوانب.

٣ ـ لحظة الولادة: وهي لحظة حساسة ومصيرية في تحديد سعادة او تعاسة الطفل. فقد تتوفر الىٰ حد تلك اللحظة جميع الامكانات المؤدية الىٰ نبوغ طفلٍ من الأطفال، الا انها تذهب كلها في تلك اللحظة ادراج الرياح.

ففي حالة تَعسُّر الولادة قد تتعرض جمجمة الطفل للأذىٰ ويُصاب الدماغ فتترتب عليه نتائج وخيمة قد يكون منها إختناق الطفل وما يتمخّض عنه من خلل ونقص ذهني. وقد يؤدي جهل القابلة وتلوث يديها، والضغط على الجمجمة الىٰ حصول بعض الأضرار الجسيمة.

أما إذا تعرض الطفل للبرودة بعد خروجه من رحم الأم والذي يحصل عادة بسبب الانشغال بحالة الأم واهمال الطفل فسيؤدي الىٰ عواقب غير محمودة.

وعلىٰ هذا فقد وردت في الكتب العلمية والدينية ايضاً تأكيدات كثيرة عليه حتى ان كتابا مهماً ككتاب وسائل الشيعة أفرد له باباً خاصاً.

٤ ـ لمن الطفل؟ لمن يعود إذن الطفل الذي جاء الىٰ هذه الدنيا بهذه الكيفية؟ الطفل ليس لأبوية، والدليل علىٰ ذلك هو انتفاء حقهما بالتدخل سلبياً في أمره أو الاساءة الىٰ وضعه. ولا يسعهما سوىٰ بذل الجهود النافعة له، وكل ما يصب في مصلحته، وليس في ما يضرّه. وقد وردت الكثير من التوصيات في هذا الصدد التي تؤكد ان لا حق للوالدين في ضرب الطفل الىٰ الحد الذي يوجب الدية. والأولوية في التربية من حق الوالدين طبعاً شريطة أن تكون لصالح بناء الطفل، وإلّا فبالامكان أخذه منهما وانتداب جهة أخرىٰ للأشراف علىٰ تربيته. فهل معنى هذا أن الطفل تعود للمجتمع؟

ومن المؤكد أيضاً أن الطفل لا يعود للمجتمع. وذلك بدلالة ان ـ المجتمع كالوالدين ـ لا يحق له الإساءة اليه ولا التصرف في أمره بما لا يليق ولا القيام الا بما يخدم مصلحته.

الا أنَّ بعض الفلاسفة وأصحاب المذاهب الفكرية يرون الطفل ملك للدولة؛ (مثل كندرسه الفرنسي).

ولا شك أن الدولة الصالحة يحق لها ابداء ورأيها بشأن ما يُصلح حال الطفل ولكن لا يجوز لها التصرف فيه كسلعة تُباع وتُشترىٰ ، ولا مصادرة حريته الا في اطار القانون الالهي.

فهل الطفل اِذن ملك لذاته؟ والجواب علىٰ هذا السؤال سلبي أيضاً، لأن الانسان لا يجوز له الحط من نفسه والسير بها نحو التحلل ولا يسمح له بايذاء نفسه، والاساءة اليها؛ فلا يحق له الانتحار، أو المتاجرة بنفسه، بل هو مخوّل بجميع الصلاحيات المؤدية الىٰ رفعته، اما اذا كان السير في الاتجاه المعاكس، اي نحو الهبوط والتفسخ، فالصلاحية مسلوبةٌ منه.

فلمن الطفل إذن؟ اِن الجواب القاطع الذي يمكن تقديمه هنا، هو أن الطفل مُلك للّٰه، وامانته، وما الاب والام والمجتمع والدولة الّا امناء للّٰه. وواجبهم اِزاء هذه الأمانة هو العمل علىٰ ما فيه خيرها واجتناب كل ما ينقص من شأنها. والكل مسؤولون عن صيانة هذه الأمانة الىٰ ان يستردها صاحبها فترجع اليه. إنّا للّٰه وإنّا إليه راجعون.

الأبوان أولى من غيرهما ـ طبعاً ـ في صيانة هذه الأمانة لا بل مكلفان بها من الوجهة الدينية. وبعبارة أخرىٰ: اِن للطفل حقاً علىٰ والديه وعليهما

واجبات تجاهه. يُعدُّ التقصير فيها مدعاة للمساءلة. ونحن نُطلق علىٰ هـذه المسائل اسم «واجبات الوالدين في التربية»، ونشير الىٰ أننا نطرحها هنا بشكل إجمالي، ومن اراد التوسع والحصول علىٰ مزيد من التفاصيل فلا بد له من مراجعة الكتب المتخصصة في هذا الحقل.

□ واجبات الابوين في التربية

واجبات الوالدين كثيرة؛ أو بعبارة ادق: دَين الأبناء علىٰ الوالدين كثيرة، ولو اتينا علىٰ ذكر التفاصيل لطال بنا الكلام. ويمكن تلخيص الأشياء التي تستوجب الذكر، الىٰ ما يلي:-

١ـ **قبول الطفل**: يبدي الكثير من الناس حساسية خاصة ازاء جنس الطفل ويرغبون بان يرزقوا ولداً علىٰ سبيل المثال، وقد يرغب البعض الأخر في انجاب البنات. من حق الطفل أن يرضىٰ به والداه بغض النظر عن جنسه. كان الامام السجاد(ع) عندما يرزق مولوداً جديداً يسأل عن سلامته قبل السؤال عن بقية صفاته، ثم كان(ع) يقول: «الحمدلله الذي لم يخلق مني خلقاً مشوهاً». ولأجل إزالة هذه الحساسية الموجودة في النفوس ازاء جنس المولود، قال رسول الله(ص) في تكريم الأنثىٰ «ريحانة أشمها ورزقها علىٰ الله» وكان يقبل يد ابنته ويقول: «البنت هدية من الله».

٢ـ **تسميته**: من الأفضل أن تتم التسمية قبل الولادة، وينبغي إختيار اسمين له وهو ما يزال جنيناً في مرحلة الحمل، احدهما اسم ذكر والأخر اسم انثىٰ.

ومسألة انتخاب الأسم الحسن لها أهميتها، ولا سيما اذا صار في

المستقبل شخصية مرموقة. فللأسماء تأثيرها في خلق مشاعر الكبرياء أو الحقارة لدىٰ الشخص ويفضل عادة إختيار الأسم الذي يشعر الشخص بالنُبْلِ والارتباط بالصالحين وقد وردت بعض التوصيات التي تؤكد علىٰ ضرورة تسمية الطفل بأسماء آل البيت(ع).

٣ ـ **إقامة الشعائر الدينية**: يؤذن في اذن المولود اليمنىٰ ويُقام في اليسرىٰ بعد الولادة ويستحب إِجراء ذلك قبل قطع الحبل السرى. جاء في الروايات أنَّ هذا العمل تعويذٌ للطفل من همزات الشياطين. وقد يتبادر الىٰ الأذهان السؤال التالي: ما ضرورة مثل هذا العمل بالنسبة للطفل الذي لا يدرك شيئاً؟ والجواب: أن هناك تفسيراً علمياً لهذا العمل لا مجال لذكره هنا خلاصته إنَّ هذا العمل يؤثر كثيراً في خلق الروح الدينية عند الطفل.

ومن المسائل الأخرىٰ المرتبطة بهذا الموضوع هي غسله وختانه، وتقديم عقيقة عنه، والتصدق بوزن شعره ذهباً او فضّة.

٤ ـ **إحترامه**: ذكرنا سابقاً أن الطفل أمانة الله وهديته الينا. وهو مرتبط بالله ولا يمكن النظر اليه كدميةٍ او وسيلة لعبٍ يجوز الإستهانة بها.

وهذا الإرتباط بالله يجعله شيئاً مهماً وذاكرامة، ومنزلته هذه تستوجب الالتفات الىٰ بكائه وصراخه، وصفوة القول: يجب معاملته باحترام، فحينما يتحدث يجب الإصغاء اليه، وعدم الإكثار من التدخل في أفعاله وشؤونه التي ينشغل بها، بل يجب أيضاً إجتناب التدخل في سلطته علىٰ وسائل لعبه ولهوه. يجب أن يشعر بأنه شخصية كبيرة له احترامه بين الآخرين ويحضىٰ بينهم بالقبول.

٥ ـ محبّته: المحبة ضرورية لادامة حياة الطفل. وبوجودها تشعر نفس الطفل بالارتياح والاستقرار. أما الذين يفتقدون عنصر المحبّة في الصغر فيتحولون في الكِبَر الىٰ أُناس ذوي طباعٍ خشنةٍ، وعُقد نفسية مستحكمة. ويجب ان لا تتوقف المحبة علىٰ مكانته النسبيةِ كأن ينظر الىٰ نسبة جمال الطفل او مقدار نموّه ولون عينيه وشعره، بل ينبغي وجود المحبة لمجرد الارتباط القائم بين الطفل وأبويه. ولا يجب ان تتجاوز المحبة مداها لأنها اِن خرجت عن حدّها جاءت بنتائج عكسية.

٦ ـ تغذيته: لا غذاء أفضل للطفل من حليب الأم. وقد أكدت الأحاديث ان الأُم لها الحق بطلب أجرةً ارضاع طفلها. والأُمُ لا تقدم له الغذاء من خلايا جسدها فحسب، بل اِنها تبادله العطف والحنان اثناء الإرضاع.

وفي حالة عجز الأُم عن اداء هذا الواجب، يفترض حينئذ الإتيان بمربيةٍ له او أوصت الأحاديثُ بجملةٍ من الخصائص اللازمةِ والتي يجب توفرها في المربيةِ كأن لا تكون حمقاء، ولا مريضة العينين، ولا يهودية ولا نصرانية ولا مجوسية، ولا بنت زنا ولا سيئة الاخلاق ولا ناصبية، بل يفضل أن تكون مؤمنةً وتتحلىٰ بما يناسب الحال من الجمال والأدب.

واذا تعسّر الإتيان بالمربية، يقدم له حليب الدواب (ويحل محله في عصرنا الحالي الحليب المجفف) ولكن لا يفوتنا ان ذلك يؤدي الىٰ الفطام المبكر الذي يؤدي الىٰ آثار سلبية من الناحية النفسية.

عندما يُتمّ الطفل عامه الأول يتوجّب علينا اطعامه مما نأكل وبعد الشهر الخامس عشر نترك له الحرية في تناول الطعام لوحده، أي لا نُلقِمَهُ.

ومن شروط الطعام ان يكون طيباً طاهراً لأنهُ يؤثر علىٰ سلوك الطفل وتصرفاته، وورد في القرآن الكريم ﴿**يا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا كُلواْ مِن طَيِّبَاتِ ما رَزَقْناكُمْ وَاشْكُرُوا اللّهِ إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾«البقرة: آية ١٧٢».

٧ـ **كسوته**: يجب ان تكون ثيابه واسعة حتىٰ لا تقيّد نموّه، ويُفَضِّل ان تكون بيضاء او ملوّنة. ولا يُكْسَىٰ الطفل بثياب الحرير ولا يُعَوّد علىٰ النعومة من صغر سنه،كما لا تكون ثيابه علىٰ درجةٍ من الخشونة تؤذي جسمه.

٨ ـ **الجانب الصحّي**: يجب المحافظة علىٰ الطفل من الأمراض والأوبئة وصيانته من اي عارض خطر، وصفوة القول هي العمل علىٰ كل ما من شأنه إطالة عمره والمحافظة علىٰ سلامته،و يتمّ ذلك عن طريق الإلتزام بالشروط الصحية بالنسبةِ لطعامه والمحيط الذي يعيش فيه.

اما في جانب الصحة النفسية، فيمكن المحافظة عليها عن طريق تجنب كل انواع القلق والاضطراب والمخاوف.

ويمكن أيضاً المحافظة علىٰ سلامته الذهنية وذلك بتجنيبه الانعكاسات التربوية السيّئة، فالذهن جوهرةٌ ثمينه ويجب الا تشتمل الا علىٰ الاشياء النفيسة.

٩ ـ **التربية العاطفية**: يجب ان يتعلم الطفل في البيت كل انواع الانفعالات العاطفية: كالمحبة والعطف، والألم والمرارة، والحزن والفرح، ومن الواضح أن فقدان المحبّة يخلِّف آثاراً وخيمة في نفس الطفل، لأن المجتمع الخالي من الحنان والمحبة مجتمع متعجرف، وسرعان ما سيلقىٰ نتائج مواقفه. وعلىٰ هذا فالطفل يحتاج الىٰ بذل الحنان والمحبة له، وأن

يلقىٰ الرعاية والاهتمام اللازمين،كأن يُقبِلُوُه ويلاطفوه ولا يظهروا الانزعاج من اِلحاحه ولا يتصرفون معه بقسوة وخشونة.

١٠ـ **التربية الاجتماعية**: والمراد بها أن يعلِّم الأبوان الطفل آداب المعاشرة والأسلوب الذي ينبغي سلوكه في الحياة الاجتماعية بحيث يستطيع تحمل اعبائها ولا يشعر بوطأتها، ويميل الىٰ التعاون والتكاتف مع الآخرين ولا يشذّ عن الجماعة وأن يُكنَّ في قلبه الاحترام الكافي للإنسانية.

يحتاج الطفل الىٰ تعلّم الأصول الاجتماعية التي تجعل علاقاته مع الآخرين مبنية علىٰ أساس التفاهم المشروع والسير في طريق خدمة مجتمعه ورعاية مصالحه وخدمة العدالة الاجتماعية. وهذا يستلزم مواصلة اعداد الفرد إعداداً اجتماعياً حتىٰ سن الحادية والعشرين عاماً وإشراكه في الشؤون العائلية وتحمّل بعض ما فيها من مصاعب، واصطحابه الى التجمعات والمحافل الاجتماعية المختلفة.

١١ـ التربية الدينية: وتبدأ بمفهومها العام منذ اليوم الأول للولادة. وفي السنوات اللاحقة يجب مراجعة الكتب الدينية التي تحدد البرامج اللازمة لكل سنة او حتى لكل عدة اشهر من مراحل حياة الطفل. ففي الثالثة مثلاً ينبغي تعليمه كيفية السجود، وفي الخامسة اداء الشهادتين، وفي السابعة يتعلم الصلاة، ويتحقق بعض هذا التعليم عن طريق مشاهدة عمل الوالدين والمشاركة في المحافل الدينية.

١٢ـ **التربية الأخلاقية**: يجب أن يتعلم الطفل ومنذ الأشهر الأولىٰ من حياته المسائل الأخلاقية والمراد بها هنا: مجموعة الأصول والقواعد التي

تحكم العلاقات الانسانية والحرص علىٰ المحافظة عليها. فالتربية اذا خلت من الوازع الأخلاقي لا تعني سوىٰ اعداد مجرم ماهر.

تتفتح لدىٰ الانسان في ظل التربية الدينية الكثير من السجايا الربّانية والفضائل العقلية كالامانةِ، والشجاعة، والإقدام، والحذر، والإحساس بالمسؤولية ويلتزم بالأسس والمعايير التي تنظم حياته.

الشخص بالعمل، يتوجب علينا عدم التشكي من مشاق اعمالنا أمامه لأن هذا يولد لديه كراهية العمل.

١٣ـ التربية الاقتصادية: وتقع علىٰ الأبوين ايضاً مهمة تربية الوليد تربية يكسب فيها المهارة في الفنون التي تساعده علىٰ إتقان عمل معين، وتعليمه فناً ينفعه في تسيير امور حياته ولا يكون كَلّاً علىٰ الآخرين. واذا اردنا ترغيب الشخص بالعمل، يتوجب علينا التشكي من مشاقّ اعمالنا امامه لان هذا يولِّد لديه كراهية العمل.

والمسألة الأخرى التي يجب ان يتعرف عليها الطفل هي قيمة المال.

اذ يجب ان يُطرح أمامه علىٰ انه وسيلة لصيانة الكرامة، وقضاء الحاجات الضرورية في الحياة، والمساعدة علىٰ بلوغ الغاية التي ينشدها الانسان.

١٤ ـ المكان المناسب: يحتاج الطفل الىٰ مكانٍ يستطيع فيه الاختلاء بنفسه والاستغراق في عالمه الذاتي. فإن تعذّر إفراد غرفة له، فيجب علىٰ الأقل تخصيص زاوية من احدىٰ الغُرف له لكي يستطيع أن يضع فيها دُماه وَلُعبه الخاصة، وينشغل فيها باللعب والتسلية اما في السنوات اللاحقة، فالأمر يتطلب عزل مكان نومه عن محل نوم الأب والأم والأخت.

١٥ ـ **تعليمه المسائل الضرورية:** وهـنالك الكـثير مـن المسـائل الضرورية الأُخرىٰ التي يجب تعليمها للطفل كـالواجـبات، والمـحرمات، والحقوق والحدود، وفقاً لما يتناسب وسنه. ويـتّسع هـذا البـاب التـعليمي ليشمل كل الشؤون المهمة في الحياة والعائلة ومسائل الزواج وغيرها.

ولكن مما يؤسف له أن الكثير من العوائل تأبىٰ الأجابة علىٰ اسئلة الأبناء بذريعة أن هذه المسائل تزيل حياءهُ. وربما تَعمد اكثر العوائـل الىٰ تـهيئة الأجواء التي تُثَبِطُ الأبن عن الاستفسار من والديه.

ولا ينتج عن مثل هذا العمل سوىٰ إلحاق الضرر بالعائلةِ والطفل علىٰ حدٍ سواء. ومن الواضح ان الطفل سيعثر علىٰ جواب اسئلته بشكل او آخر. فاذا تنصّل الأبوان عن اداء هذه المهمة فسيندفع الطفل تلقائياً الىٰ سؤال الأخرين عمّا به يجول بخاطره، ويلقي اسئلته علىٰ اشـخاص غـير مـطّلعين، وربـما مغرضين أحياناً،إذن فمن الأفضل ان يتولىٰ أبواه هذه المهمة بالأجابة علىٰ اسئلته بهذا الأسلوب، أو ذاك، لأنهما أحرص الناس عليه وعلىٰ مصلحته.

١٦ ـ **اللعب مع الطفل:** اللـعب مـن الحـاجات الاسـاسية للـطفل ومـن المستلزمات التي تهيىء له أرضية النضوج. والطفل في البيت يحتاج الىٰ من يلعب معه ويماثله في السلوك والتفكير، وهذه الحاجة اكثر ماتلحظ علىٰ الطفل الوحيد للعائلة.

ولهذا أُشير في مناهج التربية الأسلامية الىٰ أن حاجة الطفل هذه تتطلب أن يجعل الأبوان نفسيهما بمنزلة الطفل ويلعبا معه، وكان النبيُ الأكرمُ(ص) يتبع هذا الأسلوب مع الحسنين(ع) حتى انه كان يجعل نفسه كالبعير فيركب

ابناه علىٰ ظهره.

١٧ـ تربيته علىٰ تحمل مصاعب الحياة: لا تسير الحياة دوماً علىٰ وتيرة واحدة، ولا يتوفر فيها الطعام اللذيذ والفراش الوثير علىٰ الدوام،ولا تكون مصحوبة دوماً بالراحة وفراغ البال،بل تقترن احياناً بانواع الحرمان، وهذا ما يجب علىٰ الطفل أن يعيه في حياته.

وبناءً علىٰ ما ذكر فلا ضرورة لأن يعيش الطفل دوماً في الرياش والنعيم ولا نُصِرُّ علىٰ إقتران حياته في جميع الأحوال بالنجاح والتفوق، بل أن مسار الحياة يستدعي أن يتذوق ايضاً طعم الفشل ويعيش ظروف الحر والقر والجوع والعطشى والتعب والراحة، وان يُعدّ نفسه لتحمل مصاعب حياته المقبلة والمليئة بأمثال هذه الأضداد.

ولا ننسىٰ الاشارة الىٰ اهمية ووجوب تعليمه الأمور المختلفة لكل من عالمي الرجل والمرأة ، وذلك من خلال مشاهدته للسلوك اليومي الذي يَتّبعه الأبوان.

ولا بد ان ننبه ايضاً الىٰ أنَّ السقوط والإنزلاق، والجرح والألم والراحة والسعادة جزء من مستلزمات الحياة، ولا داعي لأن يتلقىٰ الطفل يد العون والمساعدة حينما يتعرض لشيءٍ من هذا القبيل، لأنه سيصبح في مثل هذه الحالة شخصاً ضعيفاً لا يثق بنفسه.

بالإضافة الىٰ كل ذلك يجب أن يتعلم النظرالىٰ الحياة بنظرة ايجابية وهذا ما يتطلب عدم مواجهته بظرف يسلب منه طعم الحياة وبهجتها، وعلىٰ الوالدين أن يمتنعا عن تضخيم مصاعبهما ومشاكلهما أمامه، لأن هذا يدفعه

الىٰ إساءة الظن بالمستقبل والتخوف من الزمن.

تربية الضمير

تربية الضمير

المقدّمة

يولد الانسان وهو مزود بالغريزة والفطرة، وكل دوافع العمل والجهد والارتقاء والنضوج والسعي لبلوغ الأهداف النبيلة. وبإمكان القوىٰ الأدراكية المودعة فيه ادراك الواقع والحكم علىٰ الأمور.

وله حياة وجدانية، والمراد من دلك أنه قادرعلىٰ النظر في ذاته في اية لحظة ليدرك أن له رؤية وبصيرة في ظل وجود عوامل الإستقرار والراحة.

إن وجود مثل هذا الإدراك ومثل هذه الحياة التي تسمىٰ بالضمير إنماهي مقدمة لتوجيه الإنسان نحو الغاية المنشودة. ثم انه يكتسب، في ما بعد، الأُسس الأخلاقية وبعض المعتقدت الدينية والمدركات الموجودة في هذا العالم نتيجة للتربية والبيئة الاجتماعية.

□ ما هو الضمير؟

قالوا: ان الضمير هو عبارة عن وعى الانسان لشخصية وحقيقته الباطنية، وهو عامل لمعرفة المسائل والجوانب المتعلقة بحياته. ذكروا ايضاً أنه عبارة عن قوة النفس المدركة وانه يدرك كل ماهو وجدانى و واقعى وحقيقى .

وبناءً علىٰ هذا المفهوم فإنَّ الضمير هو نوع من الادراك الباطني الذي يعرف ـ وحتىٰ من غير علم ـ إنَّ لهذا العالم مدبراً (وهذا هو الضمير التوحيدي) ويدرك أيضاً ان مسار الحياة يتطلب الاخلاص والأمانة، وأن الكذب والخداع قبيح.

نحن نعلم ان الطفل يدرك ذاتياً وبواسطة ضميره ان الكذب قبيح.. وحتىٰ أنه في مطلع حياته لا يقدر علىٰ اختلاق الأكاذيب. فالضمير يُبدي له حقيقة الكذب القبيحة. اِلا أنَّ الطفل ينجرف في ما بعد في تيار يجعله قادراً علىٰ الكذب بسبب سوء التربية، وعدم سيطرة المربي والتعليم الخاطىء.

□ مصدر الضمير وجذوره

ولكن ما هو مصدر الضمير ومن اين يستمر وجوده؟ يمكن القول بوجود رأيين في هذا الصدد. وهناك نمطان من التصور بشأن القبح والجمال بشكل عام يطرحهما الدين وعلم النفس وهما بالشكل التالي:

١ـ **الاكتساب والتعلّم**: يرىٰ أصحاب هذا الرأي وأكثرهم من علماء النفس ذوي الإتجاه المادي، أن الطفل يكون عديم الضمير حين الولادة،

ولا يمتلك أية معايير يدرك بها القيم، وتستوي لديه الأمانة والسرقة والصدق والكذب. ثم انه يكتشف لاحقاً بعد التعلم والإكتساب بأن الأمر الفلاني جميل، والآخر قبيح.. وللتعلم دوره ـ كما للآلام ـ في خلق هذه الأرضية عند الأفراد وتوعيتهم علىٰ هذه الأمور.

٢ـ الفطرة والذات: بينما يرىٰ آخرون وعلىٰ رأسهم الالّهيون أنَّ للضمير جذوراً فطرية. وانه مغروس في أعماق كل الناس بشكل متماثل. ويعتقدون أن الضمير فطرةٌ ربّانية، أو غريزة لا تفنىٰ. وهو دليل موثوق للإنسان، كما انه يضع الانسان لا إرادياً علىٰ طريق الخير والسعادة ويجنبُهُ الوقوع في المنزلقات.

الضمير فطرة أولية لا يحتاج الىٰ كثير من الجهد للتعلم سوىٰ أن توضع أمامه مصاديق مختلفة للحُسن والقبح.

يقوم مبدأ الخلقة علىٰ الصدق، الا أنَّ الأطفال يجدون انفسهم مضطرين ـ ومَردُّ ذلك سوء التربية ـ الىٰ البحث عن سبل الخداع او اختلاق الأكاذيب للتخلص من بعض المواقف الحرجة.

وعلىٰ هذا الترتيب فإن الضمير جزء من فطرة الأنسان ونفسه اللوامة التي توبخهُ علىٰ كل معصية أو إنحراف يصدر منه. وإنطلاقاً من هذه الرؤية يتبين ان الضمير اشعاع من الهداية الإلّهية التي تنير طريق الإنسان وتسلّط الأضواء علىٰ الجوانب المظلمة في الحياة، فتبغّض إلينا كل قبيح، وتُحَبِّب لنا كل ما هو جميل وترتضيه الفطرة.

الدليل علىٰ فطرية الضمير

ولكن ما هو الدليل علىٰ فطرية الضمير؟ ولغرض الإجابة علىٰ هذا السؤال يمكن الاشارة الىٰ أن الضمير لا ينحصر وجوده لدىٰ الناس المتدينين فحسب، بل يمكن معاينة مؤشرات وجوده عند سواهم ايضاً بسبب ميل الناس الىٰ كل ما هو جميل ونبيل وابتعادهم عن كل ما يشين. وقد يتمكن بعض الناس من وأد هذا الحافز في ذواتهم، أو أنّهم يشدّدون عليه الخناق فيحولون دون استيقاظه لكن جذوره لا تجف أبداً.

للضمير التوحيدي، والضمير الأخلاقي جذور متوغلة في اعماق كل انسان من جميع الأمم والشعوب، ويستوي فيه الأسود والأبيض والرجل والمرأة، والجميل والقبيح. وهذا ما يصطلح عليه الدين بـ«معرفة اللّٰه بالفطرة» وفي ميسور جميع الناس ان يدركوا ـ حتىٰ بدون مربي ـ ان لهذا العالم خالقاً. وأن الصدق جميل والكذب قبيح. فالجميع يمتلكون هذا الضمير التوحيدي والأخلاقي.

◻ غاية الضمير

للمضير غاية يستهدفها، ويعللها الدين بالنفحة الالهية التي نُفِحت في روح الانسان، وتتمثل بالنقطة التي نبلغها من خلال عملية البناء الذاتي والتكامل الروحي، والتي تُلْحَظ مظاهرها طوال مدة الحياة في النزعات الانسانية السامية كالتضحية والايثار واكتساب المعرفة... الخ.

إنَّ الهدفية الكامنة في ضمير الإنسان هي التي تدفعه لبناء ذاته مع السعي في كل موقف يمرُّ به الىٰ تجنّب اي زلل قد يصدر منه، فأما من كانت فطرته سليمة وضميره حيّاً فيسير في طريق الأحسان والسيطرة علىٰ زمام نفسه. وضميره يؤدي دور الحارس او المراقب الذي يحثه علىٰ فعل الخير وينهاه عن كل قبيح.

وفي الجانب التربوي تقع علىٰ المربي مهمة المحافظة علىٰ سلامة ضمير الطفل بتحذيره أو حتىٰ معاقبته في موارد الانحراف. وكان الأنبياء يركّزون مساعيهم علىٰ استثمار هذه الطاقة المُودعة في فطرة كل انسان لأجل توجيهه الىٰ المسار الصحيح والحيلولة دون موت ضميره.

□ ضرورة وجود الضمير

وجود الضمير والمشاعر التي يثيرها ضرورية للإنسان لأن فقدانها يؤدي به الىٰ الحيرة والضياع أو حتىٰ السقوط في مهاوي الإنحراف والرذائل. قد نتعرض احياناً لحالة من القلق والإضطراب من الناحية العقلية وذلك لعدم قدرتنا علىٰ اتخاذ القرار الصحيح بشأن أمر ما. ولو كان الضمير حيّاً لما واجهنا موقفاً كهذا لأنه يتيح لنا فرصة إلتماس الطريق القويم. الضمير نعمةٌ الهية تثير مشاعر البغض والكراهية للجوانب السلبية، والرغبة والشوق لكل ما هو ايجابي وبنّاء، ويسوق الأنسان نحو الكمال ويكشف له طريق السعادة. وتكمن ضرورة وجوده في كونه يشرف علىٰ سلوك الأنسان واوضاعه

□ دور ومهمّة الضمير

وصفت التعابر العلمية الوجدان بربان سفينة الوجود، وقائد الأنسان الذي يقود زمام الامور. يوجُّهنا في أي صوب يشاء، وينهانا عـن السـبيل الذي يريد. واي خلل فيه سيؤدي الىٰ الضلال والضياع. هو المشرف الذي يراقب عمل وسلوك الأنسان.وكل ما يحدث في مسار هذه الحياة، إنما هو قائم علىٰ اساس حكمه. فإن حصل خطأ في مسير الإنسان يتصدىٰ له الضمير وينبهه الىٰ خطئه وانحرافه، بل ويؤنبه عليه في بعض المواقف.

الضمير كالمرآة التي ينعكس فيها سلوك الإنسان باجمعه صغيره وكبيره ما خفي منه وما ظهر. فيرىٰ الإنسان صورة تلك الأعمال واضـحة أمـامه، فيضعها في المعيار ويقييمها ويبدي رأيه في خيرها وشرها ثم يستسيغها أو يرفضها. وتعتبر هذه الرقابة وهذه المقارنة، وهذا التحكم وسـيلة للسـيطرة علىٰ الذات، وحتىٰ ان الطفل يستطيع السيطرة علىٰ ذاته في ظل وجودها.

□ أهميّة الضمير

يـتضح مـما سـلف ان وجـود الضـمير لدىٰ الإنسـان مـهم فـهو قـاضٍ ومشرف، ودليل أمين. له رأيه في قبيح الأمـور وجـميلها. وهـو مـن هـذا المنظار قاعدة كبرىٰ لتربية الإنسان وسعادته.

والضمير كما نراه نحن عبارة عن محك وميزان لا يجوز التقدم عليه ولا التخلف عنه، فإن تخلف الإنسان عنه لَقِي من التأنيب ما يلقى وهذا الأمر

بذاته له دور كبير في نضوج الشخصية وامتناع الإنسان عن الإنحراف وجنوحه الىٰ كل ما هو مفيد.

اما الأسلام فأنه يرىٰ الضمير شاهداً علىٰ الإنسان وحارساً أميناً يفرز له خير الأعمال وشرها، ويحاول التسلل الىٰ اعماقه عن طريق الأُنس والأُلفةِ لتكون له السيطرة التامة علىٰ كل اعماله. ويترجح في الأهمية علىٰ العلم لأنه يحتل مكانةً اعلىٰ من مكانية المعادلة المتعارفة في السؤال والجواب او مشاهدة الظاهر وتقييم الباطن علىٰ ضوئه. فالشخص الذي ينكر الحقائق ويلجأ الىٰ الكذب امام القاضي، يعلم ان كلامه مُجافٍ للحقيقة وهوما يجعله يعاني من العذاب وتأنيب الضمير.

▫ السلك الوجداني

السلوك الوجداني هو السلوك الخالي من الكذب والخداع والرياء والتحايل. وهو سلوك عادي وطبيعي، ومنسجم مع النوازع الباطنية، ومقرون بطيب الخاطر، ولا يشوبه اي قلق او اضطراب.

السلوك الوجداني مجرد من التعذيب والايذاء، والقتل والمضايقة. وإن صدر اي عمل مشين سارع الضمير الىٰ استنكاره فهو يعرف القبائح ويتجنبها.

من معالم السلوك الوجداني اقترانه دوماً بالسكينةِ والاتزان، فلا يضطرب الإنسان من بروزه . ولا إزعاج فيه للآخرين ، ولا يشعر الإنسان معه بالذنب والندم واذا وجد الإنسان نفسه مجرداً من القيود والموانع، لا يتورع عن ارتكاب كل ما تسوّل له نفسه، فهو يقيم بناء حياته علىٰ اساس استبعاد

تأنيب الضمير.

ولا يمثل الدين عاملاً مساعداً لعمل الضمير فحسب، بل هو من عوامل المحافظة عليه، وتطمح التعاليم الدينية الىٰ تقويم عمل الضمير ورفع درجة وعيه وقدرته على اصدار الأحكام، فتطرح له الأمثلة والمصاديق المتنوعة لتقوية ادراكه وتوسيع قابليته علىٰ فهم الأمور.

□ انواع الضمير وابعاده

الضمير موضوع وأرضية، ولكنه يؤدي مهمته في ثلاثةِ ابعاد اساسية علىٰ أدنىٰ تقدير. ونذكر في ما يلي هذه الأبعاد لأجل التعرف علىٰ جوانبها، لغرض فهم الواجب العام الذي يتولىٰ الضمير تأديته. وكل واحد من هذه الأبعاد الثلاثة بحاجة الىٰ المزيد من التربية والتعميق:

١ ـ **ضمير المعرفة**: والمراد به الشعور النفسي الذي يشعرنا بالحالة او الوضع الذي نحن فيه. فنحن نستطيع التفكير بأنفسنا في أية لحظة لتقييم الوضع او الحالة التي نحن فيها ونحكم عليها. فنرىٰ مثلاً هل إنَّ حالنا جيد او سيىء؟ وهل نحن في حالة استقرار وسكينةٍ ام في قلق واضطراب؟ وهل إنَّ حالنا سليم ام سقيم؟

٢ ـ **الضمير التوحيدي**: والمراد به الضمير المدرك أنَّ لهذا الكون خالقاً،اسمه اللّٰه تعالىٰ، وهو خالق كل شيء، وبيده الأمر والخلق، وبيده زمام كل أمورنا وحياتنا ومماتنا.

٣ ـ **الضمير الأخلاقي**: وهو المؤشر الدال علىٰ القبح والجمال. يتولىٰ الحكم علىٰ صحة او سقم سلوكنا. يؤنبنا علىٰ كل قبيح فيدفعنا ذلك الىٰ

إعادة النظر في سلوكنا واتباع السلوك القويم والأخلاق الفاضلة بكل شغف وارتياح.

□ محكمة الضمير

حينما يواجه الإنسان الضمير لا يمكنه التخلص من حسابه وتأنيبه. فلا محكمة أقوىٰ من محكمة الضمير. مهما كان الإنسان قوياً ومقتدراً فلا بُدَّ لَهُ من الخضوع امام محكمة الضمير. اي أن الضمير قد شكل محكمة للنظر في تصرفات الناس فإن رأىٰ منهم خطأً ادانهم، الىٰ درجةٍ انه يجبرهم في بعض الحالات علىٰ الانتحار والإستسلام للموت جزاءً لخطأ معين صدر منهم.

الضمير الأخلاقي كالقاضي الواعي المقتدر الذي يظهر حين ارتكاب الجرم فيقبض علىٰ الجاني ويقدمه للمحاكمة. صحيح أن بعض الناس قد يستطيع اخفاء جريمته عن المحكمة، أو يتحدث بشكل يوهم المحاكم القضائية ببراءته ويموّه عليها الحقائق، لكن هذا غير ممكن في ازاء الضمير، فلا يمكن للإنسان إهماله او التخلص من تبعات الذنوب والمعاصي.

لا تبرىء هذه المحكمة ساحة احد من الناس الا اولئك الذين لم يصدر منهم اي ذنب او انحراف، وإلّا فيتعرضون تلقائياً لتعنيف شديد من قبل الضمير ولا يكتفون بالندم علىٰ ما صدر منهم، بل يُنزلون بأنفسهم اقسىٰ انواع العذاب.

▫ تأنيب الضمير

يتعرض الأشخاص الذين يرتكبون جرائم كبرىٰ تضر بالأخرين، الىٰ تأنيب شديد في الضمير. ومن المؤكد أن عذاب الضمير أشدُّ ايلاماً من الاعدام، ولهذا نرىٰ بعض الناس يقدم علىٰ الانتحار تخلصاً من تأنيب الضمير..

السلوك المنحرف الذي يؤدي الىٰ حصول بعض المصائب يجعل الإنسان يعيش في حالة من الضيق والاختناق لا يتذوق فيها أنفاس الراحة.ويعاني من الأهوال والمصائب ما تطبع حياته بالتخبط والتعاسة. فلا يجد لنفسه مخرجاً وتظل روحه تتعذب في خضم الصراعات والتناقضات الداخلية. تعتريه حالات من الغضب والإرتعاش في كثير من المواقف. فحينما يكون وحيداً يصرخ احياناً بصورة لا إرادية، ويهمس مع نفسه باللوم والتقريع. وهذه كلها من معالم تأنيب الضمير. وقد يؤدي به هذا اللوم والتأنيب الىٰ حالات قاتلة. ولهذا فقد ترك الاسلام باب التوبة مفتوحاً من أجل ان يستعيد المذنب وضعه الطبيعي ولا يفقد اتّزانه نتيجة فقدانه الأمل بالنجاة. فالتوبة هي السبيل الوحيد لاعادة الإنسان الىٰ الطريق القويم والاستقرار المطلوب.

□ عذاب الضمير

اما الاشخاص الفاقدون لأي التزام ديني، ولكنهم مالكون لفطرة سليمة فسيظلون يعانون من ضغوط نفسية شديدة، قد تؤدي بهم الىٰ الابتلاء ببعض الأمراض العصبية. وقد تأخذ تلك العقوبات احياناً طابع الاختلال العصبي، اوالاضطراب النفسي، او حتىٰ أن بعض الأشخاص يصابون بالجنون. فالأشخاص الذين يتصرفون خلافاً لما تمليه عليهم ضمائرهم، ويقدمون علىٰ ارتكاب الجرائم. يعيشون في أيام عصبية وكأن نيراناً تلتهب في اعماقهم فيحترقون بها لذا نراهم يفقدون القدرة والاستقرار، ويطغي عليهم كره الحياة والاشمئزاز منها ـ حتىٰ أن الكثير من النشاطات الايجابية والتوجّهات الخيرة لا يعود لها اي تأثير في ارضائهم وخلق البهجة في نفوسهم . إن عذاب الضمير علىٰ درجة من التأثير، بحيث يدفع الأشخاص احياناً الىٰ اليأس من انفسهم، فأما أن يقفوا في مواجهة الجرم الذي ارتكبوه وأما ان يستقبلوا الموت بشجاعة، ولا يستلموا لآراء هذا وذلك .

وهنا تجدر الاشارة الىٰ هذه النقطة ؛ وهي ان الضغوط القوية التي تنشأ من جراءِ تأنيب الضمير قد تؤدي بالإنسان في بعض الحالات الىٰ ان يصبح اكثر وحشية من الحيوانات الكاسرة، وتتضاءل لديه القدرة علىٰ المقاومة، فلا يمكن في مثل هذه الأحوال التخلّص من شرورهم. وعلىٰ كل حال فالإنسان ليس كالحيوان الذي يسر بتصرفاته اللامسؤولة. ولا يعتبر التقصير والقصور مدعاةً لكمالهِ.

□ الضمير سدٌّ منيعٌ

يبدو الضمير في حياة الإنسان وكأنه سدٌ يمنع من تحول حياتنا الىٰ ايام سوداء ولا يدعنا نسقط في المسارات المنحرفة، وينبهنا الىٰ مسالك الجريمة. قد يبادر الإنسان الجائع الىٰ القيام بأي عمل للحصول علىٰ رغيف الخبز، اِلا أن الضمير يقف حائلاً امامه يمنعه من السرقة والجريمة لاشباع بطنه.

وقد يكون بعض الأطفال في سن لا يدركون معه مصاديق الجريمة والسرقة والغش ولا يفهمون معنىٰ خرق الأصول الأخلاقية. فلا بد من تعريفهم بالمصاديق الدالة علىٰ ذلك. اِلّا أننا إذا لاحظناهم مُصرّين علىٰ بعض الممارسات القبيحة، فالواجب يحتم علينا الوقوف بوجههم ومنعهم من مواصلة اي تصرف غير لائق، ومن المهام التي تتولاها التربية هي أولاً: توعيتهم الىٰ خطأ بعض تصرفاتهم، وثانياً: ان لا ندعهم يرتكبون مثل هذه الأعمال، من أجل استئصال الأعمال القبيحة من اعماق انفسهم.

□ سبات الضمير وتلوثه

يأتي الإنسان الىٰ هذه الدنيا بضمير طاهر، بانياً عمله علىٰ اساس الضوابط التي اودعها اللّٰه تعالىٰ في نفسه. لكن هذا لا يعني أن الضمير يبقىٰ علىٰ نفس هذا الحال.

يتوقف الضمير احياناً في بعض مراحل الحياة ونضوج الشخصية، وقد

يتعرض ايضاً للأصابة بانواع المخاطر والأمراض فيتلوث ولا يعود قادراً علىٰ تأدية واجبه بشكل اصولي، وهو ما يطلق عليه اسم سبات الضمير فيوقع الإنسان في مهاوي الضلال والتعاسة، ولا بد في مثل هذه المواقف من تجديد الضمير او اعادة صياغته من جديد بهدف اعادة الإنسان الىٰ صوابه.

واذا استمرت حالة سبات الضمير عند الإنسان ، فقد تؤدي به الىٰ المسخ فينسىٰ حتىٰ مفهوم الحق، بل ويتجاهل كل وجوده. او يكون حكمه علىٰ الأمور غير مصيب، فيظهر علىٰ سلوك الإنسان نتيجة لذلك معالم الإضطراب وعدم الأستقامة.

اِن واقع الحال يستوجب التصدي منذ البداية لأي انحراف في سلوكه او القضاء علىٰ حالة فساد الضمير التي تعني الإهمال وعدم الحساسية تجاه وقائع الحياة والسلوك الفردي.

□ تحوّل الضمير وتكامله

يتسم الضمير بالقابلية علىٰ التحوّل والتكامل. فباستطاعة الإنسان القيام بالأعمال الحميدة والالتزام بالسلوك المستقيم ومكارم الأخلاق ونبذ التصرفات الهوجاء، والأخذ بزمام نفسه والسيطرة علىٰ اهوائه ورغباته ليصل الىٰ حالة السكينة والاستقرار، وبذلك يكون قد قطع شوطاً طويلاً في طريق تكامل ضميره.

ومما ينبغي فعله تجاه الضمير هو اِعانته في صراعه المرير الذي يخوضه قبال الظروف والمواقف المختلفة، ومواصلة الإيحاء اليه بضرورة اصدار الأحكام العادلة، وهذا ما يستدعي مجابهة الميول المعارضة للوجدان،

وعدم الخروج عن جادة الصواب التي يرتضيها الشرع. وتُعَد نفس هذه الالتزامات من عوامل تكامل الضمير. الا أنَّ هناك عوامل تضغط علىٰ الضمير من الخارج وتنجح في حرفه عن مساره احياناً.

ولا بد هنا من الاشارةالىٰ ظاهرة هامّة وهي ان الكثير من الضمائر الميتة قد تستفيق علىٰ روي سؤال مؤثر واحد، فتسلك في حياتها مساراً جديداً.

□ الضمير في سنوات البلوغ

يدخل الضمير اثناء مرحلة المراهقة والبلوغ في حالة خاصة من الوعي، والباعث علىٰ ذلك هوان الإنسان نفسه يلج في مرحلة خاصة من حياته ونضوجه. فيمسي ادراكه اوسع مما كان عيه من قبل ويرىٰ نفسه مسؤولاً عن اتخاذ مواقف خاصة ازاء الأحداث المختلفة.

وفي هذه المرحلة يستفيق ضميره الديني ويسعىٰ لاستحصال المعلومات الكافية عن عقيدته ومذهبه. ولا يعكس الشك في المعلومات الدينية المكتسبة سوىٰ سعيه المتواصل لاكتشاف الحقيقة والاستقرار علىٰ معتقد صحيح، ومن الضروري أن يطوي هذه الفترة الحرجة من حياته تحت اشراف المربين ليكونوا علىٰ بينة من المصاعب التي يعانيها في هذا المجال ويسعوا لحلها.

والنقطة المهمة الجديرة بالذكر هنا هي؛ أن الضمير يتخذ قبالة في هذه السنوات طبقاً لما يقدمه الأصدقاء والزملاء، وتقوم الموازين الأخلاقية التي يتبعهابناءً علىٰ ما يلمسه ويراه من الأصدقاء، وهذا من الأبواب التي يحتمل تسلل المخاطر منها.

□ آفات الضمير

ضمير الإنسان عرضة لكثير من الآفات والمخاطر، وما الآفات في الحقيقة الا معاكسة وقلب النقاط البناءة للضمير. ويمكن القول بعبارة أخرىٰ أن الطبيعة الإنسانية القابلة للتأثير ايجاباً وسلباً هي التي تؤدي بالضمير الىٰ الانحراف والاصابة بالآفات ، فلا يعود يهتم كثيراً حتىٰ لموت وقتل الآخرين ولا يهتز للمشاهد المؤلمة والقبيحة.

لا بد من التذكير هنا بأنَّ ممارسة الأخطاء وتكرارها والتعود عليها يصيب ضمير الإنسان بالخلل ويحرفه عن مساره الأصلي، فيُصاب بالصمم فلا يعود يسمع نداء الجميل والقبيح، وحتىٰ أنَّ مثل هذه المفاهيم تستبدل مصاديقها في ذهنه، فيتعرض وجوده ومصالحه حينذاك لمخاطر الانهيار والسقوط. وهكذا الحال بالنسبة الىٰ قتل الفطرة والإكثار من الممارسات المناقضة لها التي تتسبب في فساد الضمير ايضاً. فيُمسي الشخص وكأنّه في سبات لا قدرة له علىٰ التمييز بين الجميل والقبيح ولا يعلم بفضائح ما يصدر منه.

□ وجوب تربية الضمير

يُجمع علماء الدين والأخلاق وعلماء النفس علىٰ وجوب تهذيب الضمير وبذل الجهود الحثيثة لتربيته وإلّا فمن المحتمل جداً أن يتعرض لخطر الجمود او حتىٰ عدم الفعالية في بعض الحالات. ولذا نُشير هنا الىٰ أن الإنسان يُولد ولديه الكثير من القدرات والاستعدادات في المجالات

المختلفة. ولو أن بعض المجالات حظيت الاهتمام والرعاية الكافية لكفت في ايصاله الىٰ طريق الكمال.

ما اكثر الناس الذين يولدون ويموتون من غير ان يستفيدوا من الدنيا أو يستثمروا ما لديهم من طاقات وامكانيات في سبيل بلوغ ارقىٰ مراحل الكمال. فالضمير بحاجة الىٰ الكثير من التربية والرعاية والتعرف علىٰ الكثير من المصاديق المتنوعة الحسنة ومنها والسيئة، ليكون اداة ناجحة في ضبط سلوكية الإنسان في مسير حياته اليومية. وهذا يتطلب نقل التعاليم الدينية والأخلاقية النبيلة الىٰ الأطفال لتحتل موقعها المناسب في صياغة شخصيته وبلورة أفكاره.

□ فوائد تربية الضمير

ولكن قد يتساءل البعض عن جدوىٰ تربية الضمير فنجيبهم بالقول ان من جملة فوائده أنه يهب الإنسان القدرة علىٰ الصمود ومواجهة العواصف والأحداث التي قد تكون احياناً علىٰ درجة القسوة بحيث يضطر الإنسان الىٰ اليأس والإستسلام أمامها اما اذا كان ضمير الإنسان علىٰ درجة من الوعي والتربية فستكون له القدرة على مواجهة امثال هذه الانحرافات.

فالضمير هو الذي يأخذ بأيدينا عند اشتداد الأزمات وعندماتعصف رياح المعاصي والذنوب وتتعالىٰ أمواج الجرائم في بحر الزمن الهادر، ولا يتركنا ننهار او نسقط دينياً واخلاقياً.

حينما يقوىٰ الضمير في وجود الإنسان يبعث فيه حالة الشوق، يجد فيه ضالته من هدوء وسكينة واستقرار. ولا نستغرب لو فهمنا ان انواع الايثار

والتضحية والبذل والعطاء تنبثق كلها اساساً من التربية الصحيحة للضمائر الانسانية.

فكل التصرفات الحميدة والسجايا الفاضلة ومظاهر الإرتياح لخدمة الآخرين وغيرها من الأفعال النبيلة التي تصدر عن ارادة الإنسان واختياره، منبثقة اساساً من الضمائر التي حصلت علىٰ التربية العالية ولها جذور ضاربة في اعماق وجودنا وهي التي تفتح امام الإنسان سبيل النضوج والكمال .

□ الحصيلة المستمدة من تربية الضمير

اما المحصلة النهائية التي نجنيها من تربية الضمير فهي ايصال الإنسان الى مرحلة الكمال التي تعود بدورها علىٰ الفرد والمجتمع بالخير والسعادة. ففي ظل تربيةالضمير يتكون لدىٰ الإنسان جهاز سيطرة يراقب جميع مواقفه وتصرفاته. ويصبح خاضعاً للمقاييس التي يقرّها هذا الجهاز.

يمكن القول بشكل عام إن حركات الانساهن اذا كانت متّجهةً وفق مسار الضمير فهي تصب في قالب مثالي. وتؤثر هذه الحركات في شخصية الإنسان فتكون نتائجها الايجابية لما فيه خير وصلاح المجتمع. إن الذين يعملون علىٰ حرمان الآخرين من التمتع بمباهج الحياة اما ان تكون ضمائرهم منحرفة او هي سائرة نحو الانحراف.

إن مشاعر القبح والجمال المتأصلة في نفوسنا تعتبر اداة فعّالة لصيانتنا من الخطر، ووجودها يعني وجود مفهوم القبح والجمال في المجتمع وعدم ضياع وفناء شخصية الإنسان .

□ إمكانية تربية الضمير

هل بالامكان تربية الضمير ام لا؟ ومن حسن الحظ ان الأجابة علىٰ هذا التساؤل ايجابية. إذ بامكاننا النفوذ الىٰ اعماق الأشخاص عن طريق التربية وتوجيههم نحو الغاية المطلوبة، ولا ينحصر هذا في نطاق شخص معين ولا يرتبط بفئة او جماعة من الناس دون سواها.

لقد أثبتت التجارب اليومية بأنَّ الضمائر قابلة للبناء،كما هي قابلة للتلوث والخدر والموت.هناك الكثير من الناس كانت لديهم ضمائر حية لكن اصرارهم علىٰ مواصلة ارتكاب المعاصي قد أوقعهم في الانحراف حتىٰ يمكن القول أنهم ابتعدوا عن معنىٰ الانسانية. وعلىٰ العكس من ذلك يوجد الكثير من الأشخاص الذين قضوا اعمارهم في ارتكاب الذنوب والمعاصي لكنهم عادوا الىٰ رشدهم وانتهجوا طريق الخير والصلاح نتيجة تأثرهم بتعاليم الأنبياء والصالحين.

□ السن المناسبة لتربية الضمير

أما حول السن المناسبة لتربية الضمير، والمراحل التي تتوفر لنا فيها الظروف المثلىٰ لإنجاح هذه العملية، فيمكن القول إنّها ممكنة في كلّ الأعمار، إلّا أنّ الضمائر أكثر ما تكون حيّة ومتيقّظة عند الأطفال. ويمكن ملاحظة مظاهر هذه التيقظ في استغرابهم من وقوع الجرائم والأفعال القبيحة أو الانحرافات، واستنكارهم لها وعدم استساغتهم لها علىٰ اعتبار

انها تتعارض وإرادة الضمير.

يبدأ الطفل منذ سن (٢/٥) عاماً بمعارضة كل سلوك يتعارض فطرياً مع توجّهات الضمير؛ ولا تخلو مثل هذه المعارضة وبهذا ـ المعيار بالذات ـ من فائدة، لأنّها تضمن الإتّزان الداخلي والنفسي للطفل.

فالطفل حينما يصل الىٰ مرحلة الإستنباط، وتنضج لديه قوّة الخيال يبدأ بإدراك المسائل وتتكوّن لديه حساسيةٌ إزاءها ورغبةٌ في الحكم عليها. فإنْ كانت تربية الضمير تامّة في هذه المرحلة ـ وهي مرحلة حياته الأولية ـ فلن نواجه صعوبات كبيرة في توجيه الطفل، ويتجدد ظهور حالة اليقظة هذه في مرحلة المراهقة.

□ في سبيل تربية الضمير

تجدر الإشارة هنا الىٰ انّ ضمير الطفل أكثر مرونة من ضمير كبار السن، وسريعاً ما يُسْلِم القياد للتغيير. فقد تفرض احياناً علىٰ الطفل مسألة يرفضها ضميرُه، ونطلب منه قبولها بأساليب اللين أو الخشونة، فالملاحظ أنّ الطفل لا يبدي أي تحدٍ أو عناد بل يستسلم سريعاً رغم عدم اقتناعه.

ويعود سبب هذه الظاهرة الىٰ أنّ سلوك الأطفال في السنوات الأولىٰ لم يتبلور بعد ولم يأخذ شكله النهائي، وليس له القدرة علىٰ الإعتماد علىٰ نفسه، بل لا زال مرتبطاً بوالديه ومربّيه. ولهذا يجب الإنتباه الىٰ أهمية هذه المرحلة وما يتّصف به الطفل من المرونة، وخاصّة بسبب ضرورة صياغة ضميره وتربيته وتوجيهه بالشكل الذي لا يجلب عليه أيَّ وبال في المستقبل. وهنالك أيضاً أصول ومبادئ يجب مراعاتها في سبيل تربية

الضمير، وأَهمُّها.

١ - **التعليم**: يولد الطفل وهو مزوّد بكل ما تستلزمه طبيعة الحياة الإنسانية، وله إلمام عامّ بكل ما هو قبيح وجميل ويسعىٰ الىٰ مراعاتها وتطبيقها في حياته العملية؛ الا انه لا يعرف جميع المصاديق التفصيلية وخاصة في ما يتعلق بالقبيح وبالجميل عُرفِياً واجتماعياً.

وهذا ما يستدعي توجيه قسم من جهود المربين الىٰ تعليمه وبيان المصاديق العملية له في فترة الطفولة وتشجيعه علىٰ الأعمال الحميدةِ ونهيه عن كل ما يسئ إلىٰ شخصية الإنسان، بالإضافةِ الىٰ تعليمه في هذه المرحلة المصاديق المعقولة والعملية لمفاهيم الحُسن والقُبح.

٢ ـ **طرح القدوة**: ذكرنا مراراً في بحوثنا المختلفة بأن سلوكنا اليومي درسٌ يتعلّم منه الأطفال كيفية مواجهة أمور الحياة، ولا سيما إذا أخذنا بنظر الإعتبار قدرتهم العالية علىٰ التقليد. فكل ما تشهده ابصارهم علىٰ مسرح الحياة ينطبع في ضمائرهم ويؤثر فيهم. فيتّخذ حكمهم علىٰ مجريات الحياة وموقفهم منها تدريجياً ـ نفس الصورة التي طرحتموها له من خلال سلوككم ومواقفكم.

وبالنتيجة أنتم الذين تتحمّلون الإنعكاسات الجميلة أو القبيحة التي يفرزها ضمير الطفل والتي كان قد أخذها عنكم أساساً.

٣ ـ **التربية الأخلاقية**: تكمن أهمية التربية الأخلاقية في أنّها تطبع الضمير الإنساني بطابعها الذاتي، ولا يمكن الإكتفاء في هذا المجال بالنصح وحده، أو إقناع أنفسنا بأننا قلنا للطفل كرّة واحدة وكفىٰ، لا، ذلك وحده لا

يكفي. فالأطفال بحاجة الىٰ النصح مرّة واحدة ومرّات عديدة الىٰ ان تتكون لديهم الملكة الكافية فتصبح السجايا الحميدة عادةً مغروسة فيهم، وهو ما يؤدّي بالنتيجة الىٰ أن تُطبع ضمائرهم بنفس تلك الصفة. إنَّ فطرة الطفل مطّلعةٌ علىٰ كليات الأُمور، اما المصاديق الأخلاقية فيجب عليكم تعليمها له وحَثُّهُ علىٰ الإلتزام بها.

٤ ـ **الإستفادة من القصص**: هنالك الكثير من القصص المفيدة ذات المغزىٰ العميق، وسردها للأطفال يفيد في توجيههم نحو الخير والفضائل.

وبإمكاننا تربية ضمير الطفل بالصورة المطلوبة عن طريق ذكر القصص المعبّرة، وتنمية ضميره علىٰ المبادىء الفطرية.

ويجب أن تختاروا للقصة البطل المثالىٰ الذي يجسّد للطفل بوضوح مفاهيم الخير والشر والجمال والقبح ليميّز من خلاله بين طريق النجاة وطريق الهلاك.

٥ ـ **الاستفادة من اللعب**: تمثل الألعاب أحياناً أداة جيّدة لدفع الطفل الىٰ إصدار الأحكام، وبيان وجهة نظره في كل ما هو صالح او طالح.

وهنا أُخاطب الآباء والأُمّهات والمربين بضرورة اختيار الألعاب التي تُؤَمِّنُ إيقاظ ضمير الطفل وتوجيهه الىٰ أقوم السبل. استثمروا كل لعبة لإثارة مشاعره النفسية. علّموه كل ما هو جميل وكل ما هو قبيح. الفتوا نظره الىٰ كل عمل فاضل والىٰ كل صفة رذيلة، وما هو الموقف الذي يجب عليه اتّخاذه في مختلف الأحوال والظروف.

٦ ـ **الإستفادة من أسلوبي الوعظ والتشجيع**: تَمُرُّ علينا الكثير من

الموارد التي تفرض علينا توجيه النصح والإرشاد لأبنائنا. وأن لا نبخل عليهم بالمدح والثناء عند القيام بعمل صالح ليكون ذلك تشجيعاً لهم علىٰ الإكثار منه، نعاجله بالنّصح والموعظة عند بروز أي خطأ في سلوكه لنردعه عن تكراره. ولهذا التصرف أثره البالغ في نفسيّة الطفل. لأن من طبيعة الأطفال التاثر بالوعظ والإرشاد والتشجيع .

٧ ـ **الحثّ علىٰ التفكير والتأمّل**: يمكن أن يكون التفكير مدعاة لزوال التناقضات الداخلية في النفس، وفي وسع الانسان أن يصل بالتأمُّل الىٰ إدراك ماهية الضوابط الشرعية والوجدانية، والتعرّف علىٰ ما يرتضيه الضمير.

ان التفكير في شؤون الحياة ينأىٰ بضمير الانسان عما يشوِّه جوهره الناصع. وبميسور ابن آدم أن يخطو علىٰ الطريق الذي يصون مصلحته ومصالح الأخرين ولا يضع قدماً في مسير يخالف الفطرة.

٨ ـ **الحثّ علىٰ التمرين والتجربة**: كلما تقدم الإنسان في السن، كثرت الأحداث والتجارب التي تصقل شخصيته، وتزيد من وعيه ومعلوماته الضرورية لتكامل شخصيته. فالوعي العملي بما يجري، ولمسه للحقائق والوقائع يجعله في موضع الحكم علىٰ الأمور وابداء رأيه فيها؛ فيدرك عملياً ان الكذب مذموم والصدق ممدوح وإيجابي، ونفس هذا الوعي يحدد الأُصول والضوابط التي يسير الضمير وفقاً لها.

فالعبادة ـ وان كانت في مرحلة الطفولة ـ والوعظ والدعاء والإرشاد والتوجيه هي من المقومات المهمة في بناء الضمير وتوجيه الإنسان نحو

طريق الصلاح. فالضرورة توجب فرض رقابة مشددة علىٰ السلوك لصيانة الضمير من خطر الإنحراف، لأن الإنسان يواجه في حياته شتىٰ الظروف التي قد تغريه او تفرض عليه العدول عن مساره؛ فقد يندفع في موقفٍ ما الىٰ التذلل والتملّق وصولاً الىٰ تحقيق رغبة او نجاح موهوم، وقد يتّسع مثل هذا الإنحراف إن لم تكن هناك رقابة من قبل المربّي.

□ تحصين الضمير

أشرنا في ما مضىٰ الىٰ أن الضمير عرضة لكثير من عوامل الإنحراف والتلوّث، حتىٰ أنّه قد يكون ـ لا سمح اللّه ـ سبباً لتسهيل موجبات إنحطاط الإنسان واكثر ما تصدق هذه الحقيقة علىٰ الأطفال والصبيان لكون ضمائرهم غَضّة ومرنة، وسريعة الإستثارة وشديدة التأثّر. وهذا ما يستلزم صيانة الضمير وتحصينه ضد اي خطر يهدده، وتقويته بمنطق الحق والقول الصائب، والمحافظة عليه من كل دواعي التسافل كالعين والأُذن واعضاء البدن الأخرىٰ. فالحواس هي النوافذ التي تطل منها علىٰ العالم الخارجي. ويحصل تلوّث الضمير عادةً عن طريق الممارسات الخاطئة الصادرة عن الحواس. ومن الواضح ان اهمال هذه المبادئ غالباً ما تتبعه مخاطر كثيرة من قبيل تنشئة اشخاص لا يجلبون لأنفسهم ولمجتمعهم سوىٰ التعاسة.

□ العوامل المؤثرة في تنشيط عمل الضمير

هنالك عوامل كثيرة تدخل في تنمية وتربية الضمير ـ ذكرنا أهمّها في البحث المتقدّم ـ وبقيت هنا حالة أُخرىٰ يجب الإشارة اليها وهي ضرورة

توجيه الأسئلة المختلفة الىٰ الطفل في المواقف التي يمر بها في حالة الإنفعالات العاطفية الشديدة كالفرح او الحزن ومعرفة آرائه وأحكامه بشأن القضيّة التي نريد الإستفسار عنها. وعلىٰ المربي أن يلتفت الىٰ ضرورة طرح الأسئلة عليه واستحصال رأيه بشكل غير مباشر ووفقاً للأسس التي يرتضيها الدين.

ولا يخفىٰ هنا ما لدور المعلمين والمربين من أهمية ولا سيما دور الوالدين في الصغر ودور الأصدقاء والزملاء في مرحلة الصبا. فهم يمتلكون الكثير من عوامل التأثير في خمود الضمير او إحيائه.

◻ ضرورة إبقاء الضمير حياً

إنَّ الابقاء علىٰ الضمير حياً مهم في جميع مراحل الحياة. ولا بد من الإنتباه الىٰ عدم تخديره أو موته. فمن العوامل التي تخدّر الضمير؛ مشاهدة الأوضاع والمواقف المتكررة، ومعاشرة الأشخاص الذين لا يبدون أي اهتمام لمختلف الأحداث اليومية وينظرون اليها نظرة باهتة خالية من أية مشاعر أو أحاسيس، ويمّرون عليهامروراً عابراً.

إنَّ حيوية الضمير تتحقق في ظل مسألتين: الأولي هي التعاليم الدينية، والثانية توجيه العقل والسيطرة عليه. وإلّا فلن يتحقق لنا إحياء الضمير، بل ويحتمل أن يغلب عليه الهوىٰ فتتعرض حياة الإنسان للكدورة والإضطراب.

وهذا ما يتطلب وجود رقابة دائمة للإبقاء علىٰ نور الضمير مضيئاً كي لا تطفئهُ عواصف الأحداث والوقائع. ولا جدال في أن الدوافع الدينية تُعدّ من الجوانب المهمّة في إحيائه ولأخلاق المربي وسلوكه الحميد دورها أيضاً

في الإبقاء عليه يقظاً وبعيداً عن تأثيرات عوامل التخدير.

□ الإنسجام بين أبعاد الشخصية

من العوامل الأُخرىٰ المساهمة في شلّ الضمير عن الفاعلية هي الأسباب التي تؤدي الىٰ انفصام الشخصية الانسانية؛ وتتمثل مشكلتنا في بعض الحالات بانعدام التناسق بين جوانب وجودنا المختلفة.

ولهذا يجب تسليط جهود المربي علىٰ ايجاد الإنسجام بين سلوك الشخص وضميره. فلا ينطق لسانه الا بما يرضاه ضميره، ولا تقوم اليد بعمل الا بما يقبله الضمير ولا تشهد العين والأُذن الا بما يحكم به الضمير.

ولا يُتاح لنا بلوغ هذه الغاية الا من خلال تنبيه المسيئ الىٰ إساءته. فأن صدرت الإساءة من يده نُذَكِّرهُ بأن عمله هذا يُعَدُّ سرقة ومن غير الجائز له التطاول علىٰ ما ليس له ـ وأخيراً اذا وجدناه لا يصون عينه عن النظر الىٰ المشاهد المستهجنة، فلا بد من تنبيهه الىٰ هذا التصرف الخاطئ.

□ توجيه الضمير

ذكرنا سابقاً امكانية تعرض الضمير للخطأ والإنحراف والوقوع في مهاوي العبودية والذل. وربما يُحجب نور الضمير بستارٍ سميك لا يتيح المجال امام الانسان لكي يلتمس طريقه بوضوح. ومن المحتمل أن يقع الضمير في شراك الضلال فلا يعود قادراً علىٰ تمييز الخير من الشر.

لا مناص في اشباه هذه الحالات من توجيه الضمير وتسديد مساره في كل الأحوال والظروف بحيث يبقىٰ سائراً في ذلك السبيل الذي يدرك فيه

جمال الفعل وقبحه، وفي ذلك الطريق الذي يعلم فيه الىٰ أية جهة تسوقه إرادته.

إن توجيه الضمير يستنقذ الإنسان من أغلال الذل والعبودية، ولا يدع المساوئ تستحوذ عليه، وقد نقوم بعملية التوجيه هذه، او قد تتم بيد الآخرين ولكن يجب السعي في كل الأحوال للمحافظة على سلامة هذا المعيار بعيداً عن اي لون من ألوان الضلال والإنحراف. ومن البديهي أن الطفل سيقوم فيما بعد بتوفير متطلبات التوجيه بنفسه حين يصبح في مرحلة جديدة من الفهم والنضوج.

□ مراقبة الضمير

علىٰ الرغم من كون الضمير نفسه معياراً وملاكاً، الا انه يجب ان يخضع لملاكات ومعايير أُخرىٰ وهي تعاليم الأنبياء والضمائر السليمة والمعصومة. وفي هذا النوع من الرقابة يمكن أولاً أن يطلب من الشخص أن يُقيِّم وينقد سلوكه وكلامه بنفسه ويُصدر بشأنها الحكم الصحيح. وباستطاعتنا ثانياً مطابقة فعله وقوله مع كلام الله والقيم الدينية ليميّز الخطأ من الصواب.

كما أنه لو إنعدمت مثل هذه الرقابة الضرورية لإنحدرَ الإنسان في مهاوي الحيوانية ولإنغلقت أمامه سبل السعادة. فالاشخاص الذين تكدّرت ضمائرهم أو ضلّت عن جادّة الصواب وتاثرت بأهواء الأنانية والذاتية لا يتيسر لهم إدراك حقيقة الأُمور ويبقون عاجزين عن اختيار السبيل الأقوم. ويتّضح مما سبق أن التأمل في الأُمور وفي الأبعاد السلوكية يحافظ علىٰ سلامة الضمير، ويقف حائلاً دون هدر كرامة الإنسان او إنزلاقه في مهاوي

الرذيلة.

□ الاستحسان والتشجيع

وكما ذكرنا سابقاً فإن للإستحسان والتشجيع دوراً كبيراً في تثبيت الأبعاد الفطرية والوجدانية عند الإنسان. فنحن عندما نشجّع طفلاً علىٰ العمل الصحيح الذي يقوم به إنّما نفهمه في الحقيقة بأنّ ضميره لم يحد عن جادّة الصواب. ومن الطبيعي أن البهجة والانشراح المتأتيتين من هذا التشجيع تحثانه علىٰ مواصلة القيام بمثل ذلك العمل، حتّىٰ وان كان الدافع هو الحصول علىٰ التكريم. ولا بد لنا من الإشارة هنا الىٰ أنه مهما كان التهديد والعقاب مُجديين في بلوغ هذه الغاية يبقىٰ دور التشجيع أهم وأكبر.

ولا يخفىٰ أنّه كلما كانت صورة التكريم تحظىٰ باحترام ومحبة أكثر في نفس الشخص، كان دورها في توجيهه أهم وأكثر؛ حتىٰ أن الأشخاص الذي يحترمهم الطفل يمكن أن يكونوا سبباً لإلتزامه والسيطرة علىٰ كثير من تصرفاته. وتجدر الإشارة كذلك الىٰ أهمية دور الوالدين والمربين في توجيه الطفل وذلك من خلال التزامهم الشخصي بما يراد للطفل أن يلتزم به.

□ التنبيه والإنذار

ويمكن ايضاً الاستفادة من التنبيه والإنذار في سبيل ارشاد الطفل والسيطرة عليه وتوجيه ضميره للسير ضمن الإطار المدروس، ويتمثل ذلك في الانذار الصادر من الأبوين، أو توبيخهم له في حالات الإنحراف.

وهنالك اساليب أخرىٰ أيضاً لها تأثير في هذا الصدد من امثال الإيحاء والتلقين والاستفادة من العواطف والمشاعر، وتنبيه الطفل في حالة ارتكابه لأي خطأ. ويقوم اساس التربية علىٰ محور تنبيه الطفل حال بروز أي خطأ منه وعدم السماح بتأصل التصرفات القبيحة في نفسه حتى تتحول الىٰ عادة مستفحلة لديه. فهو لا يعرف في كل الظروف هل ان كل عمل يقوم به صحيح أم خطأ؟ فقد يتصرّف تحت تأثير عوامل متعدّدة ليست كلها صحيحة. فما اكثر الذين يُخطئون ويَظنّون أنّهم علىٰ صواب. وتجب الاشارة هنا الىٰ وجوب التزام الابوين بكل ما يحرمانه علىٰ الطفل.

◻ التخويف والعقاب

نضطر في بعض الحالات الىٰ انتهاج اسلوب التخويف والعقاب لتوجيه الطفل وتنبيهه الىٰ خطأ عمله، وخاصةً في حالة تكرار الخطأ. فالخوف يردع الطفل في المرحلة الأوّليّة عما ينوي القيام به، ثم يتحول هذا الرادع في ما بعد الى ما يشبه العادة التي تجعله يمتنع ذاتياً عن فعل أيّة اساءة. وهذا الأُسلوب ناجح في بلورة الضمير الأخلاقي للطفل وبالصورة التي نبتغيها.

يستقي الانسان تجاربه عادةً من التعاليم والتمارين والتجارب الشخصية ثم تتحول هذه التجارب الىٰ حقائق ثابتة، وَيُعَدُّ التهديد والعقاب عند المخالفة واحداً من أوجه تلك التجارب. ومن الواضح إنّ ايقاظ الضمير يستدعي تنبيه الطفل وردعه عن تجاوز الأُصول والقوانين المتعارفة.

□ مبادئ في تربية الضمير

هناك أربعة مبادئ ينبغي مراعاتها في تربية ضمير الطفل:

١ ـ تركيز اهتمامه علىٰ الجوانب الإيجابية في الحياة من خلال طرح الأُسوةِ الحسنةِ المقبولة، وتوفير مستلزمات تكامل ونمو هذه الجوانب لديه.

٢ ـ منع الطفل من القيام بأي تصّرف مستهجن وذلك عن طريق التنبيه والإنذار والردع والتهديد.

٣ ـ حثّ الطفل علىٰ التمرين والتجربة والقيام بكل ما هو محبب لكي يتعوّد علىٰ ممارسة السلوك الحسن والقول والفعل الحميدين.

٤ ـ تقوية قدراته الفكرية ليُتاح له التفكير والتأمل كما ينبغي. ومن البديهي أن الأمر القائم علىٰ التفكير يبقىٰ اكثر ثباتاً ودواماً في نفس الفرد.

ولا يمكن مراعاة جميع هذه المبادئ أو تطبيقها عملياً الا بشرط قيام الأبوين والمربين بتربيتهِ علىٰ الأمانة والتقوىٰ، والصدق، والإخلاص وغيرها من الصفات الحميدة الأخرىٰ وبأسلوب مبني علىٰ المحبّة والحنان، وغلق جميع المنافذ التي تؤدّي به الىٰ سلوك السبل الإجرامية.

التربية الأخلاقية للطفل

التربية الأخلاقية للطفل

المقدمة:

لا جدال في أن لحياة الإنسان طابعاً اجتماعياً لا مناص له من القبول به. فهو يعيش بين الناس وفي المجتمع بحكم حاجته الطبيعية وبسبب ميله الىٰ الإستقرار والرفاه، وانطلاقاً من نوع التربية التي تلقّاها. ففي المجتمع تُقْضَىٰ حاجته، وتتخذ حياته طابعها الخاص، ويحصل في ظله علىٰ التنوع والتجديد المنشود الذي يبتغيه كل إنسان.

تبدأ علاقات الطفل الإجتماعية ـ كما يرىٰ بعض علماء النفس ـ منذ الشهر الرابع من عمره، بل وقبل هذه السن. وتبرز ملامح بدايتها بالإبتسامة التي يبديها الطفل للآخرين تعبيراً عن ارتياحه عن أمرٍ ما. ويجري التمهيد لتلك الوشائج الإجتماعية بالإبتسامة أو العناد أو غيرهما من المواقف الأُخرىٰ، حتىٰ يصل الأمر الىٰ أن تتخذ حياة الطفل في سن الثالثة لوناً وطابعاً خاصاً، الىٰ أن يستقر الطبع الإجتماعي في نفسه عند الخامسة، فتراه يميل في هذه المرحلة الىٰ اللعب الجماعي ويكفّ عن الكثير من مشاكساته.

□ ضرورة الأخلاق وأهميّتها

تجدر الإشارة هنا الىٰ أنّ الحياة الاجتماعية لا تتحقّق بدون وجود الضوابط والقواعد التي تسود بين الناس. فمن الضروري في المجتمع المتجانس وجود توافق بين الفرد والجماعات الأخرىٰ مع الأخذ بنظر الاعتبار التوجهات السلوكية العامّة. اذ يستحيل علىٰ الفرد ـ تقريباً ـ العيش لمدة طويلة في مجتمع ما مع عدم القبول بنوع من التجانس، أو عدم الإنصياع للأعراف والقيم السائدة فيه.

فالأخلاق لها دور أساسي في الحياة الاجتماعية للناس، والقيمُ الأخلاقية عنصر حاسم في تحديد مدىٰ سقمّ أو سلامة الحياة البشرية؛ حتىٰ قيل في وصف أهميتها: ليست القوانين هي التي تحكم العالم، بل العالم مُنقادٌ للأصول والقواعد الأخلاقية؛ وهذه المسألة اكثر صدقاً ووضوحاً في الحياة العائلية.

ويجب القول في ضرورة التربية الأخلاقية الحميدة، بأنها الأخلاق التي تحول دون سقوط الإنسان في المهالك العويصة، وهي طاقة كبرىٰ تهيمن علىٰ الانسان وتمنعه من الوقوع في المفاسد والإنحرافات، فالفقر الأخلاقي أسوأ ألوان الفقر، وإفتقادها ألمٌ مرير وقاتل.

إذن، فالتربية الأخلاقية ضرورية للأطفال انطلاقاً من كون «الشر كامنٌ في طبيعة كل أحد» «كما قال الإمام علي عليه السلام»، وإنّ الفضيلة يجب ان تُفرض علىٰ الانسان فرضاً. إنّ للتأثيرات الأخلاقية آثاراً طويلة المدىٰ، وهي

من موجبات السيرة الحسنة والسلوك الكريم.

وأخيراً فالتربية الأخلاقية للأطفال ضرورية لحتمية دخولهم في المستقبل القريب الىٰ ساحة الحياة الاجتماعية واختلاطهم بالناس، وما يرافق ذلك من تعاون مع بقية أفراد المجتمع، ومن سعي لقضاء الحاجات الفردية والاجتماعية ولولا وجود الأخلاق لظلّت الحياة الاجتماعية قائمة علىٰ أسس القوة والأنانية وعدم المبالاة بما يجري علىٰ الآخرين، وهو طابع تتفرد به الحياة الحيوانية دون غيرها.

□ مفهوم الأخلاق

المراد بالأخلاق في بحثنا هذا أمران: الأول هوالاعتقاد بالأصول والسنن والعادات التي تحظىٰ بالقداسة والحرمة. والثاني هو الإلتزام بالغايات والمقاصد التي أقرّها الدين كالصدق والوفاء والأمانة والإيثار... الخ.

وغرضنا من تربية الطفل أخلاقياً إيجاد تلك النفسية التي يقوم السلوك في ظلها علىٰ أساس المفاهيم والأسوة الصالحة التي تقدمها لنا تعاليم ديننا.

أما بالنسبة للمفاهيم المتعلقة بالأخلاق فلا بد من قابلية التمييز بين الجميل والقبيح، والقدرة علىٰ القيام بالعمل الجميل، والرغبة في عمل الخير، والتمييز بين الصحيح والخطأ، ومعرفة الحقيقة وإتّباعها. والغاية المرجوّة من وراء جميع ذلك هي أن تصبح أمثال هذه المفاهيم قاعدةً في النفس الإنسانية، ولتنسجم مع فطرته وطبيعته. والحُبُّ هو قوام إشاعة مثل هذه الأخلاق. فمن المفترض أن يُميِّز الطفلُ بين الجميل والقبيح، ويحبَّ الجميل(كما يحبه بالفطرة)، ويسعىٰ نحو كلِّ ما هو جميل، وتكون مُثُلُهُ التي يختارها في حياته اليومية قائمةً علىٰ هذا الأساس.

□ محتوىٰ الأخلاق واساسها

ولكن ما هي الأشياء التي نُعلِّمَها للطفل في الجانب الأخلاقي، وما هو المحتوىٰ الذي يبحث عنه، وما هي الأُسس التي نربّيه وفقاً لها؟ والجواب علىٰ هذا السؤال يتضمن النقاط التالية: ـ

١ ـ كقاعدة أولية يجب أن يُحِبَّ لغيرهِ ما يُحبُّ لنفسه.

٢ ـ وكمرحلة أعلىٰ أن يكون تابعاً لحكم الله وطالباً لرضاه حتىٰ يصبح حبه وبغضه كله لله. إنَّ كل ما يُعتبر فضيلة، ما هو في الواقع الا جزء من المحتوىٰ الأخلاقي لتربيتنا، كالإحسان، وحب الخير، والرحمة، وصيانة الذات والآخرين من كل سوء، ونصرة المظلوم، ونبذ الظلم والجور، ومحبة الحق والحقيقة، ومجانبة الكذب والتملق والرياء وكل ما يهوى بنا الىٰ الذل والخنوع، وبذل النفس والنفيس في سبيل حفظ الحق واحيائه... الخ.

وهناك اصول واسس ضرورية لاستخدام هذه الأبعاد، وأهمُّها:

أولاً: أنَّ يكنَّ الإحترام لنفسه ويعتبره مقدمة لاحترام الآخرين.

ثانياً: معرفة أهمية الكمال والسعي نحوه، لأنّه من دوافع الحركة والنضوج.

ثالثاً: الشعور بالإلتزام والمسؤولية عن حياة الآخرين،لأن ذلك من مستلزمات الحياة الاجتماعية.

رابعاً: أن يشمل الآخرين بنفعه ويعمّهم بمعطيات استعداده الذاتي.

خامساً: أن يتّصف بالتسامح ونُبل السجايا ومراعاة الشرف والأمانة والأدب والعطف في علاقاته مع الآخرين.

□ الملاكات والمصادر

ما هي الملاكات في أخلاقنا وتربيتنا الأخلاقية؟ وما هي المصادر التي نستقي منها تعاليمنا الأخلاقية؟ والجواب هو أنَّ هذا الأمر يختلف في المجتمعات الدينية عنها في المجتمعات غير الدينية.

ففي المجتمعات البعيدة عن الدين تُستمد الأخلاق عادةً من الأعراف الإجتماعية، أو من الفلسفات والمذاهب المختلفة، أو حتّى أحياناً من آراء المفكرين والعلماء، أو من حصيلة التجارب اليومية. وهذا ما يترتّب عليه في الكثير من الحالات آثار ونتائج وخيمة.

أما في المجتمعات الدينية ـ وخاصة الإسلام ـ فمصادرالأخلاق هي: القرآن والسُنّة (سُنَّة النبي(ص) والأئمّة المعصومين(ع)) والمقومات الفطرية والذاتية لدىٰ الإنسان، إضافةً الىٰ الضوابط التي يحتاج اليها المجتمع الإسلامي لحفظ نظامه وكيانه.

□ دور الثقافة في الأخلاق

كثيراً ما تختلط المصادر الأخلاقية ـ سواءٌ المستمدّة منها من الدين ام من الأعراف الإجتماعية ـ بالجوانب الثقافية التي تطبع ذلك المجتمع. وهذا ما يدفع بكل فئة إجتماعية الىٰ تبنّي المبادئ التي تعتبرها أسساً أخلاقية مقبولة وفقاً للأجواء الثقافية السائدة بين تلك الجماعة. ومن البديهي أنَّ لنوع التربية تأثيراً كبيراً في بسط الركائز الأخلاقية.

في المجتمع الذي يتّخذ السنة كمنهاج، ويخطو الىٰ الأمام بصبر وتأنّ، فمن الطبيعي ان تنتقل نفس هذه الحالة الىٰ أبنائهم. وبعكسهم الأشخاص الذين يتخذون طابع العنف كأسلوب لحياتهم فإنهم يطبقون نفس هذا الأسلوب مع ابنائهم، ولهذا فلا عجب لو رأينا وجود فوارق أخلاقية بين الطفلين اللذين ينتميان الىٰ دين واحد، ومردُّ ذلك هو الأختلاف الموجود في الأجواء التي يتربّون فيها.

فمن المسائل المهمة التي ينبغي التأكيد عليها في وضع برامج التربية الأخلاقية لأي جيل هي مسألة معرفة ثقافة ذلك المجتمع، وحتىٰ أنَّ الجهاز التعليمي لو شاء تطبيق برامجه علىٰ الأطفال فلا بدّ له أولاً من معرفة ثقافة الطفل وظروف عائلته.

□ الغاية المنشودة من التربية

غايتنا من التربية الأخلاقية للأطفال هي تعليمهم الأصول والقواعد والعادات التي تتبلور علىٰ أساسها حياتهم الفردية والإجتماعية. وأن نربيهم علىٰ احترام تلك الأصول والقواعد. ومن الطبيعي أن لا يتيسّر لنا اجتثاث جميع العوامل المؤدّية الى بروز الإنحرافات السلوكية، لكننا نتوقع نجاح جهودنا الىٰ حدٍ ما في بلوغ هذه الغاية.

ومن الأغراض الأخرىٰ المنشودة من التربية هي ايجاد حالة من الأتزان عند الطفل بين طبيعته الفطرية وأهوائه النفسية، وترويض كل ما يرتبط بالغرائز وتمهيدالأسس للإلتزام بالنظام الإجتماعي، لأن التكامل لا يتاح له التحقق الا في ظل أوضاعٍ كهذه، كي يتيسّر للانسان الانسياق صوب الغايات اللائقة بطبيعته.

والهدف الأخر هو ان يشعر الطفل تدريجياً بالالتزام والمسؤولية ازاء كل ما هو موجود، وأن يترسخ هذا الدافع فيإعماقه، ليصل الىٰ مرحلة البلوغ الأخلاقي ويدرك المواقف الواجب عليها إتخاذها في الظروف المختلفة، أي أنْ لا يكتفي بمجرّدالإلتزام بالتعليمات.

□ الاستعداد للتربية

ولكن هل أنّ الطفل حائز علىٰ مثل هذا الإستعداد أم لا؟ والجواب هو نعم، فالإنسان يمتلك استعداداً فطرياً وذاتياً لتقبّل الضوابط الأخلاقية، وهو يعرف بالفطرة مبدأ الخير اللامتناهي، تتوفّر لديه الأرضية والاستعداد والأهلية التي يتسنّىٰ للمربي استثمارها كأداة لدعم العمل التربوي الهادف الىٰ تنمية مداركه.

ومن جهة أخرىٰ تقضي طبيعة الطفل في سنوات الحضانة بقبول الحياة كما هي من غير ابداء أي اعتراض أو عناد. أما في السنوات اللاحقة وحين دخوله مرحلة الرشد والتمييز، فتتهيأ له عند ذاك مقومات التقييم والنقد الذاتي، ومن ثم السير نحو الغاية المنشودة التي يرسمها له الكبار بالأدلة الكافية، بحيث أن نتائج الإنصياع للموازين الأخلاقية والإعتقاد بصحتها تُلحظ عليه بشكل واضح في الفترة بين سن (٩ ـ ١٢) عاماً، ومن ثم يصبح الشخص بعد ذلك شيئاً فشيئاً أصدق وأوثق مما كان عليه في السابق، فيعترف بخطئه من غير مواربة. ويبدو أنَّ لملاحظات الآخرين وكذلك رجاء الأبوين تأثيراتٍ لا يُستهان بها في هذا التوجيه.

□ الوعي والتربية الأخلاقية

لمسألة الوعي أولوية فائقة في تربية الأطفال الخلقية. فيجب ان يعرف الطفل عناصرالإلتزام وأسبابها، وأسلوب الحياة وآدابها الواجب مراعاتها،

وكل ما هو قيّم في الحياة، وكل ما يناقض مصاديق الخير والجمال. وعليه التحلي بالوعي الكافي ومعرفة القواعد التي اذا تخلّف عنها استوجب العقاب.

وعلىٰ الطفل أن يعرف أنّ رعاية الضوابط يعود عليه وعلىٰ المجتمع بالخير والصلاح وهوغير مسموحٍ له بتجاهلها أو التهاون فيها. وان يعلم أنّ التحلل تنعكس أضراره علىٰ الآخرين، وعليه أن لا يرتضيه.

يجب أن يتعلم السلوك الأخلاقي سواء كان التعلّم عن طريق الوعظ والتلميح أم بواسطة الأسوة التي يقتدي بها ويقلّدها. ومن البديهي أنّ التوجيه المناسب ووضع القواعد المدوّنة بين يدي الطفل حين تعليمه اياها يضمن لناتعوّد الطفل علىٰ الثقة بنفسه.

□ التعاليم اللازمة

أمّا النقاط الواجب تعليمها للطفل، فهي كثيرة جداً، ولا يسعها كتاب واحد إلّا أننا سنطرح في هذا الفصل عدّة بحوث تتضمّن الحديث عن مختلف الأصعدة مع الإبتعاد عن الإطناب ما أمكن.

١ ـ في ما يتعلق بالشخص:

يختّص بعض انواع التعليم والتربية الأخلاقية بالشخص نفسه وتتّسم بالفردية. وهناك إجراءات كثيرة يفترض بالمربي القيام بها في هذا الجانب؛ منها:

أ ـ إحياء الفطرة وصيانتها: تدخل فطرة الطفل مرحلة الفعلية في

ضميره من قبل دخول عقله مرحلة الفعلية. لقد أودع اللّٰه في فطرة كل إنسان بناءً اخلاقياً يهديه علىٰ اساسه. فهو ذاتياً يحبّ الصدق والأمانة والصلاح والفضيلة، وإن لم يكن عارفاً بمصاديقها. وهذا ما يلقي علىٰ عاتق الأبوين والمربين مهمة الإبقاء علىٰ هذه الفطرة حيّة متيقظّة، وحمايتها من أية مخاطر قد تهدّد سلامتها. (سنعود الىٰ تفصيل كيفية ذلك في ما بعد).

ب ـ السيطرة على النفس: وهذه أيضاً واحدة من التعاليم الأخرىٰ التي يجب تنشئة الطفل عليها بالتكرار والممارسة. فعلينا أن نعلّم الطفل منذ البداية تدبير شؤونه كافة بحيث تكون له القدرة علىٰ مواجهة الأمور والوقوف علىٰ قدميه وعدم الإنهيار أو الإستسلام أمام مشاكل الحياة، ويجب تعويده علىٰ الصبر ساعة او ساعتين وإنْ هاج وماج طلباً للطعام. ولا يلجأ من فوره الىٰ البكاء والجزع،وعلىٰ الأمهات أيضاً أن لا يجعلن من أنفسهن خادمات مطيعات رهن اشارته، ويلبين ما يطلبه فوراً وبلاأي تأخير.

جـ ـ الاعتماد علىٰ النفس: من المفترض أن يصل الطفلُ تدريجياً الىٰ المرحلة التي يستطيع فيها حلّ مشاكله بنفسه، والصمود امام حوادث الحياة اوكما يقال «أن يتذوق نعومة الحياة وجشوبتها». ولا يتصور أنه سيبقىٰ مرتاحاً في ظل الآخرين لمدة طويلة. بل يجب أن يتسلّم بنفسه ـ بصورة تدريجية ـ بعض شؤون حياته وبمايتناسب ونضجه العقلي، ويُطلب منه القيام بها شخصياً، كترتيب بعض وسائله الخاصّة وارتداء ثيابه، وصولاً الىٰ اعمال اكبر من ذلك.

د ـ مراعاة التقوىٰ وامتلاك زمام نفسه: قد يتبادر الىٰ الأذهان أنّ تركيز

اهتمام الطفل علىٰ مثل هذه المواضيع يبدو مبكّراً، ولكننا لا نعتقد بصحة هذا التصوّر؛ لأن تحقيق التقوىٰ ممكن في أيّة مرحلة من مراحل السن وبما يتناسب ومدىٰ نضج الطفل وسعة فهمه. ويمكن العثور علىٰ مظاهر ذلك في عدم التفوّه بأيّ كلام كان، وعدم مَدّ يده علىٰ أيّ طعام كان، وأن لا يتصرف كما يحلو له... الخ، ويتيسّر تطبيق هذا الأمر منذ سن الثالثة فصاعداً.

٢ ـ في ما يتعلّق بالآخرين:

يتعلق قسم من الأخلاق ورعاية الأصول والقواعد الأخلاقية بالآخرين، وعلىٰ الطفل تَقبُّل بعض الضوابط في هذا الجانب، وأهمّها:

أ ـ **الاهتمام بنمط التعاون مع الآخرين:** يجب تربية الطفل بالشكل الذي يجعله يهتمّ بإرادة الآخرين. فحين تُمنح الحرية للطفل يجب أن يُعَلَّم بأنْ ليس من حقهِ الإساءة الىٰ راحة وحرية الآخرين، وانه لن يلقىٰ الإحترام إلّا اذا احترم الآخرين. واذا صَعُب تحقيق هذا في فترة الحضانة (السنوات الثلاث الأولي من العمر)،فإنهُ ممكن التحقيق في سن الرابعة من عمره، إذا أُتيح في مثل هذه السن طرحُ موضوع حقوق الآخرين عليه، وبسبب رغبته في رعاية حق الآخرين ـ حتىٰ وإن كان محور حياته يدور حول رغباته وإرادته الشخصية.

ب ـ **التعايش والتعاون والتآزر:** يرىٰ علماء النفس أنَّ روح التآزر تظهر عند الطفل في حوالي السنة التاسعة من عمره، ولا يعني هذا انعدامها قبل هذه السن. وهذا يتطلّب تَفْهيمهُ أنَّ الحياة الصحيحة تفرض عليه التخلي

عن روح المشاكسة، وإعانة الآخرين وتقديم الخدمات لهم جهد المستطاع؛ وهذا ما يستدعي اطّلاعه علىٰ حقيقة الروابط والعلاقات وجَدوىٰ التعاون والتعايش ويتيسّر تحقيق هذا في المرحلة المحصورة بين سن (٦ ـ ١٢) من عمره، وذلك عن طريق الألعاب والمشاركة في النشاطات الجماعية و...الخ.

جـ - الجود والكرم: علينا أن نُعوِّد أطفالناونشجّعهم منذُ الصغر علىٰ خصلة الكرم؛ كإعطاء بعض ألعابه لأصدقائه، وتقسيم ما عنده من الطعام والحلوىٰ بينه وبين الآخرين مثلاً؛ وإن بادر الطفل الىٰ تقديم شئ بيديه الصغيرتين لوالديه، يجدر بهما تَقبُّل ذلك بانشراح وتشجيعه عليه.

ان لعطفكم وتشجيعكم إيّاهُ دوراً في بلورة روح الجود والعطاء في نفسه منذ الصغر، فتظهر لديه ـ تدريجياً ـ روح التضحية والتسامح.

د ـ التعامل مع الآخرين بوجهٍ طلق:

إنَّ أدنىٰ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان للآخرين هو أن يقابلهم بوجه بشوش وثغرٍ باسم، ويكون تعامله مظهراً للسلام والمحبّة. وعلينا أن نعلم الطفل منذ الصغر بأن يكون تعامله وكل طلباته وأمانيه مقرونة بالبشاشة وطلاقة المحيا، واذا جاءنا باكياً عابساً وطلب شيئاً فلا نُعطيه، بل نأمره أن يكفكف دموعه، ويطلب ما يشاء بوجه طلق.

هـ ـ الحياء والتواضع: لا خلاف في ضرورة اختلاط الطفل مع الآخرين لكن المخالطة الإجتماعية تختلف عن الوقاحة. والحذر كل الحذر من كل الإيحاءات التي تُشعر الطفل بأفضليته وأفضلية عائلته علىٰ بقية الأطفال والعوائل، أو تدفعه الىٰ احتقار سائر الأطفال.لتكن الاسس التربوية

قائمة علىٰ إخفاء الفرد لفضائله أو أن يدعها تظهر بشكل طبيعي؛ ولهذا الأمر شأن بالغ في الحياة الإجتماعية لكل شعب من الشعوب.

٣ ـ في ما يتعلّق بالفضائل:

لأخلاق الإنسان وأدبه علاقةٌ وثيقة بالامانة والإخلاص وسائر الفضائل الأخرى؛ وانطلاقاً من هذه الرؤية فإن الكثير من التعاليم الأخلاقية لا بُدّ لها من الإهتمام بتنمية الفضائل والعادات الخيّرة عند الإنسان. وأهمُّ المسائل المتعلّقة بهذا الموضوع هي ما يلي:ـ

أ ‒ **مناصرة الحق:** الشجاعة والشهامة من مستلزمات الأخلاق؛ ومن معالم الشجاعة محبة الحق واحترامه، الىٰ حد جعل البعض يعتبرون محبّته تفوق محبّة الأب والأُم والمعلم. وقد أكد الإسلام أيضاً علىٰ وجوب عدم تأثير علاقات القربىٰ علىٰ سيادة العدل أو وقوفها دون تنفيذه. علموا الطفل منذ مطلع حياته علىٰ اتّباع الحق ومحبّته والتعلّق بالحقيقة واتباعها.

ب ـ **مراعاة حقوق الآخرين:** لكل مذهب دستورٌ يحدّد فيه الحقوق والضوابط التي يتوجب علىٰ اتباعه رعايتها والإلتزام بها. وفي الإسلام يتّسع نطاق الحقوق ليشمل جميع الناس وما لهم من قيمة واحترام،اي كل من يعيش في هذه الكرة الأرضية؛ إبتداءً من الأب والأُم والأجداد، والأخ والأُخت وحتىٰ الأقرباء والمعلم والمربّي والجار، والمسلم والكافر والمحارب، ومن أهل الكتاب والملحدين وغيرهم له احترامه وقيمته. ورد عن الإمام الصادق(ع) أنّه قال:

(يمكن مراجعة الكتب الفقهية لاستحصال المزيد من المعلومات).

جـ ـ محاربة الآثام: ومن الفضائل الأخلاقية الأخرىٰ محاربة الآثام، وهي مطلق الآثام، إذ يجب ان توجد مثل هذه الخصلة في نفس كل إنسان، فيعتبر كل ذنب رذيلة ويجهد لإستئصاله. ونفوس الأطفال مهيّأة عادة لأن نغرس فيها روح الكراهية للآثام والذنوب. بل إنَّ أساس المحبة والكراهية تتبلور في النفوس في سن الطفولة، والى درجة يستعصي استئصالها في ما بعد، حتىٰ أنَّ النجاح في إزالتها من النفوس يُعَدُّ انجازاً هائلاً وفي حد إعجاز.

فعلىٰ الآباء والأمهات والمعلمين والمربّين، تربية الناشئة علىٰ كراهية الظلم والتميز والمنكرات بحيث يكون في مواجهة دائمة مع كل انواع الرذائل.

د ـ رعاية القيم:

إنَّ لتربية افراد المجتمع وتوجيههم نحو القيم الأصيلة دوراً مهماً في تطوير وتقدم ذلك المجتمع وتلك الأمة. ومن الضروري في هذا المجال إجراء نوع من الفصل ـ أولاً ـ بين القيم ونقيضها ومعرفةما هي المصادر والمعايير المعتبرة في تشخيص القيم الأصيلة عن سواها. ثم تُبذَلُ المساعي لمزْج تلك القيم بالآمال الشخصية والأفكار والتجارب الفردية ليُطبع حياةُ الفرد بِطابع مزيج من تلك القيم والأفكار. وتنبع ضرورة تربية الأفراد علىٰ احترام القيم من كونها ذات أهمية بالغة له ولمجتمعه.

هـ - الإهتمام بمبادئ العدل والقسط: علينا تربية الطفل بالشكل الذي

يجعل منه شخصاًعادلاً، وهو أمرٌ يتطلّب الشروعُ به منذ فترة الطفولة، حينما تعطيه الأُم قطعة الحلوىٰ فيقتسمها مع إخوته. كما يُنبت جذورالعدالة من ذلك الوقت الذي تشتري فيه الأُم لأطفالها الثياب والدمىٰ، أو عندما تلاطفهم. فقد ورد في الحديث أنَّ رسول اللّٰه(ص) رأىٰ رجلاً قبّل احد ابنيه ولم يقبِّل الآخر فقال له: «ألا عدلْتَ بينهما؟».

يشتدُّ الميل الىٰ العدالة في المراحل الابتدائية من الحياة فتشير في نفس الطفل كرها شديداً لكل انواع التمييز والظلم وعدم المساواة.

و -الإيثار: قد لا يكون من المناسب التحدّث عن شئ اسمه الإيثار عند الطفل لكننا نتوقع أن يقتبس الطفل ما يراه من إيثار والديه فتنمو تلك البذرة في قلبه.

إن امثال هذه المشاهد تجبل الطفل علىٰ العواطف والمحبة وتنشئ نوعاً من الارتباط بينه وبين الأهداف التي سيسعىٰ في المستقبل لتحقيقها. إنّنا لا نتملك أيّ اسلوب أو وسيلة نُفهم بها الأشخاص بحاجة المجتمع الىٰ الإيثار، فإنْ كان الحال كذلك فلنُبادر علىٰ الأقل ـ الىٰ إرادتهم مثل هذه المشاهد العملية منذ الصغر.

٤ ـ في ما يتعلّق بالأحداث والوقائع:

ولا بدّ أنْ ينصبّ جزءٌ من التربية الأخلاقية علىٰ إنشاء الشخصية القادرة على اتخاذ المواقف الصحيحة والمدروسة في مواجهة أحداث الحياة. فلا يليق بالإنسان أن يكون كالريشة في مهبِّ الريح يميلُ أينما مالت. ويُصدِّق

بكلِّ ما يمليه عليه الآخرون. بل من الضروري التزامُ الموقف الصحيح والواضح. وأهمُّ النقاط التي تيسّر لنا طرحها في هذا المجال هي:

أ ـ الحكم العادل علىٰ الأُمور: تنمو لدىٰ الأطفال بين سن (٦ ـ ١٢) القدرة علىٰ إصدار الأحكام الأخلاقية، وهي أول ما تبدأ بإبداءِ الرأي في الجوانب الشخصية. فهو يعتبركل ما يجلب له اللذة والمنفعة صحيحاً، وكل ما يضره غير صحيح. ومن المؤسف أنّ بعض الأسس الخاطئة التي توضع ركائزها في هذا الصدد قد ترافق الإنسان أحياناً حتىٰ آخر عمره ، ولكنّه يخرج عن نطاق مصالحه الخاصّة بمرور الزمن ومع اتّساع مداركه واستدلاله المنطقي، ويجعل للآخرين موضعاً في حساباته الخاصّة. ولا يخلو سلوك الوالدين والمربين ومواقفهما من الفائدة في تسديده نحو الصواب.

ب ـ مراعاة الحق: إنَّ الضرورة تقضي بتعويد الطفل ـ مع نضجه واتساع مداركه ـ علىٰ إتّباع الحقِّ والركون إليه بدل إتِّباع المصالح الشخصية وآراء الأصدقاءوالأقارب، وبناء آرائه وأحكامه علىٰ الأُمور المنبثقة من الضوابط الصحيحة، وإقامة سلوكه علىٰ الحق، وأنْ لا يكون البغض والمحبّة والعلاقات الشخصية والعائلية مدعاة لمجانبة الحق.

جـ ـ السعي نحو تغيير الواقع الفاسد: يجب أن يكون الكمال الأخلاقي سبباً يدفع الإنسان الىٰ اتخاذ المواقف السليمة تجاه الأحداث والوقائع المختلفة فلا يستسلم للواقع، ولا يخضع لكل ما هو قائم. بل يتفحّص ويرىٰ هل إنَّ هذا الواقع صحيح أم لا؟ فإن لم يكن صحيحاً يسعىٰ لتغييره.

إنّ إشاعة مثل هذه الأخلاق تصون المجتمع من شيوع واستقرار القيم الباطلة. وممّا لا يخفىٰ أنّ تشجيع الطفل علىٰ أمثال هذه المواقف، وإن كان مضراً بالأبوين والمربّين فهو ضروريٌ بل ومصيريٌّ بالنسبة لمستقبله.

٥ ـ في ما يتعلّق بالحياة والاصول المتعارفة فيها:

نواجه في حياتنا اليومية عشرات القضايا والمسائل التي يستلزم أداء كل واحدة منها قبول أو رفض عاملها من قبل المجتمع. والقبول أو الطرد الإجتماعي ليس مهماً طبعاً، بل المهم أن لا يُتّخذ ذلك الموقف آعتباطاً. فقد يواجه الإنسان أحياناً الرفض من قِبل المجتمع بسبب موقفٍ صحيح وقفهُ أو اسلوب قويم سار علىٰ هدْيِهِ،مِن غَيرأن يعلم الناس بصحّة موقفه فيعاجلوه بالإدانةِ إستجابةً لتأثيرات معيّنة.

فالتربية يجب أن تهتم بتربية الفرد بشكل يجعل منه شخصاً عزيزُ النفس لا يخشىٰ مثل هذه الإدانة، وفي نفس الوقت يجب أن لا يتخذ الشخص موقفاًيستحق عليه الإدانة بسبب استخفافه بالآداب والتقاليد الإجتماعية الصحيحة.

تتولىٰ التربية عدة مهامّ في هذا المضمار؛ وأكثرها فاعلية هي ما يلي:

أ ـ رعاية ضوابط الحياة الشخصية: يَختص قسم من التعاليم في النظام التربوي الإسلامي بالشخص نفسه،بحيث تدفعه الىٰ تبنّي المواقف النبيلة في الحياة. فيبادر شخصياً الىٰ توفير موجبات نضجه وتكامله، ويتجنّب العوامل التي تؤدي به الىٰ الميوعة والتفسخ. فينظّم أوقاته

بتخصيص وقْتٍ مناسب للعمل وآخر للنوم والإستراحة والطعام وغيرها، كذلك بحيث يؤدي كل عمل في وقته وظرفه المناسب كالإستراحة والترفيه، والمحافظة علىٰ سلامة البدن ونموّه والإهتمام بالصحة الجسمية والنفسية. ويجب أن يتعوّد المرء علىٰ تحمّل الصعوبات والمصائب بشكل أو آخر، وذلك لأنّ الحياة مقرونة دوماً باللذة والألم، والسقوط والنهوض.

ب ـ تنظيم العلاقات: تُوجِّه التربية الإسلامية بعض آهتمامها أيضاً لتنظيم علاقات الفرد مع الآخرين؛ فعلىٰ سبيل المثال يجب أن يكون تعامل الابن مع أبويه انسانياً ومقروناً بالأدب، فلا يتطاول عليهما، ويحترم الكبار، ويكون عطوفاً مع الصغار، ويتعامل مع أترابه كتعامله مع إخوته وأخواته،ويراعي الأدب والوقار في علاقاته مع جيرانه ومعلّميه، وعلماء الدين، والكسبة، والمسلم والكافر، ... الخ. ويتّبع أسلوباً خاصّاً في التعامل مع كل واحدٍ منهم.

جـ ـ حسْن التعامل والبشاشة: الإنسان مضطر الىٰ انتهاج مسلك العلاقات الاجتماعية العادية، وهذا ما يفرض عليه التعامل بشكل يجعله مقبولاً في المجتمع. واذا أراد الفرد أن يحظىٰ بالقبول الإجتماعي فلا بدَّ له من رعاية آداب المعاشرة، والمواقف السليمة الخالية من نزعة التجاوز والعدوانية. وطبيعة الحياة تفرض علينا تعليم أبنائنا ـ ومنذ نعومة أظفارهم ـ علىٰ طرح مطاليبهم وحاجاتهم بوجه طلق بشوش، فلا يصرخ امام الآخرين ولايسبِّب لهم الإزعاج. وعليه أن يراعي من المجاملات ما لا يتعارض والتعاليم الإسلامية، ولا يؤدّي به الىٰ الخضوع والذلّة.

د ـ رعاية الآداب والأصول: لكل مجتمع وثقافة أصولها وآدابها التي يرىٰ أفراد ذلك المجتمع أنفسهم ملزمين برعايتها. ويرىٰ الدين الإسلامي ضرورة تطابق تلك الآداب مع الرؤىٰ الدينية؛ ومعنىٰ ذلك ضرورة احترام كل سُنّة جارية بين الناس إذا كانت لا تتعارض والأحكام الشرعية. فإن كانت هناك بعض التناقضات بينها وبين القيم الدينية، يمكن إحداث بعض التغيير في محتوىٰ وهدف تلك السنن لكي تنسجم وما يؤمن به الشرع، كاستغلال فرصة أعياد النوروز ـ علىٰ سبيل المثال ـ لزيارة الأقارب وصلة الرحم، وهذا مما أمر به الدين الحنيف، وارتداء الثياب الجديدة لإيجاد حالة من التجديد في نمط الحياة وسياقها المتكرر.

هـ - الاهتمام بالمفاهيم العملية للأخلاق الاجتماعية: يتعرّف الطفل طوال حياته علىٰ جملة من المفاهيم الأخلاقية كالجمال والقبح، والطاعة والمعصية، والشرف، والغضب، والخصام، والسلم والتعاون، وغيرها الكثير، وفي أُطر مختلفة من الأنماط والأساليب المتباينة. ولكن المهم هو أنْ يتلقىٰ المصاديق الصحيحة لكل هذه المفاهيم المجرّدة، ويتعرف علىٰ تطابق هذا المصداق علىٰ ذلك المفهوم، وما هو العمل الصواب؟ وما هو التصرف الخاطئ؟ وعلىٰ المربي أيضاً الاستفادة من عوامل الردْع والتوجيه لغرض دفع الطفل نحو القيام بالفضائل واجتناب الرذائل.

٦ ـ في ما يتعلّق بالحساب والجزاء:

من الأُمور المهمة في التوعية التربوية لفْت انتباه الشخص الىٰ موضوع

الحساب والكتاب ونتائج الأعمال. وأن يفهم الطفل منذ الصغر، ما هي النتائج المترتبة علىٰ العصيان. وما هي حصيلة سوء الأدب والمشاكسة الخلقية؟ وما هي العواقب المتوخّاة من الصدق أو الكذب؟ وغير ذلك من الرذائل والفضائل.

ويتضمن مبدأ الحساب أيضاً تركيز هذه التعاليم تدرجياً في ذهن الطفل مع معرفة نتائجها مسبقاً لكي يوقن بعدم وجود فعل بغير رد فعل سواءً كان الفعل جميلاً أم قبيحاً، مع وجود فارق واحد وهو أنّ بعض الأعمال تفرز نتائجها فوراً وبعضها الآخر تظهر نتائجه غداً أو بعد غد. فالطفل حينما يتلوّى من ألمٍ أصابه في بطنه يجب أن يُقال له أثناء العناية به بأنّ هذا الألم ناتج عن عدم الإصغاء لكلام الأب أو الأُم حينما نصحوه بعدم تناول الطعام الفلاني، أو بعدم الخروج عارياً في الجوّ البارد... الخ. ويجب أن يُنبّه الطفل الذي تلقىٰ العقوبة من المعلم بأنّ هذا ناتج عن التمرد علىٰ أوامر الأب الذي كان قد أمرك بعدم التكاسل الخ.

وحين يقترب الطفل من مرحلة التمييز، أو يدخل في عامه الثامن او التاسع ويبدأ يتفهم بالتدريج معنىٰ كلمة (اللّٰه) او (الدين)، يجب أن تُطرح له مسألة الجنة والنار، وليفهم أنَّ الجنّة جزاء فعْل الخير والإحسان وإن النار عقاب الشر والإساءة ومن الطبيعي أنّ مثل هذه الإرشادات ستأخذ مداها في التأثير اذا كان المخاطب يفهم عملياً معنىٰ الحساب والجزاء.

ويجب أن تدخل كل انواع التشجيع والتقدير، اواللوم والغضب والعقوبة التي يتلقّاها الطفل من الأبوين، في إطار نتائج العمل، وذلك لكي ترسخ في

ذهن الطفل هذه الفكرة، وهي عدم امكانية بقاء العمل الصالح بلا ثواب أوإفلات الإنسان المسئ من العقاب، وإنْ خفي أمرٌ عن أنظار الوالدين فهو لا يخفىٰ عن علم اللّٰه، ومن الأفضل أنْ يتمّ تشييد هذه الأسس في السنوات المتقدمة نسبياً من العمر، وخاصّة في السبع الثانية.

◻ الاخلاق والعادة

من الأُمور المهمّة في التربية الأخلاقية، للأطفال هي أن يتجذّر السلوك الأخلاقي في نفوسهم حتىٰ يصبح كالعادة. وليس المراد من كلمة العادة هنا هو التكرار الأعمىٰ من غير معرفة الهدف أو المضمون. بل المقصود من ذلك هو غرس حب الخير في نفسه لكي يبادر هو شخصياً في كل مرة لأداء العمل الصالح عن وعي ورغبة.

فعلىٰ سبيل المثال؛ لو قدّم له أحدٌ شيئاً يشكره عن وعي، واذا قَدَّم لاحدٍ شيئاً يقول له وبكل أدب: تفضّل.واذا صدر منه أيٌّ اذىً غير متعمد لأي شخص يعتذر اليه... والىٰ غير ذلك من أنواع السلوك، ومن الثمار المؤمّلة لمثل هذه العادة هي أنَّ المربي لا يضطرّ الىٰ ملاحقته دوماً بالإرشادوالنصيحة اما السنّ المناسبة للإهتمام بهذه العادة فهي تبدأ من بعد الثالثة من عمر الطفل.

ويمكن تجسيد العادات الأخلاقية الفاضلة علىٰ هيئة العلاقات الإجتماعية والتحدّث بالكلام الطيب، ومساعدة الآخرين، وإعانة الفقراء والمساكين، والأخذ بيد المنكوبين، ورعاية النظام والأعراف المتداولة في الحياة اليومية، وأمثال ذلك من المسائل.

□ العادات الخاطئة

ولا بد لنا من الإشارة هنا الىٰ وجوب الحذر من تنامي العادات الخاطئة لدىٰ الطفل في سنوات عمره الأولىٰ، وخاصّة في السنوات الست الأولىٰ. فلا يجب تعويد الطفل علىٰ تلبية احتياجاته ورغباته عن طريق العناد او الالحاح او الحصول علىٰ ما يشاء عن طريق البكاء وإحراج الوالدين أو التضييق عليهما.

فقد تؤدّي مثل هذه العادة القبيحة الىٰ التطاول، وإساءة الأدب في الكلام وإهانة الوالدين والاعتداء عليهما، وعدم تناول الطعام بشكل صحيح، وعدم النوم بالصورة الصحيحة، وإطالة البقاء في المرافق الصحية، ومداعبة أعضائه التناسلية والتلفظ بالكلمات القبيحة و... الخ. وتنبع مثل هذه السلوكية عادة من التصورات الخاطئة التي يحملها الابوان والنظر اليه كطفل لا يفهم، فيتركان له الحبل ليتصرّف كما يشاء ويفعل ما يحلوله غير مبالين لتصرفاته السيئة، جهلاً منهما بأنّ هذه السلوكية المنحرفة ستحكم قبضتها عليه ولن يتيسر له التخلّص منها في سنوات المراهقة او البلوغ.

□ ملكة الاخلاق

إنَّ الغَرَض من بذر العادات الأخلاقية الحميدة في النفوس، والتي تتحقق علىٰ الغالب من خلال تقديم القدوات والنماذج الصالحة، والطلب المتكرر بالإحتذاء بها، هو أن تتحول الأخلاق الىٰ ملكةٍ في النفس، والغاية المرجوّة

من كل ذلك هي تمهيد الأرضية الخصبة الصالحة لبذر الفضائل حتىٰ تنمو وتضرب بأطنابها في أعماق الطفل. ليكون قيادهُ في ذاته، وليكون هوالآمِرُ والقائد نحو مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال.

فالسجايا الأخلاقية يجب أن تتحول لديه الىٰ ملكة، بمعنىٰ ان يهيمن علىٰ نفسه ويمتلك زمام قيادها، وأن تكون هذه الصفة مثالاً وهدفاً يسعىٰ اليه الطفل،لكي تقوم حياته علىٰ ذلك الأساس. واذا تصرّف يوماً بشكل يتعارض وذلك الهدف، صَعب عليه الأمر واستثقله، ولا يتهاون به في أي موضع آخر.

أما المنطلق الذين يجعلنا نتحدث عن إمكانية تحقيق مثل هذا الهدف، فهو استنتاجات علماء النفس الذي يرون أنَّ الأخلاق والقيم الأخلاقية تتحول الىٰ باطن الإنسان في حوالىٰ السنة الثامنة من عمره، فيخضع حينئذٍ لهيمنة الوازع الداخلي.

◻ الصفة الإختيارية في الأخلاق

يبدو من الضروري أيضاً التنبيه الىٰ نقطة أخرىٰ وهي أنّ الطفل اذا اندفع الىٰ تطبيق الأمر الأخلاقي أو كفّ تصرفاته السيئة تحت سطوة الخوف فلا أهمية لمثل هذا التطبيق، ولا يجدي في بنائه الأخلاقي شيئاً، لأن الخوف والعقاب اذا نقل الىٰ الغابة لأمكن بواسطته ترويض الوحوش الكاسرة.

فالمطلوب من الأبوين كما هو الحال بالنسبة للمربّين ان يجعلوا من السلوك الأخلاقي أمراً مستساغاً ومقبولاً بالنسبة للطفل، كي يختار هو بنفسه النمط المناسب في حياته اليومية والذي يدخل في إطار التعاليم الأخلاقية

ولا يَشُذّ عنها، علماً بأنّ قابليته علىٰ تمييز الشر من الخير تبدأ عند حوالىٰ السنة السادسة من عمره. ويعتقد علماء التحليل النفسي أن فكرة «هل أنا أفضل أم الذات المُثلىٰ» تبدأ بالنمو لديه في هذه السن فتخلق لديه وبالتدريج نوعاً من الرقابة الذاتية.

كثيراً ما نلاحظ في البيت أو في المدرسة اطفالاً في سن (٦ ـ ١٢) عاماً يحاولون معرفة قدر أنفسهم، سعياً لتوفير شروط التطابق بينها وبين شخصيات الآخرين، ولا تمثّل هذه المساعي سوىٰ جزء من نضوجهم وتكاملهم.

وعلىٰ كل حال فإنّ المهمّ بالنسبة لنا هو أنَّ الطفل يصبح، وابتداءً من منتصف السبعة الثانية من عمره، في وضع يمكنه من إتّخاذ قراراته بنفسه، وتتحوّل حياته الأخلاقية عندئذ الىٰ حياة اختيارية وذات قيمة عالية،إلا أنَّ ذلك لا يحول دون إشراف الأبوين والمربّين علىٰ سلوكه اليومي.

□ الأولويات في التربية الأخلاقية

هنالك نوعان من الأولويات التي تستحق الإهتمام في التربية الأخلاقية للأطفال وهما:

١ ـ **الأولويات المتعلقة بحياته الفردية والإجتماعية**: وهذا ما يفرض علىٰ المربين الإهتمام أولاً بأنماط حياته الشخصية وبالتالىٰ حياته الاجتماعية. فعلىٰ الطفل بين سن ٣ ـ ٥ سنوات أن يفهم ـ مثلاً ـ عدم إمكانية الحصول علىٰ شئ بواسطة البكاء، وحتىٰ اذا كان جائعاً فلا بد له من تحمل الجوع لمدة ساعة علىٰ أقل تقدير. يجب أن يكون لأمر الوالدين ونهيهما

أثر في نفسه، وعليه أن لا يسبب أي احراج أو ازعاج أمامَ الآخرين، وأن يعرف الحد الفاصل بين ألعابه وألعاب غيره من الأطفال، وأنْ لا يخطف ألعاب الآخرين من ايديهم.

٢ ـ **الأولويات المتعلّقة بالفضائل الأخلاقية:** يجب علىٰ الطفل ـ علىٰ سبيل المثال ـ أن يجعل الصدق والإخلاص والأمانة والشرف محوراً لأخلاقه. وينبغي له أن يكون عادلاً أيضاً. فإذا قُدّمت له أُمُّه الطعام ليقتسمه مع أخيه، فعليه مراعاة جانب العدالة في قسمته. ولا تفوتنا الإشارة هنا الىٰ القابلية العالية التي يتمتّع بها الأطفال في ملاحظة وتقليد أفعال الآخرين ولا سيما القدوات الإجتماعية والزعامات السياسية، ولهذا فهم يقتفون نفس السبيل الذي يسلكه الأبوان والمربون.

□ الاخلاق لكلا الجنسين

تهتم جميع المواضيع والبحوث المتعلقة بالمحتوىٰ التربوي، في النظام التربوي الإسلامي، لكلا الجنسين. فنحن في الوقت الذي نسعىٰ فيه لتربية أبنائنا وبناتنا تربية إنسانية واسلامية، لا نتغاضىٰ عن عالميهما المتباينين سواءً في سنوات النضوج ام في السنوات اللاحقة. وهاتان الرؤيتان منبثقتان من نمط الفكر الإسلامي بخصوص الحياة المختلفة لكل من الرجل والمرأة، والواجبات والآداب المتعلقة بها. والغرض من كل ذلك هو أن يبقىٰ الرجلُ رجلاً، وتبقىٰ المرأةُ مرأةً من غير ايجاد أي تمييز في المقوّمات الأساسية لنضوج وتكامل أيٍّ منهما. ومعنىٰ ذلك أنَّ بعض الصفات الأخلاقية يُعَدُّ وجودها لدىٰ الذكور ضرورياً، بل ومصدراً للكمال أيضاً، بينما لو اتّصفت

بها المرأة لكانت نقصاً، ويمكننا الاستشهاد علىٰ ذلك بمثال بسيط وهو سماحة الرجل وكرمه في الشؤون الاقتصادية العائلية، ورقة المرأة وعاطفتها وحنان الأمومة لديها، فلو أُستبدلت هاتان الخصلتان واتّصف الرجل برقّة المرأة، والمرأة بسماحة الرجل، لكانت الأضرار المترتّبة عن ذلك وخيمة.

□ في التربية الأخلاقية لكل من الذكر والأنثىٰ

يجب علينا الإهتمام في هذا الصدد بالأبعاد الفطرية والغريزية لكلٍّ من هذين الجنسين، والتركيز بالخصوص علىٰ الجوانب المتعلّقة بالكمال الأخلاقي لكلٍّ منهما؛ ومن جملة ذلك.

تأخذ التربية الأخلاقية للذكور بعين الإعتبار مدىٰ الحرية التي يتمتّع بها الذكر مقارنةً بالأنثىٰ، وقدرته علىٰ تجاهل الضوابط والحدود وعن تمرده بكل بساطه، بينما القضية معكوسة بالنسبة للاناث بسبب المحدودية التي يَشعرنَ بها علىٰ مستوىٰ الحياة العائلية من جهة، وبسبب كثرة الحجُب التي تلازمهن من جهة أخرىٰ.

ومن الفوارق الأخرىٰ الموجودة بين الجنسين، كثرة تعرّض الذكور للتغيير السلوكي والفكري الناجم عن احتكاكهم وتأثّرهم بالظروف والوقائع المحيطة، وحتىٰ من المحتمل ان يكتسبوا بعض المعتقدات الخاطئة فتحصل لديهم تغييرات شديدة قد تمسخ شخصيّتهم؛ بينما يندر حصول مثل هذه بالنسبة للإناث، بل ويبدو أنّهنّ اكثر قدرة علىٰ الثبات والمقاومة، الا اذا وقعن فريسة للتحايل، أو أصبحت عواطفهنّ عرضةً للتلاعب والإستغلال.

اما في مجال الأخلاق الإجتماعية، والآداب، ونمط ارتداء الثياب، وتزيين الشعر والوجه والحاجب، فالمتعارف أنّ الاناث يُقلِّدنّ الممثلات، وغالباً ما يحاولن التشبُّه بالدُمىٰ، بينما يستمد الذكور أنماطهم السلوكية وصيغهم الأخلاقية من الأبطال ونجوم الرياضة والسياسة والدين. وهذا ما يحتِّم علىٰ التربية أخذ هذه التأثيرات الذهنية بنظرالإعتبار.

ولا بدّ من الإشارة أخيراً الىٰ نقطة أُخرىٰ تطيب لها نفس المربّي وهي تفوُّق البنات علىٰ الأولاد في مجال النضوج الأخلاقي وقبول القيم والقواعد الأخلاقية، والرغبة في الالتزام بها والتطابق معها، وان استعدادهن للانقياد لآراءالأبوين والمربي أكثروأسرع من استعداد الذكور، وكذلك هو الحال في حقل التطبيق العملي. وهذه من نقاط القوة التي يركن إليها المجتمع لتربية البنت التي تتولىٰ فيما بعد دور الأُمومة.

□ الظروف الإيجابية والأخلاق

إنَّ العين والأُذن وغيرها من الأعضاء الأخرىٰ هيالمنافذ التي تربط البدن بالعالم الخارجي. ومن الصحيح جداً أنَّ كل ما تراه العين يراه القلب. وانطلاقاً من هذه الحقيقة فلا بد من تطهير الأجواء التربوية من المفاسد والإنعكاسات التربوية السيئة. ومرادنا من كلمة الأجواء هو مجموعة الظروف والعوامل التي يعيشها الفرد ومن ضمنها الأخلاق والتربية الأخلاقية، كالأشياء التي يراها أو يسمعها أو يقرأها أو يتعامل معها مباشرةً فيتأثّر بها، وكل ما يمكن أن يكون له دور في بناء أو هدم الشخصية.

يستمد الطفل أُسسهُ الأخلاقية من الأجواء المحيطة به وخاصة من أولئك

الذين يحبّهم من صميم قلبه، أو أولئك الذين يشعر نحوهم بنوع من الانشداد، أو بنوع من المنفعة منهم وعلىٰ هذا الأساس يجب تحديد العوامل الهدّامة، واخضاع القول والفعل للمعايير المنطقية، وإعادة النظر في معرفة مقوِّمات الصلاح والفساد. فكثير من المشاهد التي يراها الطفل تُعتبر دروساً أخلاقية سيّئة بالنسبة له، من أمثال القصص الجنائية، واللقطات الجنسية المثيرة للشهوة، والمشاهد الفكاهية السمجة، والتصرفات السقيمة للوالدين، وألوان الصراع والمشاحنات. وتقف علىٰ النقيض من ذلك اجواءُ الإيمان والتقوىٰ، والصلاح والوقار، فهي أرض خصبة كنمو الفضائل الخلقية.

□ الموانع الحائلة دون النمو والتكامل

وعلىٰ هذا الأساس، فهناك الكثير من الموانع التي تعترض طريقنا ولا تسمح لنا بالتقدّم كما ينبغي لنا، وما أتعس اولئك الأطفال الذين ينشأون في تلك الأجواءالموبوءة. فهم مضطرون وبعد عمر طويل يقضونه في اكتساب الرذائل لإعادةالنظر فيما اكتسبوه، وتناسي أوترك المعلومات السيئة والتصرّفات القبيحة التي كانوا عليها.

فالطفل الذي ينشأ في بيئة يحكمها النزاع بين الوالدين او يكثر فيها التحلل والفساد والقمار والخمور، يواجه مصاعب جمّة تحول دون تكامل ونموّ شخصيته.

وما أكثر المصاعب التي ستواجه الطفل في مستقبله لو أنّه ترعرع في ظروف يسودها النفاق والازدواجية والفسق وغيرها من مظاهرالانانية

والجهل والفساد! فهل بالإمكان أن نتوقع منه الصلاح والسلامة الفكرية؟ لا شك أنّ هذه الظروف وما شاكلها تمثل قتلاً لكل ما لدىٰ الطفل من شرف واخلاق وفضيلة.

■ عوامل التربية الاخلاقية

تدخل في تربية الأطفال عوامل إنسانية عديدة؛ وأهمها: العائلة، والمدرسة، والأصدقاء، والأتراب، والمجتمع، والشخص ذاته. نشير في ما يلي الىٰ بعض تأثيراتها مع التزام جانب الإختصار.

أ ـ الأُسرة: نبدأ حديثنا في هذا الموضوع بالعائلة، وذلك لعظم دورها في بناء وإنضاج الشخصية الأخلاقية، وتكمن أهمية العائلة في هذا المجال في كونها تؤدي دورين مهمّين:

الأول: هو دور الأُسوة والقدوة.

الثاني: هو الدور العاطفي.

ولهذين الدورين أثرهما في ترك ملامحهما البارزة علىٰ سلوك الشخص.

لقد اعتبر علماء النفس الأُسرة من أهمِّ المؤشرات في تكوين طبيعة وشخصية الإنسان، ويعود لها الفضل الكبير في نضوجه وتنمية القيم في شخصيّته.

ان دراسة وضع الإنسان ونمط شخصيته تقتضي إخضاع السوابق الأخلاقية لعائلته للتحقيق والدراسة، فإنّها مصدر الكثير من المقومات الأصيلة أو الزائفة. ومَردُّ هذا هو أنّ الطفل يقضي فيأحضان العائلة الوقت الأكثر من طفولته وهو الوقت الذي يكون فيه مستعدّاً لتقبّل ما يُلقىٰ إليه والتأثّر بما يسمع وبما يرىٰ، كالنبات الذي يستمدّ الضوء من نور الشمس

ويعكس طبيعة الارض التي ينبت فيها.

ويُعَدُّ الوالدان من الوجهة التربوية من أعظم المؤثرات التي تجتذب الطفل في مطلع حياته حتىٰ أنّ التشبّه بهما يُعدُّ من أكبر أمانيه في تلك الحقبة الزمنية، وإنَّ سلوك الطفل يخضع لتوجيههما او رهبةً الىٰ أن يكتسب الطفل الوعي اللازم حيث يبدأ حينها باستقطاب العادات التي يراها شخصياً.

□ الأُسرة وانتقال الصفات الأخلاقية

ولكن ما هي الخصائص والصفات التي تنقلها العائلة الىٰ أبنائها؟ والجواب هوأنّ الطفل كجهاز التسجيل الصوتي، يقوم بتسجيل كلِّ الكلام والسلوك وطريقة التعامل التي تصدر من الوالدين وسائر الأشخاص المحيطين به، ثم يعيد بثّها حين تقضي الضرورة، ويتعلّم الطفل من والديه وبقيّة المحيطين، كلّ أنواع الكذب، أو الرحمة والصبر وعزّة النفس والقسوة والتعامل المرِن أو الحدي والخشونة والحقد أو المحبّة والغضب وتقلّب المزاج أو ثباته، والتكامل أو المثابرة، والإستبداد أو التفاهم، والكرم أو سوء الخلق وغير ذلك.

فإذا كان الوالدان يتّصفان بالإتزان والنظام والترتيب، فأطفالهما ايضاً يحملان نفس تلك المواصفات، فالأبوان اللذان يبذلان ما لديهما من ذكاء لخدمة المجتمع غالباً ما يتصف أبناؤهم بنفس تلك الصفة؛ لأنّهم يعتبرون أبويهم نموذجاً يُقتدىٰ به ويستمدون منهما كل أنماطهم السلوكية.

لا شكَّ ان لاسلوب التعامل العاطفي أوالخشن دوره في ذلك التأثير؛

ولهذا فمن الضروري قيام أسس التربية علىٰ المحبّة لأنها تجعل من تأثير الأسرة علىٰ الأطفال أعظم وأشد. ويجب أن يقترن طيب الوالدين وحسن تعاملهما مع الطفل بالذكاء والنباهة اللازمة حتّىٰ لا يستغلّ الطفل تلك الطيبة لأغراض منحرفة، وهذا ما يتطلّب اتّصاف الأبوين باليقظة في هذا الصدد.

تنفيذ الأدوار: لو أمعنّا النظر في التصرّف الأخلاقي لكل من الأب والأُم وقارنّا بينهما لكان لزاماً علينا الإعتراف بأنّ دور الأُم أكثر تأثيراً من دور الأب بأضعاف مضاعفة. فالأم ـ وخاصة فيالسنوات الأولىٰ من سنّ الطفل ـ هي النموذج المثالي بالنسبة له. وقد أظهرت الدراسات العلمية بأنّ القسم الأعظم من نفسية الطفل مستمدٌّ منها.

ومن الطبيعي جداً أن تكون الإناث أشدّ تأثّراً من الذكور الىٰ درجة يمكن القول معها ان فساد أو صلاح البنت متعلّق بأُمها. فالبنت أكثر تعلقاً بأُمّها لأسباب جنسية وعاطفية، فهي تقبل سلوكها الخلقي بلا أدنىٰ معارضة، ونادراً ما تضفي عليه بعض التغييرات. فالبنات أكثر تأثراً من الأولاد في التعبير عن أوضاعها وطباعها، وفي احترام الآداب والتقاليد، وفي اسلوب الإستدلال وفهم الحياة، وفي نمط التعامل، وكيفية التعبير عن التقدير والإحترام.

واستناداً الىٰ جميع الأسباب السالفة الذكر، نرىٰ بأنّنا بحاجة الىٰ أُمّهات صالحات لغرض إصلاح المجتمع. والمجتمع اليتيم في رأينا هو ذلك المجتمع الخالىٰ من الأُم الصالحة، لذا يترتب تنفيذ المساعي الإصلاحية بشأن الأُمهات.

□ العلاقات العائلية والأخلاق

للعلاقات القائمة علىٰ الأخلاق والآداب دور فاعل في توجيه الطفل أو حرفه عن المسار السليم، فطريقة التعامل المتداولة بين الأبوين تعكس مدىٰ حرمة وقدسية هذا الأمر او ذاك لديهما، وكيفية التعامل والعيش مع بعضهما.

ومن المعروف أنّ المحيط العائلي له تأثير في مدىٰ انسجام الطفل مع المحيط الاجتماعي. فمن الأُمور العائلية التي تؤثر في تكوين ذهنية الطفل ونظرته الىٰ الآخرين هو أُسلوب تعامل أفراد العائلة الواحدة، والعلاقة بين الزوج والزوجة، وعلاقتهما ببقيّة أفراد العائلة، ومواقف كل واحد منهما تجاه الاخر، ومدىٰ تفاؤلهم أو تشاؤمهم، وهل يمارسون أيّ نوع من التفرقة في محبّة بعضهم ؟ وهل هناك التزام في مجال مخاطبة بعضهم البعض؟ وحتىٰ نوع التعامل بينهم علىٰ مائدة الطعام، مؤاخذة بعضهم لبعض، وطريقة تصفية الحسابات بين أعضاء العائلة الواحدة؛ وخلاصة القول إنّ جميع صور الأمر والنهي، وأساليب استعراض القوّة، والجوانب الإنسانية والأخلاقية، والنشاط والمرح، وغير ذلك من الأُمور الدقيقة التي لا تيسّر الإحاطة بها، تؤثّر في بلْوَرة الأخلاق عند الطفل؛ ولهذا فعلىٰ المربّين الإلتفات إليها وأخذها بنظر الإعتبار.

ب ـ المدرسة والمعلِّم:

يدخل الطفل في بداية السنوات السبع الثانية من عمره الىٰ المدرسة فيتعرّف في هذا العالم الجديد علىٰ قدوات جديدة، ويفتح بصره علىٰ

آداب وطبائع وتقاليد متباينة، وتؤدّي هذه الظروف المستجدّة الىٰ وقوع بعض الأطفال تحت تأثير شخصية المعلم حتىٰ أنهم يتشبّهون به ويتمنّون أن يصبحوا مثله، وأظهرت إحدىٰ الدراسات العلمية في هذا الصدد أن ما يقارب ٣٥٪ من الأطفال في السنوات السبع الثانية من أعمارهم ـ يرغبون أن يكونوا كمعلّميهم. وعلىٰ هذا يجب القول: ما أسعد هذا الطفل الذي يسعىٰ في تلك المرحلة المبكّرة من نموّه الىٰ مسايرة المعلم والمربّي حتىٰ يوصله الىٰ درجة رفيعة من النضوج والتسامي.

تتطلب التربية الأخلاقية للأطفال وعياً متزايداً من قبل المعلم، وهذا يُعَدُّ في الحقيقة فَنّاً ينبغي أن يتقنه المربّي بحيث يماشي درجة نضوج وتطور الطفل خطوة فخطوة من أجل توفير مستلزمات تكامله. ولا شك هنا في ضرورة تعاون المدير والمعاون والمسؤولين الآخرين القائمين علىٰ أمر الطفل.

ويجب عدم إغفال العوامل الأخرىٰ كالمنهج الدراسي وما يحمله من مضامين وأساليب، والتعليمات الإنضباطية السائدة في المدرسة؛ لأنّها تترك آثاراً بنّاءةً أو سلبية في أحيان كثيرة.

ج ـ الأصدقاء:

والمراد بهم أتراب الطفل وأقرانه الذين يلعب معهم ويستأنِس بهم،ويبادلهم الأسرار، ولا يقل دورُ هؤلاء عن دور الآخرين حتىٰ أنّ دورهم أحياناً يفوق دور الأُب والأُم، وخاصة في سنوات البلوغ وأثناء

وقوع الاختلافات والشجار بين الوالدين.

ومن المعروف أن الأطفال يقلِّدون أقرانهم؛ وتدفعهم مشاعر التعلّق بهم إلىٰ محاولة مشاكلتهم والتشبّه بهم، وقد تقود هذه الرغبة في المحاكاة الىٰ بعض الإنزلاقات. إنَّ عملية الحفاظ علىٰ سلامة الطفل تستدعي مراقبة علاقاته مع الآخرين كي لا تكون الغفلة عنه سبباً لوقوعه فريسةً لأطماع الآخرين غير المشروعة، وتؤدي بالنتيجة الىٰ تشويه شخصيّته وسمعة عائلته. وعلىٰ الوالدين بذل الرقابة الكافية علىٰ أمثال هذه العلاقات.

د ـ المجتمع:

تتكوّن الكثير من جوانب الحياة الإجتماعية في السوق والشارع والأماكن العامة، فيتلقّاها الطفل ويجعلها منطلقاً لسلوكه، فتكون سبباً لدفعه نحو الفساد والشقاء. وتوجد الىٰ جانبها ايضاً عوامل تثير خيال الفرد وتؤجّج فيه روح حبّ المغامرة، وإذا لم يواجه بالردع الكافي فسيجد نفسه عُرضةً للكثير من المخاطر.

يؤثّر السلوك الإجتماعي علىٰ الطفل بشكل مباشر أو غير مباشر، عن وعي أو بدون وعي. فمظاهر الإنسجام والمحبّة أو ما يناقضها من الحقد والتنافر تُعَدُّ بالنسبة له درساً يطبّقهُ في حاضره ومستقبله. ولهذا يلزم خلو البيئة الإجتماعية التي يترعرع فيها الصغار من الأوبئة والمفاسد. فمشاهد العنف والسطو والنزاع والتحلل التي تُشاهدُ في دور السينما والأفلام لا تُعلِّمُ النّاسَ سوىٰ الفساد، ثم تفتح أمامهم الطريق لممارسة ما تعلّموه منها.

هـ ـ الشخص ذاته:

لا يمكن تجاهل دور إرادة الإنسان وعزمه في تشييد أو هدم البناء الأخلاقي، فالإنسان، وابتداءً من مرحلة التمييز، ومنذ أن يبدأ بتأمين احتياجاته عن طريق الضحكة والبكاء، يدأب علىٰ إقامة صرح أخلاقه وطبائعه، وذلك ما يستلزم متابعة سلوكه منذ البداية.

فالطفل الذي يُكْرِهُ والديهِ علىٰ تلبية رغباته بالعناد والبكاء، يكون بذلك قد رسم طريقه وسيبني عليه كلُّ سلوكه في الحياة، وبذلك يكون الوالدان قد فشلا في أمر تربيته؛ بينما كان الحال يستلزم مواجهته بالصبر والتحمل وتعليمه أن لا فائدة من البكاء والدموع، وأنّ امثال هذه المحاولات لن تجديه نفعاً.

والغاية المرجوّة من وراء ذلك هو أن يكون للمنطق والإستدلال أثرهما في صياغة طباعه وسلوكه ابتداءً من سنوات الإدراك أي منذ المرحلة التي ينمو فيها عقله ويصبح قادراً علىٰ التميز، فالطفل اذا سرق الطفل لا يُقام عليه الحد، ولكنه إذا عرف ان السرقة تصرّف خاطئ وأقدم عليها يجب تعزيره شرعاً، لأنه مسؤول عن إدراكه وتمييزه.

▪ أساليب صياغة الأخلاق

هنالك نقطة جديرة بالإشارة في مسألة البناء الأخلاقي وهي عدم امكانيّة تحقّقه ذاتياً، بل إنه يُقام ، وإذا أُقيم فلا بُد أن يُهضم لكي لا يُفقد. وهنالك عوامل مهمة تؤثّر في إقامته كما تؤثّر في الحفاظ عليه وصيانته من الإنهيار،

ويمكن تلخيصها في ما يلي:

١ـ **الترغيب**: بحيث يُرغَّبُ الطفل في أن يكون صالحاً ومهذَّباً. ومن حسْن الحظ أنَّ مثل هذه الأرضية موجودة لدىٰ كل انسان منذ ولادته، وأنَّ اللّٰه تعالىٰ قد أودعها في فطرة كل انسانٍ. فذات الإنسان وفطرته تدعوه الىٰ الصلاح والإخلاص. وعلينا الإنتباه الىٰ ضرورة أن تتجلىٰ فيه مصاديق الإخلاص والصلاح علىٰ أفضل وجه ممكن.

٢ـ **القدوة الصالحة**: تتحقق لدى الطفل مثل هذه الرغبة فيما لو شاهد القدوة الصالحة التي تجذب اهتمامه. وعلىٰ الأبوين والمربّين تجسيد الأخلاق الصالحة التي يرتضونها في انفسهم لإثارة حافز التقليد عند الطفل ليسير علىٰ خُطاهم، ومن البديهي أنّه كلما كانت درجة إعجابه واستحسانه أشدّ ازداد حرصه علىٰ اقتفاء آثارهم. فصغار السن لا يمتلكون مفاهيم مجردة عن الأخلاق، بل إنّه يكرر ما يسمع وما يرىٰ. وهذا التكرار هو الذي يطبع فطرته بلونه.

٣ـ **التكرار**: حينما يكون الطفل متعطشاً للسلوك الصالح سوف يسعىٰ الى تكراره، وسيظل يبحث عن الأرضية التي يمارس فيها رغباته عملياً. وفي مثل هذا الظرف يبدو من المناسب ان يأمره الأبوان بالقيام ببعض الأعمال الجيّدة التي ترتاح لها نفسه وخاصّة اذا كان أمرهمامقروناً بالتشيجع

والاستحسان ومن البديهي أنّ مثل هذا التصرّف يحمل بين طياته فوائد متعددة من جملتها أنَّ الطفل يشعر فيه بالمتعة، وتتولد لديه رغبة خاصة في القيام بمثل ذلك العمل.

□ أساليب الإيحاء الأخلاقي

لا بدّ من تعليم الطفل بعض الضوابط والاخلاق والأصول عن طريق الإيحاء الأخلاقي ليصبح قادراً علىٰ تمييز الجميل من القبيح ثم يتمكن بعد ذلك من تطبيقها علىٰ نفسه. ولا يتيسّر القيام بهذه الإيحاءات بشكل رسمي ومبرمج سوىٰ في المدرسة. أما في البيت فيتطلّب ذلك انتهاز الفرص المناسبة للإيحاء الىٰ الطفل بمسألة واحدة. أما الموارد التي تتحقق فيها فرص الإيحاء فهي كثيرة؛ ومن جملتها:

١ ـ **اللعب**: من الطبائع المعروفة لدىٰ الطفل أنّه كثير اللعب والحركة ويقضي الكثير من اوقاته في اللعب والتسلية ليلاً ونهاراً. ويمكن اثناء اللعب الإيحاء اليه بكثير منن الأصول والضوابط الأخلاقية التي تؤدي به الىٰ الكمال. كأنْ يُقال له مثلاً إنَّ هذه الطريقة في اللعب غير صحيحة، وإنّه لم يُراعِ الدور، أو لم يلتزم بالقواعد المتعارفة لهذه اللعبة، وأنّه قد غشَّ فيها، والغش فعل غير مُحبَّذ و... الخ.

أما اذا كان اللعب جماعياً، فيصبح تعليم الأصول أيسر لأنَّ الطفل يجد نفسه ملزماً عملياً بالتقييد ببعض الحدود لكي لا يُحرم من اللعب. ويسعىٰ الطفل في أثناء اللعب ايضاً الىٰ مقارنة سلوكه مع سلوك الآخرين ويندفع

تلقائياً الىٰ مطابقة سلوكه مع الجماعة. واذا تكرر الفعل اصبحت الحالة أكثر ثباتاً في نفسه.

٢ ـ سرْد القصص: يرغب الأطفال كثيراً ـ بل وحتىٰ الكبار ـ في سماع القصص. وكثيراً ما يكون سرد القصة مدعاة للنعاس والنوم. وتلعب القصص دوراً فاعلاً في تكوين القواعد السلوكية عند الأطفال عن غير وعي منهم، بشرط أن يجري إعدادها بشكل مدروس وهادف. وقد تؤدي القصة اذا كانت سيّئة المضامين الىٰ بروز انحرافات خلقية لدىٰ الطفل، أما اذا كانت مضامينها نبيلة فتغرس في نفس الإنسان الطباع الإيجابية والسجايا الحميدة.

يمتاز الطفل بالرغبة في مشاكلةالآخرين والتشبّه بهم. فإذا ما أثار أبطال القصةأو مضامينها إعجابه، يجد في نفسه رغبة تدفعه للانسياق وراءها والتطابق مع ما فيها. وعلىٰ هذا فإنْ كان لدىٰ الأبوين أو المربي أية نقاط وملاحظات يريدون الإيحاء بها الىٰ الطفل، فمن الأفضل بالنسبة لهم صياغتها في قالب القصة وسرْدها عليه. ومن المؤكد أنَّ تأثيرها أشدّ بكثير من الإيحاء المباشر، بالإضافة الىٰ ما فيهامن ميزة أخرىٰ وهي عدم إيذاء الطفل فيما اذا اشتملت القصّة علىٰ تقبيح عيب موجود عنده أيضاً.

٣ ـ التعامل العاطفي: قد يصدر من الطفل خلال الحياة اليومية فعل جدير بالتقدير والثناء وقد يبادر الأب أو الأم الىٰ تقبيله من باب التشجيع

والاستحسان. ويمكن استثمار فرصة التعبير عن مشاعر المحبة لطرح نقطة أخلاقية أخرىٰ، والحصول علىٰ وعد منه بتقويم سلوكه أو ترك المشاكسة والعناد.

وقد أظهرت الدراسات أن الطفل أكثر استعداداً في مثل هذه الحالة لتقبّل ما يُطرح عليه، والالتزام بما وعدَ به حينما كان يستشعر لذة القُبلة من والديه، أو أنّه سيبقىٰ متمسكاً بذلك الىٰ فترة ما علىٰ أقل تقدير. ويمكن ايضاً طرح بعض النقاط الأُخرىٰ عليه اثناء الغضب والزجر أو العقوبة، كأن يُقال له مثلاً إن تصرفك الفلاني لا يُعجبني، واذا فعلت كذا وكذا فإنّي أُحبّك اكثر. وحين يُشار الىٰ أحد الجوانب يُفترض أيضاً عدم نسيان الجوانب الأُخرىٰ.

٤ ـ **تلبية احتياجاته:** يتّكل الطفل علىٰ أبويه في كل شؤونه، ولا يمكنه الإكتفاء ذاتياً، والوقوف علىٰ قدميه. فهو كائن محتاج دوماً ومضطر الإستعانة بالوالدين لتلبية احتياجاته. ونحن لا نقول بأنّ تلبية احتياجاته يكون مقروناً دوماً بالمِنّةِ وفرض الشروط، لكننا نرىٰ أن بعض الموارد تتيح لنا فرصة الإرشاد والتوجيه أثناء تلبية حاجاته.

فعندما نذهب الىٰ السوق لشراء الثياب، أو عند تقديم أيّة هدية له أو حين اعطائه مصرفة اليومي أو الأسبوعي، يمكن استثمار مثل هذه الفرصة، وتأكيد بعض المسائل الأخلاقية عليه، فنطلب منه الطاعة والإنقياد في أمر معين. وتوجد لدىٰ الطفل خصلة طيبة وهي رغبته في إرضاء والديه ومربيّة بشكل أو آخر، حتىٰ وإن كان في ذلك عمل شاق او عسير.

٥ ـ **الأحاديث العائلية**: من الطبيعي أن تدور الأحاديث دوماً بين الزوج والزوجة والطفل الىٰ جانبهما مُنصِتٌ لما يقولان، أومشغول باللعب في احد زوايا الغرفة، الَّا أنه منتبه لما يدور بينهما من غير التدخل المباشر في ذلك.ومثل هذه الفرصة تتيح لهما طرح بعض المسائل الأخلاقية المستهدفة بشكل غير مباشر وتطبيقاً للمثل القائل «إياكِ أعني واسمعي يا جارة». فيقول الأب مثلاً أني استاء كثيراً من التصرف الفلاني، أو أن الشخص الفلاني قام بعمل أزعجني كثيراً، او إنني شعرتُ بكثير من الارتياح للعمل الفلاني الذي قام به أحد الأشخاص و... الخ.

وانطلاقاً من مشاعر التعلق بالوالدين والمربين، يحاول الطفل الإصغاء الى حديثهما وايجاد صيغة من التطابق بينه وبين الصورة المثالية التي يطرحونها في احاديثهم، وترتيب حركاته وسكناته بالشكل الذي يرضيهم. وهذا من السبل الناجحة في الإيحاء الأخلاقي.

٦ ـ **تعليم المسائل الدينية**: تتمثل بعض مهامّ الأبوين في تعليم المسائل الدينية للطفل الذي تنضج لديه قوّة الإدراك الديني في السنة التاسعة من عمره، اذ يقوم وابتداءً من تلك السن بأداء بعض العبادات، وحيث تكون الفرصة سانحة للتربية الأخلاقية بسبب قوّة التأثير الديني الذي يمكن الإستعانة به لبلوغ هذه الغاية إنّ التصور السائد عند الطفل بوجود قوّة تشرف علىٰ كل اعماله يدفعه الىٰ الوقوف امام هواجسه. وغالباً ما تتّسم مثل

هذه المشاعر بالضعف قبل سن العاشرة، ولكنّها تأخذ طابعاً اكثر جديّةمن بعد السنة الثانية عشرةً من عمره حتىٰ أن علاقاته الإنسانية والأخلاقية تتكون بما ينسجم وهذا الإطار، وحينهايصبح إلقاء الأفكار الأخلاقية وتقبّلهُ لها سهلاً.

٧ ـ **استخدام المنطق والاستدلال:** وأخيراً إذا نَشَبَ أيٌّ نقاش أو جدال او بحثٍ في موضوع ما، فلا مَفَرّ لنا من استخدام منطقٍ يفهمهُ الطفل لبيان حسن العمل وقبحه، والسبب الداعي لأن يكون الطفل علىٰ هذه الشاكلة أوتلك. وواضح أنَّ مِن الخصائص الواضحة للطفل أنّه شخصية بسيطة وسريعة التأثّر، فهو ليس بحاجة الا استدلال أو منطق معقّد، بل يكفي أن يُقال له انّكَ اذا فعلت كذا فأنت طفل جيّد وسيكون أبوك راضياً عنك، وسيرضىٰ عنك ربُّكَ أيضاً.

□ مراحل التربية الأخلاقية

يجب أن تتناسب التربية مع مستوىٰ سن الإنسان وفهمه ونضوجه. وسيتضح من خلال ذلك مدىٰ الآمال المرجوّة منه، يجب النظر في نوعية التعليم الواجب تقديمه للطفل في كل مرحلة فليست جميع الأصول والقواعد ممكنة التطبيق في جميع المراحل. ومن المفيد لنا حتىٰ في مرحلة الطفولة معرفة ان المسائل التي يمكن طرحها في السنوات الثلاث الأولىٰ تختلف عن المسائل التي يجب تعليمها في السنوات الأربعةالثانية من العمر. ونشير في ما يلي الىٰ بعض النقاط المهمة في هذا الصدد مع مراعاة الإختصار.

١ ـ **بداية الأخلاق:** ما هي المرحلة التي تبدأ فيها الأخلاق والتربية الأخلاقية؟ والجواب هو أنها تبدأ في الأشهر الأولىٰ حين يبدأ الطفل بإيجاد نوع من الصلة مع أبويه بالابتسامة التي ترتسم علىٰ محياه. وقد يتصوّر البعض ان الحديث عن شيّ اسمه الأخلاق في مثل هذه المرحلة يبدوامراً غريباً، بينما أثبتت الدراسات حقائق تنافي هذا التصور.

فهنالك أصول أخلاقية يجب تعليمها للطفل ابتداءً من تلك الفترة، وحتىٰ ان الواجب يُحتِّم علينا السعي لتعليمه بعض العادات المتناسية مع ذلك السن. يرىٰ علماء نفس الطفل أنَّ خصال الطفل وطباعه تتبلور منذ أيام رضاعته وطفولته، وعلىٰ هذا الأساس فلا بد من بَدءِ التربية الأخلاقية منذ

ذلك الوقت المبكر. لانَّ تأخيرها سيؤدي الىٰ مصاعب مستقبلية عويصة.

تتجلىٰ في الطفل مفاهيم الصلاح، ومعرفة الواجبات، واحترام الآخرين عند حوالىٰ السنة الثالثة من عمره، وفي هذه المرحلة الأساسية يتبلور وجدانه الأخلاقي، أي القدرة علىٰ تشخيص الأمر القبيح من الجميل. وفي ميسورنا تعليمه المفاهيم النبيلة من أمثال الرأفة، وعلو الهمة والنشاط والتحمل، لتتكون منها قاعدة صلبة لتقوية شخصيّته.

٢ ـ **الاسس الأولية**: من الضروري الاشارة هنا الىٰ وجوب كون التعليم ـ وفي أيّة مرحلة كان ـ مكملاً للدورةالسابقة وممهداً للدورة اللاحقة. اِنَّ قلة الوقت، وقصر فترة العمر لا يسمح لنا بتعليم الطفل اشياء نضطر في ما بعد الىٰ محوها من ذهنه لا سيما وأنّه بعد رسوخ المواضيع في ذهنه وغرس العادات الأخلاقية في النفس يكون اقتلاعها من الأمور الصعبة جداً.

كما لا بدّ من الانتباه الىٰ أن الأسس الأولية في الأخلاق لها أهمية بالغة. فشخصيّة الانسان تنمو في ما بين ٤ ـ ٧ سنوات ويبرز فيها الطابع الفردي ويصبح الطفل عندها بحاجةالىٰ المزيد من المثابرة والاهتمام. وتبقىٰ هذه الحاجة قائمة الىٰ ان يثبت السلوك الأخلاقي في الشخصية. وليعلم المربّون والوالدان أنَّ السنوات الخمس الأولىٰ من العمر أهمّ سنوات الحياة، ويصطلح عليها المربّون باسم السنوات الحية لأن اسس الخصال وأصولها تُبنىٰ فيها. عليكم أن تعلّموه حسن الأدب منذ نعومة اظفاره، واحترام الآخرين، والاتصاف بالشجاعةوالسخاء والشفقة، وان لا يمتنع عن اعارة

اشيائه الخاصّة للآخرين... الخ.

٣ـ السنوات السبع الثانية: يقع قسم من مرحلة الطفولة في نطاق السنوات السبع الثانية من العمر، وفي هذه المرحلة تأخذ التربية طابعاً جدياً ورسمياً ويكون فيها الطفل مسؤولاً عمّا يصدر منه من تصرفات منافية للآداب والأصول. ولا تفوتنا الإشارة الىٰ أنَّ الطفل في المرحلة الإبتدائية ليس ملاكاً طاهراً وزاهداً في الدنيا لتتوقعوا إنَّ أمره طوع إرادتكم؛ بل انه يعيش في الأجواء المدرسية المشحونة بالضوضاء والصخب وتسودها أجواء قلقة من التنافس المحتدم، اذن فهي ـ والحال هذه ـ تتطلب فرض شيٍ من الرقابة علىٰ بعضها.

تحظىٰ مسألة القدوة في هذه المرحلة بشئ من الأهمية ؛ لأن اخلاق الطفل تنساق وراء ما يسمع وما يرىٰ ، أوكما يقال إنَّ لآرائه التي يصدرها بهذا الصدد صورةواقعية. ولا بد من السعي طبعاً لكي تكون لهذا الأمر صورة منطقية استدلالية قائمةً علىٰ أسس دينية. وعند اجراء الضوابط لا بد لنا من ملاحظة عوامل السن والفهم والإدراك والنضوج الجنسي.

تظهر علىٰ الطفل في حدود السنوات (٩ ـ ١٢) مواصفات أخلاقية خاصة تبقىٰ ملازمة له عادة حتىٰ فترة البلوغ، ويصبح للاصدقاء دور في حياته اثناء هذه المرحلة، وتؤثر فيه ايضاً توجيهات الوالدين، والتشجيع والتثبيط الذي يلقاه من الكبار، وعلىٰ المربي ان يسعىٰ لتكوين رقابة داخلية عند الطفل حتىٰ تكون الأرضية مُعدّة بين سن ٦ ـ ١٠ سنوات.

□ الضمانة التنفيذية للأخلاق

هنالك ضمانات تنفيذية متعددة بخصوص التربية الأخلاقية من جملتها:

١ ـ فطرة الطفل المجبولة علىٰ مبادئ الصدق والاخلاص والأمانة والوفاء والإمتناع عن الكذب والنفاق و...الخ.

٢ ـ حسن استعداده لتقبّل ما يلقىٰ إليه، فنفسه كالأرض الخصبة المعدّة لاستقبال البذور وتنميتها.

٣ ـ حاجته الىٰ وجود ومساعدة الأبوين والمربي، واستعداده لتقبل أوامرهم ونواهيهم، من أجل حثّهم علىٰ تلبية إحتياجاته.

٤ ـ التشجيع والتكريم المتواصل حافز يدفع الطفل نحو الفعل والحركة.

٥ ـ العقوبة والتوبيخ الذي يلقاه من الوالدين والمربي فيما اذا ارتكب أيّة مخالفة، وخشيته من سطوة الكبار.

٦ ـ رغبته الفائقة في نيل رضا الآخرين وخاصّة الكبار والشخصيات التي يستأنس لها.

٧ ـ تنامي وعيه ومداركه، وهوما يُعَدُّ تمهيداً لقبوله بالخضوع لسلطان

الرقابة الذاتية.

وعلىٰ كل حال يجب ان تكون تصرفاتنا التي هي في الواقع انعكاس لذواتنا الباطنية نموذجاً مؤثراً ودرساً بليغاً يحتذي به ويحفزّه للتشبه بنا.

□ إعادة البناء الأخلاقي

قد تضطرنا الحاجة أحياناً الىٰ اعادة صياغة أخلاق الطفل بسبب غفلة المربي أو خطئه، او بسبب تهاونه،أو قد يكمن سبب ذلك في انحراف الطفل وخروجه عن المسار المرسوم له. من المحتمل أن يتعرض الطفل لبعض المنزلقات متأثراً برفقاء السوء أو الأجواء الفاسدة فيتعوّد علىٰ بعض الطباع السقيمة. وفي مثل هذه الحالة يتحتّم علىٰ المربي المبادرةالىٰ ازالةالنواقص وتطهير ذهن الطفل من الشوائب وإعادة صياغة أخلاقه وسلوكيّته من جديد.

يعيش أطفالنا في ظروف وأوضاع تقضي ببناء طباعهم وشخصيتهم والمبادئ الأخلاقية فيهم، واذا حصل تأخير في انجاز هذا الواجب فسيسبب حدوث معضلة تعقّد مهمة المربي في المراحل اللاحقة. ولا لوم علىٰ المربي لو تعرض الطفل الذي تحت رعايته لأي خلل تربوي، فالاختلالات السلوكية لا بد من ظهورها بشكل أو آخر بسبب الهواجس النفسية والعلاقات السيّئة رغم جميع انواع الرقابة المفروضة علىٰ اعمال الطفل. فمن غير المعقول أنْ نتوقع عدم حصول اي سهوٍ أو غفلة مِنّا أو من جانب الطفل. ولا بد لهذه الحالة من البروز شئنا ذلك أم أبينا. أما دورنا فهوالحذر

أولاً من عدم تغلغلها وتجذرها في الأعماق والإسراع ثانياً الىٰ إزالتها ومحو آثارها. ومن الضروري الالتفات الىٰ نقطتين في موضوع إعادة البناء الأخلاقي، وهما:

١ ـ **التقويم**: تظهر لدىٰ الأطفال أحياناً بعض التصرفات التي لا نرىٰ ضرورة فى الإجهاز عليها واقتلاعها من الجذور، بل يجب السعي لاصلاحها وتقويمها ووضعها في المسار الصحيح، سواءً كانت تلك التصرفات سلبية أم ايجابية.

وكمثال علىٰ الجانب الإيجابي الكرم باعتباره خصلة نبيلة؛ إلّا أنّه يجب أن لا يخرج الىٰ حد التبذير فيكون وبالاً عليه وصدْمة تمنعهُ من مواصلة الكرم، والهدوء صِفة جميلة لدىٰ الطفل ولكن ينبغي أن لا يعوقه عن الحركة واللعب. ومن البديهي أنَّ حُب الظهور يُعَدُّ أمراً طبيعياً ولكن ليس بالشكل الذي يلغي وجود الآخرين. والغضب لحفظ كيانه لا يُعتبر تصرّفاً مستهجناً ولكن بشرط أن لا يقوده الىٰ التجاوز أو العدوان علىٰ الآخرين.

٢ ـ **التغيير**: وهنالك تصرّفات أخرىٰ يجب إزالتها، وذلك لقبحها من الوجهة الأخلاقية والدينية، مثل السرقة فهي تستوجب القضاء المبرم عليها. وكذلك التجاسر باليد أو باللسان علىٰ الوالدين والآخرين، فهو عمل غير مؤدّب، وعلينا استئصاله من الطفل، وأمثال ذلك الكثير من التصرفات الأخرىٰ كالغطرسة، واستخدام القوة، والطغيان والعربدة.

ولكننا مع الأسف نلاحظ بعض المربّين أو الوالدين الذين يتجاهلون مثل هذه التصرفات الخاطئة من الطفل متوهمّين الحرص عليه، ومتناسين أن استمرار هذه الظواهر يؤدي في نهاية المطاف الىٰ استفحالها وتأصلها في نفسه، حتىٰ يتعذر القضاء عليهابعدئذٍ، فيجب علينا عدم السماح للطفل بأن ينشأ علىٰ الطيش والعدوانية، ولا يكون مهرّجاً أو مشاغباً يستهزئ بالآخرين.

□ معرفة الأسباب والإجراءات الواجبة

وقبل اتخاذ أي إجراء لإعادة بناء سلوكية الطفل، يجب السعي أولاً لمعرفة السبب أو الأسباب الكامنة وراء هذا التصرف الخاطئ أو ذاك. فعلينا معرفة الدافع الذي يدعوه الىٰ الكذب او السرقة او الغضب، او ما هو السبب الكامن وراء موقفه اللاأُبالىٰ تجاه حدث هام؟

يتبين من الدراسات بأنّ الطفل يعتبر بعض التصرفات الخاطئة نوعاً من اللعب او التسلية غير مدرك لمدىٰ قُبحها. ومن البديهي أنَّ موقفنا حيال هذا التصرف يختلف عن موقفنا حيال تصرف آخر صادر عن وعيٍ ومعرفة. وحتىٰ بشأن الانحرافات الجنسية فليس لدىٰ صغار السن اي تصور بأنها جريمة أو إنحراف، وواضح جداً إنها ناشئة من جهل الطفل وما تعود عليه من ممارسات خاطئة. وقد يتيسر رفعها من خلال اسداء بعض النصائح والتوجهات.

ومن خلال معرفتنا لأسباب السلوك وعلله تتهيأ لنا إمكانية إحداث التغيير الأخلاقي المطلوب عن طريق أتباع السبل الثلاثة التالية:

١ ـ عن طريق الأوامر والنواهي التي يصدرها الكبار، والأشخاص الذين يحبهم الطفل.

٢ ـ عن طريق مخالطة الأتراب والأقران.

٣ ـ عن طريق النضوج الفكري والعقلي.

وفي جميع الأحوال يبقىٰ المبدأ الأساسي في التربية هو التزام الإعتدال مع إعطاء الأهمية لانماط التعامل مع الطفل، وتسليحه بالوعي اللازم، والمعرفة بمناهج الإصلاح لأنها من المستلزمات المهمة في شؤون التربية.

◻ مناهج الاصلاح

هنالك مناهج وأصول لا بد من اتّباعها سواءً في البناء الأخلاقي أم في الاصلاح التربوي، وأهمها ما يلي:

١ ـ **المحبة**: وهي شئ أساسي في تهيئة الأرضية في التربية الأخلاقية. فحين يلمس الطفل العطف والحنان والمحبة من ذويه، يتعلق بهم ويَنشدُّ اليهم، ويصبح مُستَعِداً للاذعان لأيّة أوامر او نواهٍ تصدر عنهم. وانطلاقاً من هذه النظرة يتوجب علينا بذل ما يمكن من المحبة للطفل لأنها من متطلباته النفسية أولاً، ولكونها ثانياً من العوامل الفاعلة في تحقيق أهداف المربي.

٢ ـ **التنبيه والتذكير**: من المُستحسن تذكير الطفل دوماً بسلوكه، وتنبيهه الى الخطأ من افعاله وان عليه اصلاحها وإلا فستكون النتائج قاسية. ولا

تكتفوا بالاشارةالىٰ هذا الموضوع مرة واحدة بل يجب توعيته وردعه باستمرار، فهو طفل وكثير النسيان، وتذكيره بين الفينة والأخرىٰ الىٰ تقويم تصرفاته الخاطئة أمر ضروري.

٣ـ **النظرة ذات المغزىٰ**: يمكن أحياناً تنبيه الطفل الىٰ خطئه وإعادته الىٰ الطريق الصواب من خلال النظرة المعبرة اليه. فإذا أتى بفعل مستهجن يكفي أن يُنظر اليه شزراً وبلا أي كلام، فمثل هذه النظرة تؤدي دورها في إصلاح سلوكه. ولو أبدىٰ أي عناد لأبويه عبّروا له عن انزعاجكم بواسطة نظرة الغضب واستبعدوا طابع اللين والمرونة.

٤ ـ **اللوم والغضب**: واذا لم تُجدِ معه نفعاً الأساليبُ المارّة الذكر، يتوجّب عليكم حينئذٍ توجيه اللوم والتقريع اليه ومكاشفته بعيوبه ليتيسر لكم اصلاحه. بل وقد تضطرون ايضاً لهجره وعدم التكلم معه، بشرط أن يكون في هجركم له درسٌ وتوجيه له أثره البالغ فيه، وأن لا يستمر طويلاً بل يتحول بعد برهة وجيزة الىٰ مصالحة.

٥ ـ **التهديد والإنذار**: والخوف من العقوبة رادع ايضاً. ففي بعض الحالات يخشىٰ الطفل من عاقبة الفعل حين تخويفه بالعقوبة التي سينالها جزاءً له وفي نفس الوقت يجب الانتباه الىٰ عدم استغلال مشاعره العاطفية وقلبه الرقيق، بحيث لا يجد نفسه محشوراً في طريق مسدود فتؤدي الىٰ

ردود فعل سلبية، كما ويجب عدم تخويفه بالأماكن المظلمة والمرعبة، فيترك علىٰ حياته العاطفية آثاراً سلبية.

٦ ـ **العقوبة**: حينما نرىٰ أنَّ أياً من الأساليب السابقة لا تُجدي نفعاً، نضطر الىٰ اللجوء الىٰ استخدام العقوبة التي لا ينبغي أن تدخل ـ طبعاً ـ في اطار الضوابط الشرعية الموجبة للدية.

وعلينا عدم الخروج عن حد الإتّزان والإنصاف ، ولا نجعل منه كبش فداء لتهدئة غضبنا. ولا تكون العقوبة بدنية دائماً؛ بل قد يكون حرمانه من الحياة الجماعية او طرده منها رادعاً مؤثراً ايضاً في هذا الصدد.

□ التأثير السلبي للضغط

لا جدال في ضرورة وجود عوامل السيطرة في البيت إلا إننا نرفض أسلوب استعراض القوّة من قبل الأبوين والمربّي . ويجب ان لا يصل بنا الحال الىٰ الاستبداد في إدارة شؤون الطفل. فكثيراً ما يُصاب الأطفال الذين يُساسون بأسلوب الإستبداد ويقبلون علىٰ الطاعة خوفاً، بنوع من الكآبة وحدّة المزاج، واذا ما كبروا ووجدوا القدرة علىٰ الاستقلال فلن ينقادوا لأحدٍ بأي شكل من الأشكال.

من المعروف أنّ الضغوط المتزايدة تشل سعي الطفل وحركته، وتقتل فيه الرغبة في بلوغ الحرية التي تُعتبر الدافع وراء بذله لأقصىٰ جهوده. فقد تنجح الضغوط الكثيرة في لجمه لعدّة لحظات أو أيّام، لكنها ستفتح الطريق أمامه تدريجياً نحو التحايل، والحصول علىٰ مخرجٍ منها، والتوجّه نحو

الاستقلال والإعتماد علىٰ النفس.

وعلينا أن ندرك من جهة أُخرىٰ ان اللّٰه قد جعل من الوالدين والمربين أمناء على الطفل فلا يجوز لهم معاملته من موقع القوة المطلقة، وانما هم مكلّفون بتربية طاقاته الكامنة، لا وضع أنفسهم وإيّاه في طريق مسدود من الوجهة الأخلاقية والتربوية. بل ان الحال يتطلب تركيز الجُهد علىٰ خلق نوع من التآلف والمحبة بينهم وبينه وارشاده نحو الكمال، ومثل هذا الأسلوب ألطف وأجدىٰ نفعاً.

□ الحنان والتربية الأخلاقية

هناك مثل يقول: بطراوة اللسان يمكن استخراج الحية من غارها، وبدمائه الأخلاق يتيسّر ترويض الوحوش. فأنتم ومن خلال تعاملكم اللطيف تستطيعون إمساك بزمام الطفل العنيد وقيادته نحو اصلاح سلوكه، ولم يكن الحديث الوارد عن رسول اللّٰه(ص): «**انما بُعثتُ لأُتممَّ مكارم الأخلاق**» إلّا انطلاقاً من هذه الرؤية التي تهتم بدور الرفق وحسن الخلق في البناء الأخلاقي. وأهم عبارة يمكن الإشارة اليها في هذا الصدد هي أنّ حنان الوالدين والمربي أفضل ضمانة لاتزان عواطف الطفل وانفعالاته، ولصيانته من الكثير من انواع الإنحراف وردود الفعل المتشنّجة.

يتضمن التعامل العاطفي فائدة أخرىٰ ايضاً وهي عدم تعويد الطفل علىٰ قساوة القلب، بل يقوّي في نفسه صفة التواد والتراحم ويؤدّي بالطفل في ما بعد الىٰ العيش في ظروف عاطفية سليمة. نحن نعلم طبعاً أنَّ الاهتمام المحض بالجوانب العاطفية والشعورية المجردة للطفل قد يقتل فيه روح

التعاون ويتسبب في دفعه الىٰ بعض التصرفات المستهجنة. ولا شك ان الحذر من بروز مثل هذه الحالات يقتضي أيضاً الإلتفات الىٰ أنَّ تأثير المحبة بشكل عام أرجىٰ من تأثير الزجر والعقوبة.

□ حدود طموحاتنا المرجوّة

وهذه آخر مسألة نطرحها في هذا المجال، وهي: ما هو مدىٰ طموحاتنا المرجوّة من الطفل؟ والإجابة علىٰ هذا التساؤل تتطلب تناول الموضوع من جوانب متعددة،

يتوقف أهمّها علىٰ الاجابة علىٰ الاسئلة التالية:

ما مقدار المواضيع والمعلومات التي علمناها للطفل؟ والىٰ أيّ مدىٰ كُنّا صادقين معه؟ والىٰ أيّ حد بذلنا الجهود لتطهير الأجواء التي يعيش فيها من الأوبئة؟ وهل أننا لم نخلط بين الأغراض الشخصية والحسابات التربوية في تقديم الآراء الأخلاقية له؟ وهل كان الدافع في معاقبتنا له افراغ العقد الشخصية أم استهدف تربية الطفل؟

وما الذي قدّمناه للطفل لكي نرتجي منه الآن خيراً؟ و... الخ.

وعلىٰ كل حال فلا ننسىٰ عدم وجوب عَقْد الأمل علىٰ الطفل؛ فهو طفل ولا يمتلك أية عقلية ناضجة، ولايزال رهين عواطفه ومشاعره، ومشدوداً الىٰ لذّاته الظاهرية. فلا نرتجي منه الإيثار ونكران الذات. وعلينا أن ننتبه الىٰ عدم تعوده على الطباع البذيئة والدلال، مع عدم التدقيق عليه في كل صغيرة وكبيرة.

قد نلاحظ علىٰ الأطفال في بعض الحالات صفاتٍ سيّئة كالبخل والحرص والأنانية واللاأبالية. وعلىٰ الوالدين التعامل مع هذه الخصائص بعقلٍ وذكاء. وينبغي عليهم، بالإضافة الىٰ مراعاة حريّته النسبية، أنْ يعلموا بأنَّ تربية الطفل علىٰ التحمل والاخلاص والصلاح تحتاج الىٰ فترة زمنية طويلة، ويجب عند ذاك اغتنام الفُرص المناسبة وعدم تفويتها.

التربية والشجاعة الاخلاقية

التربية والشجاعة الاخلاقية

المقدمة

لو نظرنا الى الأخلاق بمنظار شامل وعميق لوجدناها تشمل كافة القواعد والآداب التي تسود السلوك والعلاقات الإنسانية وسبل الحفاظ عليها. فهي تتضمن سلوك الإنسان من ناحية، والعادات والملكات والفضائل من ناحية اخرى.

وبعضها يشمل الجرأة والشهامة والرشاد التي تعدّ من أسمى المزايا الأخلاقية.

□ الجرأة وثمارها:

لقد ذكروا ان الجرأة تعاكس الخوف، والجبن ، فقالوا: الجريء من لا ينهار ولا يتداعىٰ لا في السرّاء و لا في الضرّاء، ويمارس أعمالاً يعجز عنها الآخرون نتيجة خوفهم. والجريء من لا يتنازل عن موقفه عند مايثبت له بالأدلة والبراهين صواب تفكيره واعتقاده. واذا ماثبت له خطل رأيه فهو يؤوب عنه ويتوب حتى لو لبث فيه عمرا.

والجرىء من يتحمل الصدمات والضغوط من أجل بلوغ الهدف ولاينتابه الهلع ازاء الآلام والمشقّات ، ولا تعيقه آلاف الموانع والعقبات عن السعي والمثابرة.

وأخيراً فان الجريء هو من لا ينسى هدفه حتى وان كان غارقاً في الصعوبات والمحن ولا يتداعىٰ امامها. ومن علائم الإنسان الجريء انه دائم البحث عن الحقيقة، متخذاً من العدالة والطهارة والصمود امام الأهواء شعاراً له.

ان الإنسان الجريء يقاتل من اجل احياء الحق؛ وقد يُغلب ولكنه لا يتزعزع، فهو ذلك الإنسان الذي يصمد امام سيل الإنتقادات ويستقبلها بصدر رحب.

والجريء هو ذلك الشهيد الذي وقف مرفوع الرأس وسط الضجيج ولائمة الاعداء. واخيراً فان الجريء والشجاع هو ذلك الإنسان الذي يرىٰ نفسه على حقيقتها بعيداً عن التفاخر والأنانية.

□ عواقب الجبن

لقد ذكرنا ان الجبن يتناقض مع الجرأة، حيث تتجسد آثاره على هيئة المداهنة والتملق والإستسلام. فالجبان من يبدي للآخرين خلاف ما يعتقد، وهو الذي يتملق لشخص ويصفه بالفضائل والخصال التي لا يؤمن هو بها. والجبان هو الذي يهز رأسه استحساناً عندما يُمدح بدل أن يرفض، ويغمره السرور عندما يوصف بالفهم، ويبارك في داخله لمن يمتدح تقواه. وأخيراً فإنّ من يتكلم وفقاً لأهواء الآخرين ويتحدث ارضاءً للناس لا ارضاءً لله تعالىٰ وللضمير فهو جبان ورعديد ايضاً.

فالجبناء يخشون الحقيقة ويهربون منها لكي لا تنكشف سرائرهم وواقعهم أمام الملأ. ولا يراجعون الطبيب كي لا يعرفوا انهم مرضى.

فالمجتمع يعجّ باسرىٰ التقاليد المقيتة والأعراف الخاطئة التي تتحكم بهم، وكثيراً ما توقعهم في قيود الاحراج؛ فليس لديهم الجرأة والإقدام على التخلص من قيود افكارهم الطبقية والقومية، والولوج في عالم الحرية، وذلك لانهم يفتقدون الجرأة. وكثيراً مانراهم يرتدون من الثياب ما يرضي المجتمع، ويأكلون، ويشترون البيوت بالقروض او بشتى السبل الأخرى، ولا يمتلكون الشجاعة اللازمة للخروج من حدود القيود التي فرضوها علىٰ أنفسهم.

□ أسرىٰ الجبن:

ما اكثر الناس المدمنين على الخمر، وغيره من المعاصي، ولا يمتلكون جرأة التخلي عن أعمالهم؛ فهم يوكلون تركها الى الغد؛وهؤلاء هم الأسرىٰ. اسرىٰ الجبن والخوف، وفي ميدان العلم والعلماء نواجه اشخاصاً لا يمتلكون جواباً صحيحاً للأسئلة التي تُطرح عليهم، وليس لديهم الجرأة للتصريح بجهلهم بالنسبة للموضوع الذي سئلوا عنه ويقفزون على الجواب، ويتهمون الناس بالخطأ، ويضعون العراقيل في طريق الآخرين، ويسخرون من غيرهم، ليكون ذلك ستاراً لجبنهم، ويمكن تشخيص باقي الأسرى كالمرائين والمزيفين والكذابين والمكثرين من مدح أنفسهم.

□ آلية الدفاع أمام الجبن:

اننا نتستر احياناً على خوفنا بالمرض ونشعر بالامتنان لحالات المرض التي تداهمنا؛ لأن هذه الحالة تنقذنا من العذاب الذي يكمن في أعماقنا. فقد لا نملك الثياب الفاخرة التي نرتديها ونذهب الى دعوة فنحتج بالمرض. انه بلاء حقاً فنحن نبرّىء أنفسنا من عدم الرغبة في حضور مثل هذه المجالس، لا سيما الذي يعتبر منّا قيمةشخصه في الزي والثياب، نتيجة لفقدانه القيم والإعتبارات الذاتية. وقد نجهل الصلاة والفرائض وليست لدينا الجرأة على الإفصاح عن ذلك امام المضيف؛ فنعتذر بأننا لا نستطيع النوم في بيوت الآخرين؛ قائلين: لابد ان نذهب الى بيتنا. وقد لا نهبّ

لمساعدة الفقى ولا نجرؤ على ذكر ذلك امام الآخرين فنتذرع بأنّ مساعدة الفقير تدفعه الى التكاسل، ولا نضيف شيئاً على أجرة العامل متذرعين بأنه يصبح مسرفاً وكسولاً.

□ فوائد الجرأة:

إن الخطوات الإيجابية التي شهدتها البشرية على مدى التاريخ كانت من قبل الجسورين والشجعان؛ فاساس كل تطور علمي وحضاري هو تبلور الأفكار التي افرزت التطورات والثورات التي تتمخض عن البطولات والتضحيات.

فعندما يبرهن المرء على جرأته وشهامته يترسخ في ذاته مثال العظمة والجلال والقدرة والطهارة الملكوتية، ويترك بصماته على الكون، ويسخر الأحداث كما يريد، ويصبغها بصبغته، ويوجهها كما يشاء.

فقادة الفكر والزعماء الكبار تمكنوا من خلال الجرأة التي أبدوها أن يجتازوا العراقيل والمشاكل، وأن يخلّدوا افكارهم في هذا العالم. فكم من الأفكار انتشرت في ظل جرأة الأشخاص! وما اكثر الذين تجرعوا كأس الموت في هذا السبيل أو نالوا الشهادة. فسقراط تجرع كاس السم في الثانية والسبعين من عمره ولم ينثن كي تبقى فكرته حية. وغاليلو، وكبرنيكوس، ولا فوازيه.. كانوا من نفس ذلك الطراز.

اما في حقل علماء الدين، فهنالك الكثير من اضراب هؤلاء الشهداء؛وكثرتهم بالقدر الذي لا يمكن ذكر اسمائهم، فقد نزل المنشار على راس النبي زكريا (عليه السلام) ووضع راس يحيى (عليه السلام) المقطوع

في طست من ذهب، وسقط عليٌّ (عليه السلام) شهيداً بسيف الجهل الغاشم، وسُمَّ الحسنُ (عليه السلام) وأنصاره.. كل ذلك من أجل أن تبقى عقائدهم وأفكارهم، وتحيا الحقيقة خالدة.

وهكذا فان مالدينا في الجانب العلمي والمعارف، والتاريخ والآداب قد جاء من خلال الجرأة.

◻ اضرار الجبن:

وكما ان كياننا وحياتنا وتراثنا الإجتماعي جاء من خلال الجرأة فإن زوال وضياع معظم قيمناكان في ظل الجبن. فالجبان يرى نفسه مكبّلاً بقيود التبعية.. هذه القيود التي يتصور ان الخلاص منها لا يتحقق الا بالمكر والحيلة والتشبث بالتملق والثرثرة والجبان ضعيف، يموت مرات ومرات قبل الموت؛ فهو ميت متحرك، ومتقنّع دائماً بقناع الحيلة والرياء. وقد اعتاد على خلط الإمور على نفسه وعلى الآخرين.. يحب الانعزال، ويفضعل الانزواء، ويميل الى خلق حواجز بينه وبين الآخرين، لأنه غير قادر على العيش معهم.

ان التظاهر بالفضيلة، والازدواجية بين الفكر والعمل، وحتى الانتحار، وبعبارةاخرى كل انواع انعدام الجرأة التي يتّصف بها البعض في ان يكونوا صادقين او احياء ما هي الا افرازات لصفة الجبن.

فضرر الجبناء على المجتمع هو أنهم يحرفون نظام المجتمع عن مسيرته الطبيعية؛ لأنّهم في هلع من كل انسان وكل شيء... يتسابقون على طريق الظلم والعدوان. وقد يسبب الجبن لكنةً في اللسان لانّ الجبان يخاف عندما

يريد ان يتحدث ويصاب بالهلع، وهذا التلكؤ يبقى لديه الى الأبد.

□ انواع الجرأة:

يمكن تقسم الجرأة من الناحية الكيفية والظاهرية الى قسمين: الجرأة المادية او البدنية، والجرأة الروحية. وانطلاقاً مما طُرح في علم النفس، فإن هذين القسمين لا ينفصلان. فاذا كان الإنسان شجاعاً من الناحية الجسمية فهو شجاع ـ الى حدٍ ما ـ من الناحية النفسية.اما اذا كان شجاعاً من الناحية النفسية ايضاً فذلك خير وافضل.

□ ضرورة تربية صفة الجرأة:

قبل الدخول في البحث يجب ان نرى هل من الضروري تربية الناس على الجرأة في عصرنا هذا أم لا؟ وهل من الصواب تربية الأطفال على الجرأة في ظل الظروف الراهنة والإمكانات المتاحة؟ ان الجواب على هذا التساؤل سلبيٌّ من منظار البعض لأنهم يعتقدون أن هذا الأمر يهيء الأرضية لشقاء وحرمان البشر. ويسود هذا النحو من التفكير بين اتباع المذاهب الماديّة، وذلك لأن مسألة الحياة الأخرى غير مطروحة لديهم. فكل ما يفقدونه يعني عندهم خسارة خرجت من جيوبهم؛ وشعارهم هو ان استغلال مواهب الحياة المتوفّرة يتطلب أكل الخبز بثمنه اليوم.

اما الالهيون فيقولون بأنه لا يمكن النيل من الحقيقة لدرء الأذىٰ عن أنفسنا. فان اظهار الجرأة وان كان يسبب الضرر في بعض الموارد، ولكن من مصلحة الإنسانية القبول بهذا الضرر، لأن الحياة بجمالها وزبرجها لا

تقارن بعار الجبن. ومن ناحية اخرى فان الحاجز الوحيد الذي يقف امام الشر والفساد والإستبداد ويقاومها هو الجرأة والشجاعة.

فليس من الضرورة ان يكون كل شخص في هذه الدنيا بطلاً وقوياً، ولكن من الضرورة بمكان ان يكون كل شخص شجاعاً وجريئاً.

□ ضرورة تربية صفة الجرأة على المستوى الفردي:

الجرأة ضرورة للإنسان في كل مجالات الحياة. فالطفل الذي يريد أن يكون أميناً وصادقاً ومخلصاً في الحياة لا بد أن يكون جريئاً. والطفل الذي يريد ان يظهر على حقيقته ويبتعد عن الرياء والكذب والمراوغة والخداع والمكر فهو بأمسّ الحاجة الى الجرأة.وأخيراً، فالطفل الذي يريد ان يصون شرفه وكرامته، وان يدافع عن نفسه يجب ان يكون جريئاً. فلا علاقة لتقدم وارتقاء الأمم وافراد المجتمع بتكامل أجسامهم وطولها، بل بما لديهم من جرأة أخلاقية؛ لأن اغلب حالات الشقاء والإخفاق، والأخطاء والفساد المنتشر في المجتمع ناتجة عن ضعف الروح وهوان ارادة الأمّة.

فكثيراً ما نرى في هذه الدنيا اشخاصاً لديهم مشاريع وأهداف عملاقة اضافة الى الخطط الدقيقة، الا انهم لا يمتلكون الجرأة في تطبيقها.

وعلى اية حال؛ فان الجرأة والصلاح من أهم عوامل استقلال الإنسان. ان الذين يريدون ان يكون وقتهم وما لهم ملكاً لهم ولا يكونون ظلاً للآخرين ينبغي ان يكونوا جريئين يفكرون بأنفسهم ويطبقون ما يرونه مناسباً. فالجبان مستسلم امام الميول والأهواء ولا يستطيع الصمود امام الأحداث الطارئة، بل سرعان ماينهار في مواجهة الأفكار المباغته. فقد ينتقم من نفسه

او ينتحر. وخلاصة الأمر، فالجبان مخلوق لا قيمة له، فهو يبيح للآخرين حرية التصرف به كما يشاءون عندما يواجهه ادنىٰ شكل من أشكال الضغوط.

□ ومن الناحية الإجتماعية:

تدلل التجارب بأنه كلما ازداد الاقدام والجرأة في المجتمع، كان المجتمع اكثر حيوية ونبوغاً، واكثر تطوّراً فالمجتمع بحاجة للجرأة كي يستطيع الصمود امام المؤثرات السلبية، ويحول دون انتشار الشرور والمفاسد. فندرة الأخلاق السامية والفضائل والمكارم في المجتمعات، وتسلط الاذلاء والمفسدين وقصيري النظر على الآخرين يعود سببه الى فقدان الجرأة. فما لم تكن الجرأة موجودة لا تتضح الحقوق والواجبات، ولا يندفع الناس نحو الرقي والسمو فاصحاب الجرأة يسرون كسريان الدم والروح في مجتمعاتهم ، وهم اساس كرامة الشعب. فالمسلمون يتأسّون بالإمام علي (عليه السلام) والحسن والحسين (عليهم السلام)، وباقي المجتمعات تتاسّىٰ بأبطالها ايضاً.

وباختصار، حينما تتبلور اخلاق المجتمع على اساس الجبن والخوف، تتغلب السيّئات علىٰ الحسنات ويتفشّى الهوان.

□ في نظر الدين:

لم تتقدم الأهداف النبيلة فيب العالم، ولم تترسخ الّا بعد اصطدامها بالعقبات ثم مواجهتها بالثبات والصمود. فقانون الدين يفرض ان يصمد

الأفراد في سبيل الدفاع عن عقائدهم التي آمنوا بها بالرغم من انهم قد يدفعون ارواحهم ثمناً لذلك، وهذا هو تكليفهم ومسؤوليتهم.

ان الظلم جريمة والخضوع للظلم جريمة مضاعفة. يقول القرآن الكريم **﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الّا من ظُلِم﴾**.[1]

يجب ان تكون للمظلوم جرأة، فيصرخ وينادي مجاهراً بالحق في كل مكان وامام كل ظالم. يقول النبي الأكرم(ص): «أفضل الجهاد عند الله كلمة حق امام سلطان جائر».

فهؤلاء الذين يعجزون عن بيان الحقيقة هم ـ في الواقع ـ منحرفون عن الحق، بينما الحقيقة لم يصدر منها أية اساءة ضدنا.

وفي نظر العلم:

ان انتشار العلوم والمعارف، والتعرف على اسرار السماوات والأرض حدث في ظل جهاد وتضحيات واستقامة وشجاعة الرجال العظماء الذين كانوا اكبر من زمانهم وعصرهم. فلقد كان هؤلاء يكافحون العقبات والمشاكل الاجتماعية التي كانت تعترض طريق انتشار واتساع المعارف،وكان هذا ضرورياً لانتشار العلوم. والعلوم بأمس الحاجة الى شجاعة العلماء الذين يجتهدون في سبيل تحقيق اهدافهم.

(١) النساء: ١٤٨.

□ هل يمكن تربية الجرأة لدىٰ الأطفال؟

ان الجواب على هذا التساؤل ايجابي لحسن الحظ؛ لأنّ الجرأة امر فطري والدليل على فطريته هو: ان الأطفال جريئون الا ان الجبن يستحوذ عليهم فيما بعد في ظل تربيتنا لهم. اننا نميل ـ ذاتياً ـ الى الجرأة والشجاعة، ويغمرنا السرور عندما نسمع بأن البعض قد دافع عن نفسه حتى اللحظة الأخيرة. ووقف أمام العدو وقال كلمة الحق. فعندما نسمع ان حجر بن عدي واجه السيف والقبر الضيق ولم يستسلم نبارك له في قلوبنا؛ وبالعكس نتألم عندمانسمع ان شخصاً آخر قد استسلم وخضع للذل ليعيش يومين آخرين في هذه الدنيا، ونوبّخه على ذلك.

فالذي يدفعنا للتشجيع هو السباحة ضد التيار، وإلّا فبإمكان كل ميت السباحة منحدراً مع تيار الماء.

وبإمكاننا ان نعتبر الجرأة فطريةمن وجهة نظر الدين؛ لأن الله تعالى لطيف لا يُرىٰ ولكننا نرىٰ مظاهره.

□ من أين تنشأ الجرأة؟

للعثور على الجذور التي منها تنبعث الجرأة، لا بد من تقصّيالعوامل التالية:

١ ـ الفطرة:

كما اشرنا سابقاً فان الإنسان يولد وفيه نفحة من الباري المقتدر في جانب

الصدق والحقيقة المطلقة، الا أن الوالدين والمجتمع هما اللذان يطفئان هذه الجذوة فيه ويجعلان منه انساناً جباناً وخوّاراً.

٢ ـ الوراثة:

والمقصود هي المواصفات التي تنتقل من الوالدين الى الأطفال؛ ومنها الشجاعة والاقدام. وقصة الإمام علي(ع) مع ابنه محمّد بن الحنفية لما سلّمه القيادة والراية يوم الجمل ـ وكان يتقدم ببطء وحذر ـ فقال له الإمام «ويحك لقد لحقك عرق من أمك» ـ توضح هذا الأمر. وقد ذكر الإمام الحسين ـ ع ـ يوم عاشوراء ما ورثه عن امه وابيه باعتباره مدعاة لرفض الذل.

٣ ـ المزايا الجسمية والبدنية:

ان الجرأة ترتبط بالمواصفات الجسمية من ناحية. فقلّة او زيادة افرازات الغدد الداخلية لها تأثيرها في هذا الأمر.

والمسألة الأخرىٰ هي الجسم؛ فالجسم القوي والسليم ـ بحد ذاته ـ يحفز على الأقدام ويلعب دوراً ايجابياً في تكوين الشجاعة عند الشخص.

٤ ـ البيئة:

وهي من العوامل المهمة في بناء الجرأة. ومقصودنا من البيئة كلا البيئتين العائلية والاجتماعية.

أ ـ العائلة: وهي أوّل مكان لتربية الأخلاق ـ حسنها وسيئها ـ والكثير من المفاسد والأمراض الأخلاقية تنشأ من هناك. ويتعلق بها نشوء القسم الأعظم من المخاوف والوساوس.

أن تأثير العائلة يتجاوز كون الطفل يقضي معظم أوقاته في رفقتها.

فالعائلة التي تسودها روح التمسك بالواجبات والشجاعة تخرّج ابناءً شجعان؛ ويصدق هذا الأمر عندما تتحلى الأم بالإقدام. فالأم البارعة تعادل مئةمعلم واستاذ. ان الأم هي اصل البناء الفكري واساسه، لأنها تمسك بزمام الأمور في العائلة وتستقطب اليها قلوب الأطفال وتجذبهم نحوها وتبعث فيهم الحياة.

لهذا يجب ان يكون اسلوب التربية بنحو يربّي في الإنسان روح الإعتماد على النفس وقوة الإرادة والتصميم والمثابرة.

ب ـ **البيئة الإجتماعية**: والمقصود منها المدرسة والمجتمع والاقران والكبار، حيث ستتم الإشارة الى جوانب تأثيرهم.

أسباب الجبن:

بالرغم من اننا رأينا ان الأشخاص يولدون شجعاناً على الفطرة، الا اننا نرىٰ ان العديد من الأطفال يعانون من الجبن، وكأنّهم قدوُلدوا جبناء خوّافين. لقد أشرنا آنفا في بعض الموارد الى اسباب هذا الأمر، ونتعرض الآن الى ما يخص ذلك بمزيد من البحث والتفصيل:

يلخص علماء النفس المنشأ العام لفقدان الجرأة في عاملين،هما الخوف والإضطراب:

١ ـ **الخوف**: وهو المنشأ الأصلي الاساسي لإنعدام الجرأة. وفي الحقيقة فإن سائر الصفات هي رشحات منه، حيث يظهر ويتجسد بصور مختلفة ومتباينة.

ولكن مم يخاف الطفل؟

انه يخشى ان تنكشف اسراره الداخلية، وتتسلط الأضواء على عيوبه، فيُنبذ ويُطرد ويصبح تعيساً واهياً و... الخ. ولا يذهب الطفل إلى باحة الدار ليلاً لئلا تختطفه الأشباح.

والطفل الذي يغش في الإمتحان هو الآخر شخص خائف يخشى الحصول على نتيجة غير مرضية يُعاقب عليها أو يُضرب بالسوط، ويُحرم من حنان الوالدين. والصبي الذي يملأ ورقة امتحانه بالأخضر واليابس هو طفل لا جرأة له ويخشى أن يفشل فيتعرض للإذلال.

واخيراً: فان الشاب الذي يتوسل بالخداع في الحصول على زوجة المستقبل ويخفي سلوكه وتصرفاته وحقيقة وضعه خلف قناع من الزيف والنفاق هو شخص خائف يخشى أن لا يبلغ مراده في الزوجة المثالية، أو يسمع جواباً سلبياً. فهو يدقق في تجارب الآخرين، ويجبر نفسه على ان يقول ويكتب ويتصرف خلافاً للحقيقة.

وعلى أية حال، فانَّ الخوف سبب لكثير من المفاسد، فهو كالهالة يغمر المرء ويعيقه عن القيام بواجبه الحقيقي: لذلك يُعدُّ ارعاب الطفل الى الحد الذي يدفعه نحو الإحتيال والخداع خطيئة تربوية كبيرة.

٢ ـ **الإضطراب:** وهو كالخوف عامل مهم في القضاء على الجرأة. والفرق بين الخوف والإضطراب هو ان الخوف ناتج عن عامل خارجي، كالخوف من العصا والسوط وضرب الوالدين وغير ذلك. اما الإضطراب فناتج عن عامل داخلي كالذعر الذي يتمخض عن التخيلات، والإرتباك الذي يصيب القلب؛ وغالباً ما يكون مجهول الجذور.

وعلى اية حال، اذا ما ترسخت التخيلات في جانبها السلبي في نفس الإنسان، قادته نحو الذل والهوان.

□ بحث شمولي حول اسباب الجبن:

لقد ذكرنا انّ المنشأ الأساسي للجبن يكمن في الخوف والإضطراب. ولكي تتضح حدود البحث اكثر ويتم تشخيص العوامل الجزئية التي تمهد للعوامل الكلية، نشير الى المسائل التالية، ونستهل البحث بالمسائل الذاتية:

١ ـ **الأنانية**: ان الأنانية تجعل الهدف من الحياة يتمثل في الحفاظ عليها، وبالطبع فإن كل عامل يعرض الحياة الى الخطر يثير الذعر في النفس، وعلى العكس، فان العوامل التي تؤمّن بلوغ الهدف تخطى بالإهتمام سواء كانت جرأة وإقداماً ام تملّقاً وجبناً.

فالأنانية لا تدعنا نتحمل المشاقّ او نستعد للتضحية والفداء الا ان يتغلب عامل العقيدة والإيمان القوي او تحرف الأنانية عن مسارها وتتخذ لنفسها طابع الأبدية والخلود، فتحفز المرء للتغاضي عن الحياة الدنيا الزائلة ويختار الحياة الأبدية الخالدة والآن يمكننا القول ان الطفل الذي يفتقد للأجواء الآنفة اذا ما ابدىٰ جرأة لمرة واحدة وصُفع نتيجة لذلك او هُدرت كرامته فلن يكون له اي محفز على انتهاج نفس ذلك السبيل او تكرار ما بدر منه.

٢ ـ **الإستعطاف**: ان الكثير من الأطفال وتبعاً للأسلوب الخاص للوالدين يعتبرون اقبال الآخرين عليهم وإدبارهم عنهم سببا في قوة شخصيتهم أو ضعفها، ولكن من هم الأشخاص الذين يحظون اكثر بمحبة ورعاية

الآخرين؟ انهم الضعفاء والعاجزون والمرضى وقليلو الكلام، والمتظاهرون بالعجز، و.. الخ. فهم يُظهرون أنفسهم كمستحقين للرحمة ليكسبوا عواطف الآخرين ومحبتهم.

٣ ـ **المثالية الذاتية**: ان ابداء الآخرين لآرائهم حول الطفل يؤدي الى غلوه بنفسه، فيصنع من نفسه بطلاً وهمياً. ولأجل ان لا يتحطم هذا البطل الصنم يسعى ـ بما اوتي من قوة ـ للحفاظ على مكانته خلف الكواليس، ولا يبدي للآخرين ضعفه وما فيه من وهن. ولهذا ينطوي على نفسه ويميل الى العزلة، وقليلاً ما يظهر بين الناس، و... الخ.

٤ ـ **الشعور بالنقص**: ان انزعاج الطفل من تركيبة جسمه وتخلّفه في الدرس ومن محدودية عقله وذكائه، ومن أفكاره ونواقصه، يثير فيه النفور من ذاته، ويوجد فيه هواجس الشعور بالنقص فلا يظهر بين الملأ العام لئلا ينكشف نقصه، ولا يكلم كي لا يبدو ضعفه. فهو يتهرب دائماً من المشاركة في المحافل العامة خجلاً، ولا قدرة له على الظهور امام الناس.

٥ ـ **المحافظة على الحرية**: ان الطفل شغوف بالحرية، ويخشى انه اذا تجرأ على شيء تعرضت حريته للخطر؛ لذلك يجد نفسه مكرهاً على التصرف خلاف ذلك، فيفتقد شهامته لذلك.

٦ ـ **القلق والإضطراب**: قد يُصاب الطفل بالإرتباك نتيجة للقلق والإضطراب. ولكن لا بد من السؤال عما يخافه؟ انه يخشى ان يفقد أصدقاءه اذا ما انكشفت لديهم حقيقته، ولا يحظى بحب احد، او يخشى التدخل في اعماله الخاصة حينما يشعر انه متّهم بالتقصير، و... الخ.

□ العوامل الخارجية والإجتماعية لفقدان الجرأة:

١ ـ **رهط الاقران**: فهم يستطيعون ببساطة ـ وتبعاً للتربية الخاطئة ـ اسئصال الشجاعة من نفوسنا والتأثير علينا بايحاءاتهم المشؤومة. فالمتقلّبون والمراؤن والمخادعون يسلبون الجرأة من الإنسان ويدفعونه الى العمل خلافاً لما يعتقد.

٢ ـ **الأسرة المفككة**: لماذا لا يمتلك الطفل الشجاعة؟ لأنه غير مسموح له بأن يكون جريئاً. فلو صدق صُفع على وجهه، وعوقب وأهين، وعلى العكس فلو كذب وتصرّف بفزع، أمِن العقوبة وصان كرامته.

٣ ـ **فساد المجتمع وانحرافه**: ان احتياجات الإنسان في المجتمع لا تُنال دوماً بالصدق والصراحة، فيجبر الطفل على التشبث ببعض الأساليب ويفرّط بجرأته. بناءً على ذلك، فالعيب هو في المجتمع الذي يخلق الإنسان المرائي ذا العقلية المحدودة. فعندما يكون المجتمع فاسداً وضيق النظرة، وحينما تكون البيئة ملوّثة ومضطربة يغسل المرء يده من كل ما هو ايجابي وبنّاء ويتهرب من الحقائق. وبالطبع فان هذا الوضع يصدق على ضعفاء النفوس وذوي الإرادة الواهية.

٤ ـ **الأحداث والوقائع المرّة**: لا تموت ذكريات الماضي المؤثرة ولا تدع عقولنا واذهاننا تخلو منها، فهي شاخصة امام اعيننا على الدوام، ولا تضعف قوتها. فنحن واهمون حين نظن ان الطفل قد نسي الحادثة التي تعرض لها وزالت ذكراها من مخيلته؛ في حين نغفل ان هذه المسائل تحيا

وتخلد في عقل الطفل على الدوام، فهي مترسخة في أعماق روحه وعقله، ولا تزول الاخفاقات والإنكسارات من ذاكرته أبداً. وهذا كافٍ لجعله يتصرف بحذر وبعد طول أناة.

٥ ـ **الأسباب الأخرىٰ:** ويمكن في هذا المجال تحديدها بفقدان المحبة الصادقة، وبالغلظة والتشدد، والتدخل في أمور الطفل والإهانات والإجحاف والظلم والتجاوز.

□دور الوالدين في خلق حالة التردد لدىٰ الطفل:

يأتي الطفل الى الدنيا وليس لديه فكرة عن الجبن والخوف سوى في حالتين او ثلاث حالات يتفق عليها علماء النفس. فهو لا يعرف سبيل الخيانة الا انه يتعلمه منّا، ولا يعرف الجبن الا اننا نفرضه عليه. فكل مولود يولد على الفطرة ولكن ابويه يهوّدانه أوينصّرانه أو يمجّسانه. ويمكننا ذكرالكثير من الأمثلة عن دور الوالدين في تردد الأطفال، كسببٍ او اسباب لذلك:

١ ـ **عقاب الوالدين الصارم:**

لا شك ان الطفل يرتكب الكثير من الأخطاء، ولا مناص من معاقبته من خلال معرفة القواعد والمقدمات. ولكن يجب ان تكون العقوبة عادلة ومصحوبة بالمحبة والعطف.

فالعقوبات الصارمة هي بمثابة الدوافع الخطيرة التي لا ينتج عنها سوىٰ تحطيم شخصية الطفل وتخلق منه انساناً متردداً. فاذا شاء الوالدان التصرف بظلم واجحاف فعليهم ان ينتظروا العواقب الوخيمة لذلك في نفس الطفل.

فمن الأسباب المهمة لتردد الطفل هي العقوبة الصارمة التي يتلقّاها. فمثلاً لم يكن للطفل متسع من الوقت لإنجاز واجباته، أو كان غافلاً ونسي، لكن الوالدين يعاقبانه بلا روية أو تمحيص.

٢ ـ الإنتقاد والتوبيخ الشديد:

ان توجيه الإنتقاد واللوم امر حسن،بشرط ان لا يكون أمام الآخرين، وان يجري بلطف، وتكون غايته الإصلاح، بعيداً عن تحطيم كبريائه. ان الكثير من الإحباطات الأخلاقية والمفاسد والتخاذل ناجمة عن الطعن واللوم الشديد.

فبسبب عدم معرفة الطفل بأعراف وقواعد الضيافة يتجه نحو الطعام الذي يحبه، والموجود على المائدة، فيمدّ يده اليه؛ الا أن الوالدين يمسكان بيده ويعيبان عليه عمله امام الحاضرين، ويكاشفانه بعيوبه جهارا، فيقضون بذلك على كل دوافع الجرأة لديه.

٣ ـ زجر الطفل:

قد يصاب الطفل بالتردد خشية تعرضه للطرد وللزجر ووصمه بالحماقة والميوعة اذا ما طرح الحقيقة. فطرد الطفل لا يؤدي به الى الغضب فحسب، بل يقضي على جرأته. لهذا فإن طرد الطفل وزجره دون تريث ودون الإهتمام بعواقب الأمر يعتبر من أعظم الأخطاء التربوية.

٤ ـ غرورالوالدين:

ما أكثر الوالدين الذين يرون ان عقولهم كاملة وجامعة وبعيدة عن كل اشكال الخطأ؛ لذلك فان مستوىٰ طموحاتهم فوق مستوىٰ الطفل وفي

مستواهم هم. فلو ارتكب الطفل خطأً بسيطاً ـ قد يرتكبانه هما أيضاً ـ عرّضاه الى التجريح والإهانة، فيمكن ان يمّهد هذا الأمر الأرضية لتنامي الخوف، ويخلق نوعاً من الحياء السلبي الابله لدىٰ الطفل على اقل الإحتمالات.

٥ ـ سوء تربية الوالدين:

ان الوالدين المبتليّين بالخوف يخلقان اطفالاً مرعوبين، فالأب والأم اللذان يفقدان صوابهما في مواجهة ادنى حادثة، والوالدان اللذان يتشبثان بمئات الأنواع من اساليب المكر والخداع والرياء من اجل صيانة ظاهرهم، واخيرا:فالأبوان اللذان يتغافلان عن الحقائق، سوفلا يكون لديهما القدرة على تربية طفل شجاع. فهذه من الأساليب غير الصحيحة لتربية الأطفال.

٦ ـ ايجاد الذعر والإضطراب في قلب الطفل:

قد يتردد الطفل خشيةَ أنْ يحدث نوع من الاثارة بينه وبين والديه، ولا شك أنَّ هذا الطفل سَيُدان دائماً على اثر مثل هذه المواجهة، وبعد انجرارالأمر الى النقاش والمجادلة. ومن المحال ان يشغل الطفل الذكي، والذي يفكر بالعاقبة، نفسَهُ في مثل هذا الجدال، الا أنّه يضطرب بسبب هذه الصدمات لأنّه يرىٰ أنَّ مستقبلهُ وحاضره في خطرٍ، وان استمرار هذا الاضطراب يؤدي تدريجياً الى تبلور روح التردد لدى الطفل.

□ في أي الأشخاص يتضاعف التردد؟

تبرهن البحوث والدراسات أنَّ التردد يتزايد في العائلة المتحللة والمفككة، وفي العائلة التي يكون زمامها ضعيفاً. فالأطفال الذين يتدنىٰ مستوىٰ ادراكهم وفهمهم لوالديهم، ولا يؤمنون بهدف نبيل في الحياة هم

بلا شك اقلُ شجاعةً وأدنىٰ جرأة من غيرهم.

ويتضاعف التردد بين الذين يعيشون في بيئة مليئة بالمكر والرياء والخداع، فقليلاً ما يتجرأ الأشخاص الذي سبق لهم وان تعرضوا للطعن او الاساءة او الاهانة بسبب ضعف الإرادة والثقة بالنفس .

وتتضاءل الجرأة لدى المتكبّرين، وطلّاب الجاه، والحُسّاد وذوي النواقص. وعلى العكس، فقد أثبتت مختبرات (ماي وهارتشوف) في أمريكا أنَّ الأطفال الذين يتحلّون بالجرأةِ هم الذين يعتمدون على أنفسهم، وترسخ إرادتهم وثباتُهم، وتكون ضمائرُهم حية، وتتضاءل الجرأةُ لدىٰ الذين يسعون الى الغلبة وتكون لهم اليد الطولىٰ فيها، وطلاب السمعة واولئك الذين يشعرون بالنقص وفاقدي الحنان.

وربّما يفتقد الطفل ما لديه من جرأة بعدمجيء الطفل الثاني للعائلة إذ يستحوذ حينها على بعض محبة الوالدين، ففي مثل هذه الحالة يكون تصرف الطفل كانسياب الماء من تحت التبن، فهو يستغفل خصمه ويلدغه، ويتشبث بالمكر والخداع، وعندما يُفلحُ في هذا السبيل قد يُلامُ وتُهدر كرامته ويُفرِّطُ بشجاعته.

▫ الأهداف المتوخّاة من تنمية روح الشجاعة:

ان المسألة المهمّة في هذا البحث هي نوعية الإنسان المطلوب تنمية روح الشجاعة فيه، ومن هو الطفل المتربي والشجاع؟ وأيّة غاية يجب على المربي أن يسعىٰ لها في هذا المجال؟ والجواب هو:

إن الهدف من تربية الجرأة هو ارجاع الطفل الى اساسه الفطري أو بعبارةٍ

أخرىٰ إحياء فطرته.

- فنجعل منه طفلاً ذا قابلية وصبوراً.

- ونربي اشخاصاً صادقين لا يقفزون من فوق الحقيقة.

- ولا يخفون عجزهم وضعفهم باستمرار.

يتّصفون بالثبات في سبيل الحق والصدق وتجنيد أنفسهم إذا ما اقتضت الحالة لتحقيق هذه الاغراض.

- والغايةُ أنْ نربّي أفراداً إذا لم يعلموا شيئاً يقولون لا نعلم.

- لا يُسَرُّ اذا امتُدِحَ بما ليس فيه، بل يرفض ذلك.

- لا يحتال علىٰ الآخرين اذا ارتكب خطأً ولا يسعىٰ لإنقاذ نفسه بالحيلة واتّهام الآخرين.

- صريح بإعلان حبّه أو عدم حبّه للشيء.

- لا يغضب عند توجيه النقد اليه.

- لا يعتبرنفسه معصوماً ومأموناً من الزلل إذا لم يوجَّه النقد اليه.

- لا يهزّ رأسه إذا لم يفهم شيئاً ولا يجيب بأجل أجل...

□ موضوع تربيتنا:

إنّ الطفل الناجح، هو الذي يستوعب التربية في سنواتها:

١ ـ من ناحية العمر:

فهو يطوي مراحل ما قبل البلوغ، اي اهم مراحل العمر من ناحية استيعاب التربية؛ وكما يقول العلماء فإنّ المرء مهما عمَّر فإنّ السنوات العشرين الاولى من عمره تضاهي اكثرمن نصف عمره اعتباراً، فلا شك بأنّ

كلَّ شيء يستوعبه في هذه الحقبة يحظىٰ بأهميةٍ خاصةٍ.

والجدير بالذكر ايضاً أنَّ سنين الطفولة الأولىٰ تلعبُ دوراً حساساً في هذه الحقبة.

وباعتقاد «كولي» فإنَّ دروس مرحلة الطفولة كالحروف والكلمات التي تحفر على جذع الشجرة، وقد عبر عن هذه التعاليم في الاسلام بعبارة «كالنقش على الحجر» حيث يستحيل محوها.

٢ ـ من ناحية الجنس:

ويطرح الإهتمام بالجنسين الذكور والاناث: فقليلاً ما يهتم بتربية الشجاعة لدىٰ الاناث في المناهج التربوية ظناً بأنّ البنت لا حاجة لها الى الجرأة والإقدام بينما هنَّ بحاجة اليها اكثر من الأولاد،وتتضاعف الحاجة اليها نتيجة التربية في هذا المجال لأنَّ الامّ الجريئة هي التي تربي ولداً شجاعاً.

ومن ناحية أخرىٰ فإنّ الجرأة يجب أن تتضاعف لدىٰ البنات اكثر لأنّها أفضلُ وسيلةٍ للمحافظة على تقواهنَّ وشرفهنَّ، فالجانب الأعظم من الرذائل والمفاسد التي تظهر لدىٰ البنات ناجم عن قلّة الشجاعة وضعف الشخصية.

ومن جانب ثالث يجب أن تتحلى النساء بالجرأة كي يفلحن في الإمساك بزمام قلوب الرجال، فالبيت كالبلد الذي تحكمه امرأة وكل من فيه تابع والمرأة هي المتبوع، فلا بد أن تتوفر لديها قدرة القيادة ومن ضمنها الجرأة.

ولا حاجة للقلق بشأن استعدادها للتربية، لأن التجارب أثبتت قدرة المرأة على تحمل المصاعب والشدائد كالرجل تقريباً، فالبرغم من سرعة انكسار

المرأة وعجزها في تحمل الرزايا، ولكن اذا امتزجت جرأتها مع الرأفة والحنان كانت مصداقاً لقوله تعالى: «لتسكنو اليها...».

٣ـ من المنظار العام:

من الواجب أن يشمل هذا النظام نطاقاً أوسع ليمتدّ الى مستوىٰ البلد وحتى الكبار الطاعنين في السن، فلاشك أنَّ في مجتمعنا اشخاصاً يفتقدون للجرأة بالقدر الذي لا يمتلك بعضهم القدرة على سماع قول الحق، فيضع اصابعه في اذنيه كي لا يسمع الحق، ويدفن رأسه تحت الجليد كي لا يرىٰ الحق والحقيقة، وأخيراً يعمّ العار والإبتذال في العالم بسبب ذلك.

□ الى أي حد نُربّي الجرأة؟

ليس من الضروري ان يكون الهدف من تربية الرجال الشجعان هو الانتصار في ساحة الحرب، او عرض العضلات على البلد المجاور. قد تكون الغاية من تربيتهم على الجرأة هي صيانة أنفسهم في المجتمع وتجنبهم ما قد يلحق بهم من اضرار.

ومن جانب آخر فإنّنا نربيهم كي يقدِموا برجولةٍ على اختيار السبيل المخالف لأهوائهم النفسية في البيت بل حتى في حالات العزلة والوحدة، وحينما يكونون على مفترق طرقٍ في الحياة، يختارون الطريق الأقرب الى العزة والإنسانية، أجل... فنحن نربيهم شجعاناً للحياة الدنيا، ونحن نعلم أنَّ أداء الواجب المستند الى رضا الله تعالى يتطلب وجودالشجاعة والمعرفة.

□ أي نوع من الجرأة تُربّي؟

قد تكون الجرأة والتعقل من أجل نيل المكانة، والفخر، أي أنّ الافراد يُبرزون شجاعتهم سعياً وراء الجاه والمنصب، ونيل الدرجات، ليحوزوا على المواقف الحساسة ويحصلوا على القاب البطولة.

فمثل هؤلاء الأفراد عبيدُ الذات، وهم أنانيون وحدُّ شجاعتهم هو أنْ يحافظوا على انفسهم واهوائهم؛ بينما نربّي الجرأة لدىٰ الأفراد كي تستثمر في سبيل الأهداف الإلهية وتكون غايتهم نيل رضا الله تعالى.

وما تهتم به التربية هو النوع الثاني من الجرأة، بمصادقة يرتضيها العقل ويؤيدها الضمير كما أنَّ مبادىء ديننا تؤيد هذا الجانب.

□ حدود الجرأة:

لا بدّ من التفريق بين الجرأة والتهوّر، فقد يُطلقُ المرء لنفسه العنان من أجل تنفيذ خطة او فكرة غير آبهٍ بما يترتّب عليها من نتائج، فمثل هذه الجرأة لا يقرّها العقل والشرع، بل المطلوب هو تلك الجرأة التي تستند الى العقل والتفكير وتقوم على اسس حكيمة.

واؤكّدُ على أن ما يعتبر ضرورياً في الجرأة هو المعرفة الصحيحة والتنفيذ المناسب، فلو قُدّرَ الموقف والتزم بالتعقّل فلا يبالي وإن اجتمع أهل الأرض ضدّه، وهذا ما علّمهُ الحسين(ع) للناس بعمله يوم عاشوراء وقال:

تركتُ الخلق طراً في هواكا ❊❊❊ وأيتمت العيال لكي اراكا

إنّ التقييم الصحيح للموقف في استثمار الشجاعة مهم جداً، وإلا فلا قيمة لعمل من تتلاعب به العواطف، فيجب أن يعلم ماذا يفعل وما هي الغاية المرجوة من وراء ذلك العمل وفي رأيي أنَّ الشيء الأهم من ضربة علي(ع) يوم الخندق هي شجاعته وقدرته في السيطرة على ذاته، فجرأة علي(ع) تكمن في عدم انتقامه من ذلك العدو البائس حين بصق بوجهه(ع) على الرغم من قدرته على الانتقام او يتجاسر ذلك الخصم الوقح عليه فلا يستغل شجاعته في سبيل تسكين غضبه.

□ سُبل ايجاد الشجاعة:

من أجل ايجادالشجاعة لدى الأفراد لابد من الإشارة الى طرق عديدة منها:

١ ـ تقديم الأُسوة:

لا تقولوا للطفل كن شجاعاً وجريئاً ابداً، فلو أردتم ان يكون ابنكم جريئاً فعلّموه عملياً واجعلوا من أنفسكم قدوات له؛ فالطفل يمتاز بروح التقليد، فحين يرى عملكم يقلّده. فللقدوة تأثير مهمّ في الطفل قويةً كانت ام ضعيفة، وبناءً على ذلك يجب ان تعمل الأُسوة بتأمل وترسم الحدود التي ينبغي التجرّك ضمنها، سيما وأنَّ الأطفال طماعون وطلاب جاه، ومن الممكن أن يؤدّي بهم ذلك الى الانزلاق في بعض المخاطر.

والوالدان هما افضل اسوةٍ وأسلم عامل لإيجاد اكمال المطلوب بالرغم من أن للمعلم والأقران والآخرين تأثيراً فيه، إلّا أنَّ دورالوالدين أهم، خصوصاً اذا كانت لهما اواصر طيبة معه، ويمكثان الى جانبه اكثر من

الآخرين. وكذلك اذا كان الوالدان على درجة عالية من التفاهم مع ابنائهم فإنّ نفوذهم وتأثيرهم يتضاعف في روح الطفل.

٢ ـ التعليم:

يُعتبر التعليم المباشر من السبل والأساليب المهمة في ايجاد الشجاعة ايضاً، إلا أن تأثيره ليس بمقدار دور الأُسوة ابداً، فقد تُغيّرُ نصيحة واحدة اووصية مسيرةً بأكملها، وكذلك يؤمّن الطفل من اللجوء الى الكذب.

٣ ـ انتقاد الجبن:

قد يكون من الضروري ان تنتقدالطفل اذا ما وقع في الخطأ، وابتُلي بالجبن، غاية ما في الأمر أن يكون النقد مناسباً، وهدفه الإصلاح. فمثلاً نقول: «لماذا خفت؟» «لا داعي للخوف» «يجب ان تكون جريئاً» «من مثلك من أولاد لا ينبغي أن يكون جباناً... الخ.

٤ ـ الايحاء

فهو ينفذ كثيراً الى نفس المرء سواءً عن طريقه أم عن طريق الآخرين ايضاً، وبالطبع يكون مؤثراً للغاية اذا كان بواسطة الكبار والذين يكنُّ لهم الإحترام سيما بالنسبة للذين هم في سن العاشرة فصاعداً.

ومن الأفضل ان تجري الإيحاءات صباحاً بعد النهوض من النوم وليلاً قبل النوم، والأفضل أن يكون الإيحاء ذاتياً وبصوتٍ قوي وواثق وحتىٰ امام المرأة... مثلاً كما يلي:

أنا شجاع، ويجب أن أكون جريئاً، وأنا صادق، سأكون صريحاً، انا لا أخاف.

٥ـ سرْد القصص:

إنَّ بيان أعمال الأبطال واسلوب وتقاليد السالفين وسيلةً جيدة لإيجاد الجرأة. ويجب أن تكون القصص هادفة وتشتمل على مواقف وتصرّفات مثالية كصفات البطولة، أو تتقصّى الجوانب العجيبة والمدهشة في الحياة.

تكمن في الأطفال روح المثالية وحب البطولة؛ ومن خلال سماعهم لقصص البطولة والحكايات المثالية للأسوة يطابقون انفسهم مع الأُسوة بصورة غير مباشرة، ويعملون جاهدين على التحلّي بنفس تلك السمات والسجايا المرغوبة.

□ العوامل التي تساعد المربي على خلق روح الشجاعة:

هل يفلح المربّون في تكوين الشجاعة لدى الأطفال أم لا؟ نذكر بأنَّ الجواب ايجابي لحسن الحظ وان هنالك عوامل تساعد المربين لبلوغ هذه الغاية لعدة اسباب منها ما يلي:

١ ـ **وجود الأرضية الفطرية:** ورد البحث حولها فيما سبق.

٢ ـ **روح التقليد والمحاكاة:** الموجودة لدى الإنسان بشكل غريزي.. لاحظوا جيداً مَنْ هم الذين يقلّدونهم أطفالكم في تصرفهم وأفعالهم؟ ستجدون أنهم يقلدون مَن يتصورون أنهم ذوو أهمية، ويتمتعون بشخصية جذابةً، سواء في الجانب الإيجابي أم السلبي.

او اسألوهم من يحبون؟ سترون أنّهم يذكرون أسوة البطولة. فيجب أن يستخلص المربي من هذا الأمر ويضع نصب عينيه القدوة النموذجية.

٣ـ جانب البحث عن الكمال:

فلكلّ إنسان ومضة من الكمال اللامتناهي في ذاته، والجرأة من الصفات الكمالية، ويتمنىٰ المرء أن يكسبها، بدليل نسبة الأطفال شجاعة الآخرين الى ذواتهم.

□ طرق ترسيخ الجرأة:

لا بد أن تذكر في هذا الصدد طرقاً عديدة لبلوغ هذا الهدف أهمها:

١ ـ بناء المعتقدات الإيمانية:

وأول خطوةً في هذا المجال هي ايجاد الإيمان والعقيدة؛ الإيمان بقدرته وضرورة إمتلاكه للجرأة المؤثرة. فالإيمان عمود ثابت يعصمنا من السقوط في هذا العالم المضطرب، وفقدان الإيمان يسبب المتاعب ويخطف منّا كلَّ شيء حتىٰ الجرأة والإقدام.

وكلّما ترسخ وتسامىٰ إيمان الإنسان وارتبط بالقدرة الأزلية تضاعفت عنده الجرأة؛ لأن الإنسان يريد أن يمتلك مأمناً روحياً وأن يريح نفسه في ظلّ ذلك الإستقرار.

فمن خلال الإيمان بالله تعالى والمعاد تتعاظم هذه القدرة لدى الإنسان وتهيءُ الأرضية للتكامل، أو الى خلق الضمانة التنفيذية المتينة. وحبّ المعبود والوصول اليه يمكن ان يكون معيناً على تحقيق الغايات بالنحو الذي يجعل الإنسان يستهين ببذل نفسه من أجل الوصول إليها، ولكن بشرط أن يقترن الإيمان بالإخلاص. وهذا ما يتحقق عندما يكون المدح

والذم سواء لديه. والإنسان يتحلىٰ بالجرأة والشجاعة بشكل غريزي وعفوي في فترة الطفولة، الا أنه لا يمتلك الإيمان، والمربي هو الذي يُنمي فيه هذه الخصلة بشكل متزامن مع نضوجه ونموّه.

٢ ـ بناء الثقة بالنفس:

وهو في الحقيقة،ناتج عن الإيمان، سواء كان إيماناً بالله تعالى ام بمسألة أخرىٰ. فالثقة تمنح الإنسان القدرة والإعتماد على النفس وتهب الروح جرأة واقتداراً.

٣ ـ الإعداد لتفسير وتحليل الأُمور:

فالتجارب الصحيحة المكتسبة من الحياة تستطيع أن تُدخل الجرأة في قلب المرء بحيث يقوم ببحث الأمور والمشاكل التي تواجهه، ويدرك ويفسر ويحلّل عواقب الأُمور، ويرىٰ العواقب التي قد يبتلي بها فيما اذا انتهج المنهج الفلاني، أو النتائج التي ستحصل لو سلك نهجاً اخراً.

فعلى سبيل المثال قد يخشى الإنسان احياناً، من البحث في مسألة أو أمر من الأمور التي يخشاها أو اسباب تلك الخشية وهذاما يفتح له الطريق أمام الجرأة والاقتدار.

٤ ـ اختيار الزميل والرفيق:

فالمرء يشعر بالقلق والاضراب، ويصاب بالخوف حينما يرىٰ نفسه وحيداً في مواجهة مشاكله، وهذه الحالة تترسخ لدىٰ الأطفال، والدليل على ذلك عندما تناط به مسؤولية القيام بعملٍ، فهو يبحث في كل مكان «لماذا اقوم بهذا العمل؟ ولا يقوم به الآخرون و...» فوجود المساعدين والأصحاب

ينقذه من هذه الوحدة. ومما لا شك فيه انه كلما كان المساعد والرفيق قوياً تضاعفت محفزاته، واحتمالات نجاحه، ولهذا يجب ان يوصف الباري تعالى كمعين ورفيق بالنسبة له.

وهذا ما يفرض على الأخوة والأخوات ان يكونوا بمثابة زملاء ورفاق للطفل، وإلّا فعلى الوالدين القيام بهذا الدور، وهذا يعني تعاظم مسؤولية الوالدين حينما يكون في البيت طفل واحد.

٥ ـ اعداد الأرضية للتدريب:

ومن الأمور المهمّة ايضاً في هذا المجال هو تحفيز الطفل على تجربة قدرته على المسؤولية وأن نعرّضه لبعض الاختبارات التي تعزز لديه روح الجرأة والشجاعة.

فيجب اعطاؤه تمارين بسيطة في البداية لينجزها بنفسه.

وقد اثبتت التجارب ان التدريب والممارسة لهما تأثير اكبر من تأثير النصح والوعظ والتعليم.

وبعبارة أخرى فان الظرف يقتضي ان يكف الوالدان عن الكلام ويكثرا من العمل فاعتراف الوالدين بأيٍّ خطأ قد يصدر عنهما يعتبر بذاته درساً عملياً في تنمية روح الشجاعة ومُحفزاً للطفل للاعتراف بخطئه، وذلك لأنّ الخطأ محتمل من الجميع وليس هناك انسان كامل وبعيد عن الخطأ.

٦ ـ استغلال العواطف والمشاعر:

فقد يكون خطاب حماسي واحد كافياً لإثارة روح الجرأة وتعزيز المعنويات. وسرد القصص له تاثير لا يستهان به في هذا المضمار. ولا بأس

هنا بالإشارة الى مواقف أصحاب الإمام الحسين(ع) وما أبدوه من شجاعة فائقة، حيث كان أحدهم يقول: «لو إني أُقتل وأُحيىٰ الف مرّة لما اخترت مفارقتك، أو التخلّي عنك..» ويمكن ذكر اقوال بعض العظماء كقول أحدهم: «الموت مئة مرّة خير للمرء من تدنيس ضميره وقلبه» . فأمثال هذه الأقوال لا تخلو من التاثير والفائدة:

□ العوامل التي تقضي على الجرأة:

ولا بد هنا من ذكر العوامل التي تقضي على الجرأة او تضعفها، ونشير في ما يلي الى بعضٍ منها كالآتي:

١ ـ العقوبات الصارمة التي مرَّ ذكرها آنفاً.

٢ ـ اللوم والاستهزاء والتوبيخ المستمر، كأن يقال للطفل مثلاً:«كم مرّة قلنا لك؟!! متى تريد ان تفهم؟!!كم أنت غبي؟!!.

٣ ـ العقوبة لأسباب تافهة: كأن يصفع الطفل في حالة عدم ادائه لواجبه المكلّف به، ومن دون الاستفسار عن السبب الذي أعاقه عن اداء ذلك الواجب. او انه حينما يصدق في تقديم عذره يتوهم المرّبي ان ذلك الجواب خطيئة أخرىٰ تستلزم العقوبة فيجود عليه بصفعة أخرىٰ لا مبرر لها. وهذه الصفعة الثانية هي التي تحدد موقف الطفل مستقبلاً في ان يكون صادقاً أم يكون من الكاذبين.

٤ ـ التخويف والحرمان من الرعاية: فعلىٰ سبيل المثال كنّا في السابق نوليه الرعاية والدعم اثناء خروجه في الظلام إلى باحة الدار، اما الآن فنمنع عنه مثل هذه المساندة بسبب الخطأ الذي ارتكبه.

٥ ـ إرهاقه بالواجبات والتكاليف الصعبة والتي تفوق طاقته.

٦ ـ فرض الآراء عليه بعيداً عن روح التفاهم.

٧ ـ التضايق من كلمات وتصرفات الطفل وعدم الاكتراث به امام الآخرين.

٨ ـ القنوط واليأس وهو عامل مدمّر وبلاء عظيم.

٩ ـ التشاؤم واساءة الظن وبالمسؤولين التربويين.

١٠ ـ التصوّرات والأفكار المغلوطة كالتصوّر بأنه لو حصل الموقف الفلاني فسيؤدي الى حدوث فضيحة.

□ مقتضيات السن في تنمية روح الجرأة

لكل مرحلة من مراحل السن مقتضياتها التي يجب اعتمادها كاساس لحالة الطفل؛ مثلاً:

١ ـ **في سن الرابعة:** يمتاز الطفل بالثقة بما لديه من قدرة وبحب الاستطلاع والمغامرة.

٢ ـ **في سن السادسة:** يتصف بالحساسية وحدّة المزاج وعدم المبالاة من القيام بأي عمل، وله ثقة زائفة بقدرته.

٣ ـ **في سن الثامنة:** يميل الى حب الشجار والإستقلال وروح المغامرة.

٤ ـ **في سن التاسعة:** يظهر لديه ميل الى التمرّد ورغبة في دخول كل مكان والاطّلاع على كل شيء.

٥ ـ **في سن العاشرة:** نلاحظ لديه نزوعاً الى التعاون مع قلّة المشاكل مع العالم الخارجي ومزيداً من السكينة والثبات.

٦ـ **في سن الثانية عشر:** يتّسم بكثير من الهدوء والاتّزان وتبرز لديه رغبات لتغيير المجتمع وحب الإصلاح.

□ تهيئة الأرضية المناسبة لتنمية الجرأة:

ان البحث في هذا الحقل واسع ومتشعب الا اننا نشير باختصار الى النقاط التالية فيه:

١ـ **الإستقرار النفسي:** هو أنجح الأدوات والمحفّزات التي تدفع الإنسان الى مواصلة النهج الذي يسير عليه لبلوغ هدفه، ويوجد في نفسه الثبات والإستقامة.

فيجب ان يطمئن الطفل الى عدم احتمال تعرّضه للحرمان او مصادرة حريته والتدخّل في اعماله الخاصّة. والتعاليم الدينية كافية لتربية الروح السامية القادرة على ايصالنا الى هذا الهدف.

٢ـ **القدرة على التحكم بالنفس:** فحين يكون المرء قادراً على التحكيم في نفسه وإرادته يصبح من السهل عليه استثمار ادنىٰ قدر من جرأته بشكل جيّد وفي الوقت المناسب اي بمعنىٰ انه قادرٌ على التحدّث بحنكة والدفاع عن نفسه بمهارة.

٣ـ **خلق الثقة بالنفس:** بنحوٍ يتيح له الإعتماد على نفسه وعمله بعيداً عن الإتكالية. فيكون واثقاً من نفسه ويراها قادرة على بلوغ الحق.

٤ـ **تقوية الجسم:** وهذا ايضاً من العوامل المؤثّرة؛ وقد تقدّم الحديث عنه في ما سبق، ورأينا ان ضعف الجسم وهزاله يلعب دوراً في جبن ذلك

الشخص.

٥ـ **احترام الطفل:** ولا سيما امام الآخرين، وملاعبته وملاطفته واشراكه في الأمور والسماح له بالحديث وطرح ما لديه من آراء واستدلالات.

٦ـ **تنمية عواطفه ومشاعره:** فعندما يُثار الإنسان تخطر على ذهنه افكارهامّة وهذا ما يُعتبر بمثابة الموهبة بالنسبة للعواطف المهذّبة، حيث تكون مثل هذه الافكار قابلة للتنفيذ في ساعة هدوء الغضب.

٧ـ **ترسيخ قوة العزم والإرادة:** فضعف الإرادة يوقع الإنسان في الأخطاء ويؤدّي به الى الفناء، على العكس من الإرادة القوية التي تصقل الجرأة لديه وتحفّزه على إبراز ما لديه من رجولة ومنطق. فكثير من الإشخاص يمتلكون القدرة على تحديد الأمر الخاطيء من الصحيح الا انهم يفتقدون الإرادة اللازمة لردئه وتلافيه.

٨ـ **تقديم الدعم والرعاية للطفل:** حيث يعد هذا مُحفّزاً لابراز قدرته.

٩ـ **التعليم على الصدق والأمانة:** وتجليل ذلك واحترام النتائج المترتبة عليه.

١٠ ـ العلم الذي يجلب الإقتدار بشرط أن تجتمع فيه بقية العوامل أيضاً.

□ ملاحظات في موضوع تنمية روح الجرأة لدىٰ الأطفال والمراهقين

١ ـ **الوعي**: هو الخطوة الأولى: الابراز اي نمط من انماط الجرأة؛ فتشخيص الخطأ من الصواب أمر حساس ومصيري ولا بد للإنسان من دليل وفلسفة للقيام بأي عمل، وعليه أن يُميز بين الخطأ والصواب.

فالصواب في نظر الطفل هو ما يحظى بقبول الوالدين، وبالعكس فانَّ الخطأ هو ما لا يرتضيه الوالدان، ثم انه يكتشف على مر السنين بأن الخطأ والصواب هو ما يثير سخط الله او يحظىٰ برضاه.

وعلى أية حال فالمقصود هو أن الجرأة حينما تتحقق عن علم ووعي فانها تضفي على صاحبها صفة الأبدية والخلود كما يقلل الجهل من قيمة الجرأة.

٢ ـ **مراعاة جانب الإعتدال**: فلو جاوزت الجرأة حدّها فانها تصبح مصدرخطر على الطفل. ولكن ما هو حدّها المتعارف؟ انها تتراوح ما بين اداء التكليف وتركه من الوجهة الشرعية، اما في الدول التي تحكمها القوانين الوضعية فالملاك هو العرف الإجتماعي.

٣ ـ يجب ان يؤخذ بنظر الإعتبار في تنمية روح الجرأة والشجاعة عوامل الضمير والشفقة والحنان وإلّا فانَّ أرضية الإنحراف مهيّأة، وأبرز مظاهر ذلك هي روح المغامرة والتخريب والتدمير التي نراها سائدة في مختلف المجتمعات.

□ دور الآخرين في ايجاد الجرأة

لا بد هنا من الحديث عن الأدوار التي يلعبها الآخرون؛ وهي ادوار متعددة ومتنوعة التأثير، نشير الى بعض منها كالآتي.

١ ـ الوالدين:

اتضح لنا ان دورهما اساسي وكبير فاذا كان الوالدان شجاعين،فمن البديهي ان يتربىٰ اطفالهم على الشجاعة والإقدام ايضاً، وكما اذا كانت شجاعة الوالدين حقيقة ومنبثقة عن الأعماق فانها تترك اثرها كالمعجزة.

فالمسألة المهمة التي تخص الوالدين هي ان تكون شجاعتهما قائمة على اساس الرؤية الصحيحة والرأفة ومراعاة الحقوق الإنسانية والأخلاقية لكي يكتسب الأطفال منهما تلك الخصائص.

ان استخدام الضغوط في تشجيع الأطفال، واستعمال الفاظ الأمر والأساليب الجافة يُعَدُّ نوعاً من الأخطاء التربوية. بل يتوجب على الوالدين انتهاج اسلوب الترغيب والتشجيع في طريق التربية والتمسك بالأعمال المحببة ومن ضمنها استحسان الايجابيات، وتقديم الهدايا له، واحترامه، ومشاورته، وعدم توعيده بالعقوبة في حالة ارتكابه لأي خطأ أو اشتباه، والابتعاد عن اسلوب التوبيخ الجارح، مع المحافظة على هدوء الأعصاب وعدم اللجوء الى البطش والقسوة في معاقبته، كما ويفترض ايضاً اعانته على انجاز واجباته على احسن وجه. وان يبعدوا عنه عوامل الإضطراب والرهبة.

٢ ـ الاقران:

بالرغم من الدور الذي تلعبه العائلة في تربية الأطفال، فلا مناص من الاعتراف بعجز العائلة وحدها عن القيام ببناء الأخلاق والمعنويات، فمرافقة الأصدقاء والزملاء لها تاثير بالغ في بناء هذه المقومات، لا سيما رهط الاقران الذين يصيغون اخلاقه في قالبهم الخاص، فالبناء الأخلاقي للإنسان يتكامل تدريجياً على اثر تقليد الآخرين. صحيح ان اصدقاء الطفل صغار السنّ الا ان تأثيرهم فيه بالغ للغاية.

٣ ـ المسنين وكبار السن:

ان معاشرة كبار السن تُوجد اجواء روحية فائقة لدىٰ الطفل، فمن المستبعد أن يزول الدرس الذي يأخذه الطفل عن الآخرين، وتأثيره باق على مدىٰ الحياة.

وبطبيعة الحال ان الاشخاص الكبار والمعروفين، يحظون باحترام اكثر في قلوب الناس دائماً؛ وكلما ازداد قبول وثناء المرء على شخص كان تأثيره اكبر والأخذ عنه اكثر.

□ مميزات الإنسان الجريء:

وفي الختام لا بد من الحديث باختصار عن بعض مميزات الإنسان

الجريء والتي تقوم على اساس ما يرتضيه الدين؛ كي يكون قادراً على تقسيم العمل والإتيان به. فالإنسان الجريء:

- ذو استقلال فكري وثقة بالنفس.
- ذو ارادة وعزم مدروس ومستقل.
- لا ينتابه الذعر من خطر زوال المقام والمنصب.
- مجتهد في اداء تكليفه ومتأهب لاستقبال الاعمال الشاقة.
- اذا رأى ان العالم جميعه يعارضه فهو يقاوم حينما يرىٰ ان هدفه صحيح.
- يرى الاحداث والحقائق بمنظار الحق.
- يسعىٰ وراء الحق ويمضي في سبيله غير مبال بما يعترضه من شدائد هذا الطريق.
- لا يدع اليأس والقنوط يتسرب الى نفسه في ميدان الصراع او التعاون.
- لا ينسىٰ هدفه حتى اثناء نوائب الحياة وعند الازمات.
- لا يفقد صوابه في المشكلات وفي الظروف القاسية.
- يعين العاجزين وينصر الضعفاء.
- لا يفرح لتمجيد الآخرين وثنائهم عليه وتملقهم له.
- لا يعير اهتماماً لرضىٰ الناس بل يبتغي رضىٰ الله والضمير.
- سعيه في سبيل اداء التكليف لا ارضاءً للاهواء و...

□ المواضع التي تعرف فيها الشجاعة:

في المصائب والمحن، والا فكل شخص شجاع في بيته. فالطفل والصبي

الذي يستطيع التحكم في نفسه في الموارد الخاصة، ويلجم غضبه، ويتغلب على عواطفه هو شخص شجاع.

واذا لم يكن لديه دليلان اثناء الشدائد للقيام باعماله«دليلٌ يقنعه واخر يبرر به فهو شجاع».

ويمكن معرفة الطفل الشجاع حينما يتعرض للعقوبة والمجازاة ولا يتهم الآخرين بالتقصير من اجل استنقاذ نفسه.

□ المجتمع الشجاع:

هو المجتمع المتواضع والبعيد عن كل مظاهر الغرور والانفة ولا يأبه بالاوهام والخيالات بالاضافة الى قدرته على اجتيازانواع الاختبارات التي يتعرض لها. ولا يعيش في عالم الوهم. وينظر الى الحياة نظرة واقعية وهادفة، ويعيش حالة الاستقلال ويأبى الاتكال، يتحدث بلسانه لا بلسان غيره، ويفكّر بعقله لا بعقل غيره، يفصح ما يراه عن العيوب ونقاط الضعف ويسعي لتلافيها، يحثو التراب في وجه المتملقين، يحارب كل الوان الفساد ومسمياته و... الخ.

تقييم:

وهذه الحالة تحتم علينا النظر الى الأغلبية لا الى فئة محدودة وإلّا فهنالك في كل مجتمع اقلية تسير نحو هدف معين، ونحن نعلم ان الربيع لا يحلُّ من خلال وردة واحدة. وان اليد الواحدة لا تصفق.

فالمسؤولون التربويون في كلّ مجتمع مكلّفون بانضاج ازهار عديدة،وان يجتهدوا في تربية امّة تتحلىٰ بالشجاعة ومجتمع لا يطبعه التردد. وهو ذلك،

المجتمع الذي يستطيع ان يظهر بالرفعة والعزة. حتى يسمو الى السماء في مقام احقاق الحق وتحقيق اهدافه المنشودة غير مبال بما يلقاه حتى وان اقتضى الأمر أن يطأ عرين الاسد.

□ تصور مستقبلي:

ليس هنالك حدود لصيانة العائلة في عصرنا الحالي ولا وجود لخطة وهدف منشود واصيل في التربية ما دام زمام الاسرة ضعيف والغالبية العظمىٰ من الأطفال عرضة للتفسخ والتحلل ونمط التفكير رجعي، وغالباً ما توصف اساليب التربية بالمحافظة والجمود. وقد دفنت الطاقات والشجاعة في داخل الانسان. وبدلاً من انه تشجع العوائل ابناءها على الأعمال الحسنة، فهي تعوّدهم على الخمول والتزمّت.

ويبدو ان التملق أيسر على الناس من التمنع والعزّة، ويدر عليهم نفعاً اكثر مما يعود عليهم من الإباء والشموخ. والخضوع امام الاوهام والخرافات أيسر عليهم من التسليم امام الحق.

بناء على ذلك لا نعتقد بان يكون لدينا افراد شجعان وأبطال في المستقبل. ومن المستبعد ان نمتلك ابناءً يمتازون بالكمال واللياقة، او يكون مستقبلنا مستقبلاً زاهراً يقوم على أساس قول الحق والتفكير بالحق، الا اذا حدثت تغييرات اساسية في اوساطنا الاجتماعية والعائلية ويعود الآباء والأُمّهات الى عقولهم ويكونون اصحاب اهداف سامية.

تربية روح المسؤولية لدى الأطفال

تربية روح المسؤولية لدى الأطفال

المقدمة:

ان وجود الناس الذين يتّسمون بالبرود واللاأبالية والذين يتخبطون في تلك الحضارة المتفسخة وبعيداً عن اي هدف في الحياة، ناتج عن التربية الخالية من اي شعور بالمسؤولية.

ولو أمعنّا النظر قليلاً لأدركنا انّ السبب الرئيس لعدم الاهتمام للآلام والمشاكل وانعدام مبدأ الاشراف العام، يكمن في وجود خلفية فكرية خطيرة تتمثل في قاعدة (عيسى بدينه وموسى بدينه).

وهذه القاعدة لم يفرزها ضعف الاقتدار العام، بل انها ناتجة عن انعدام الشعور بالمسؤولية، او بعبارة أوضح انها ناتجة عن التهرب من المسؤولية واخلاء الكاهل من أعبائها.

والحقيقة هي اننا قد نسينا مسؤوليتنا ازاء الامور والحقائق،وكأننا بعيدون عن اي التزام أو تكليف.

فمن يعيش وحيداً فريداً ومستغرقاً في مكاشفاته بعيداً عن الناس هو شخص غيرملتزم حتى لو كان انساناً الهياً او عارفاً مشهوراً.

والشخص الذي ينزوي في ركن من الحانة وينهمك باحتساء الخمر من غير همّ فهو شخص غير مسؤول حتى وان كان ظاهره دالاً على انه من ذوي الشهادات العالية اوكان من المثقفين.

ومن ينشغل بتجميل ظاهره رغم شدة المعاناة وحدّة الألم ومتشبثاً بمقولة (هذا لا يعنيني ولا

يعنيك)، فهو شخص مريض ايضاً ومصاب بمرض عدم الالتزام وعدم الشعور بالمسؤولية.

واخيراً، فمن يضحّي بالمبادىء السامية في سبيل الأوهام الشيطانية ويخطط للايقاع بالآخرين لأجل انقاذ نفسه فهو مصاب ايضاً بانعدام الشعور بالمسؤولية والالتزام.

وفي هذا العصر كثيراً ما نشاهد اشخاصاً يحاولون ازاحة المسؤولية عن أنفسهم لكي يفلتوا من وطأة الصراع الفكري والتخلص من قيود السعي والنشاط المرهقة. فلا يسلكون طريقاً ينغص عليهم عيشتهم.

والتهرب من المسؤولية له صور شتى، الا انه لا يتحقق للانسان بدون اختلاق الذرائع والادلة الكافية ليقنع بها نفسه.

فبعض الناس يتنصلون عن المسؤولية بحجة ان الاجواء غير مناسبة، والبعض بحجة عدم وجود مصلحةٍ الآن، وأخيراً يتذرع البعض بذريعة ان الجهود والمساعي لم يُعد لها أيُّ تأثير.

على أية حال. فالغاية هي تحرير الكاهل من المسؤولية، والا فمن يمتلك البصيرة الانسانية لا يستطيع التنحّي عن المسؤولية والاعتزال جانباً مهما كانت الاعذار الآنفة.

وقد اتسع نطاق عدم الشعور بالمسؤولية حتىٰ شمل الوالدين في حقل التربية، فلم يعد الاب والأم يتأثران من عدم تربيتهما الابناء على الالتزام والشعور بالمسؤولية.

لقد اختلطت عليهم مقاييس السلامة والنقص في الأطفال، فهم يحسبون حساباً خاصاً للنواقص البدنية، ولا يعيرون اهتماماً للنواقص الاخلاقية والروحية، فلو شاهدت الام ان ابنها فَقَدَ يده او رجله وأصبح عاجزاً او أصيب بالعمىٰ او الخرس تتألم كثيرا وتجزع وتبدي الانكسار، لكنها لا تتأثر إذا تعرض ولدها لأية عاهة أخلاقية، أو اصيب بانتكاسات من ناحية الالتزام والمسؤولية.

وهذا ما يثير الألم عند تقييم ادراك وفهم الوالدين وطراز تحملهم واستيعابهم.

□ في سبيل خلق روح المسؤولية:

قبل أن نبحث المسؤولية لا بد أن نعرف ماهية الحياة وصلتها بالتكليف والمسؤولية، وهل تتلاءم الحياة مع مبدأ عدم الالتزام وعدم الشعور بالمسؤولية، ام لا؟.

ظهرت تعاريف كثيرة وآراء كثيرة بشأن الحياة.

فقد وصفها البعض بأنّها حلم وسراب.

واعتبرها البعض احداثاً غير هادفة، وان جهود الانسان فيها تقوم على اساس القبول بكل ما يحصل.

وذكر البعض انها منهاج مقرون بالعناء والمتاعب التي يجبر المرء على تحملها.

ولكننا لو شئنا تعريف الحياة من وجهة النظر الاسلامية فيجب القول انها ليست سوى التكليف.. التكليف الذي يقع على عاتق الانسان ازاء نفسه وازاء الآخرين، ولا ينفصل عن حياته ابداً.

فحينما تكون الحياة هي التكليف لا يضل الانسان عند القوة والامتلاك، ولا يجزع ساعة الفقر والعسرة، ولا ينهزم امام المشاقّ، ولا يقف كالمتفرج امام المصاعب.

وحين تكون الحياة هي التكليف، تنطبع مساعي الانسان بالهدفية وتجعله مستعداً للعيش في فقر مع المحافظة على الأمانة. ويفضل البقاء سيداً مرفوع الرأس على الخضوع لأيّ لون من ألوان العبودية والخضوع.

وان المسؤولية تنبثق من شعورنا بأنّ الحياة تكليف؛ وعندها يتلخص مفهوم السعادة والنجاح في اداء التكليف والمسؤولية .

ملاحظتان مهمتان في تنمية روح المسؤولية:

يجب الالتفات الى نقطتين اساسيتين من أجل اداء المسؤولية الناتجة عن التكليف، وهما:

١ ـ ان التعاليم المتعلقة بالمسؤولية اكتسابية، وسر إرسال الرسل لتبليغ هذه التعاليم، تتلخص وتتحدد في هداية البشر لأداء تكاليفهم.

٢ ـ ان اداء المسؤولية يتطلب سعياً حثيثاً ومستمراً وجهاداً وعملاً دؤوبا، ولا تبرأذمة الانسان من خلال سعي يوم او عدة أيام.

□ تربية الانسان على تحمل المسؤولية:

وبما ان المسؤولية هي أهم تكليف واكبر واجب يُلقىٰ علينا ـ كما مر سابقاً ـ ، فهو التكليف الذي يبقىٰ مرافقاً لنا طوال الحياة ولا ينفصل عنا. وعلى هذا فيجب ان لا نشعر من رفقته لنا بالضجر او الملل. ومثل هذا الشعور يحتاج الى عامل يدعى التربية.

التربية التي تعني السمو والتكامل والنضوج. وهي من الأهداف الرئيسية لكل مُرَبٍّ. ونحن هنا نستشف منها مفهومين وغايتين:

١ ـ هداية المرء نحو الأهداف المنشودة والغايات التي تتناسب ومنزلة وطبيعة الانسان.

٢ ـ مساعدة الطفل والأخذ بيده وايصاله الى النقطة المطلوبة. وبعبارة

اخرىٰ: ان لا يكون لنا تدخل مباشر في ايصال الطفل الى هدفه، بل نهيء له ظروف وامكانيات التكامل ونيل الهدف.

لا شك ان اهم المقاصد هي تربية وبناء روح المسؤولية لدىٰ الشخص، وهي الصفة التي اذا احرزناها امكن أن يطلق علينا اسم الانسان. وليُعلم ان حمله ثقيل لدرجة ان بقية المخلوقات قد امتنعت عن حمله:

﴿انا عرضنا الامانـة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الانسان﴾.

فالانسان بلا مسؤولية شيء تافه، وحيوان ناطق وضاحك، واجتماعي؟ ويقول القرآن **﴿بل هُمْ أضلّ﴾**.

وما ذكرناه الآن يتعلق بالتعاليم التي تشير الى كون المسؤولية امر تعليمي واكتسابي، وهو أمر واضح.

وان مهمة الأنبياء تتلخص في توجيه الانسان وارشاده الى هذه المسؤولية **﴿يعلمهم الكتاب والحكمة﴾** وحثه على التمسك بها.

□ ضرورة تربية روح المسؤولية:

يتلخص البحث هنا في مدىٰ ضرورة تعليم الاشخاص على تقبل المسؤولية وتحمّلها، على اعتبارها واحدة من الأهداف التربوية.

يتضح لدينا مما مضىٰ ان الجواب على هذا التساؤل ايجابي، الا اننا سنحاول في ما يلي تناول ضرورته من وجهات نظر مختلفة.

ـ من الناحية الفردية:

فمن الضروري تنمية روح المسؤولية على المستوى الفرْدي، لأنّ كل

طفل يحتاج الى روح المسؤولية والالتزام من أجل تأمين سلامة حياته حاضراً ومستقبلاً. وانطلاقاً مما لاحظناه وشاهدناه فان التسيب وعدم المبالاة لا يجلب للانسان السعادة، بالرغم من اتساقه مع اهواء النفس؛ فقضاء الحياة بهذا النحو، وبالشكل الذي يهواه القلب لا يستطيع ان يأخذ بأيدينا نحو السعادة.

والطفل بحاجة الى التقيد ـ ومنذ مرحلة الطفولة ـ بمقررات معيّنة والالتزام بمبادىء والتمسك بانجاز الاعمال، وهذا ضروري لحياته حاضراً ومستقبلاً.

ـ من الناحية الاجتماعية:

يؤدي كل فرد من أفراد المجتمع دوراً كالدور الذي يؤدّيه أي جزء من أجزاء الماكنة. فلو توقف أحدهم عن اداء الدور المرسوم له تعطلت عجلة المجتمع عن العمل، كما لو توقفت احدى آلات السيارة عن العمل في أثناء مسيرها، اذ يؤدي الى حدوث اصطدام، قد ينطوي على الكثير من الدمار والخسائر.

ومن البديهي ان المجتمع يكون حياً عندما يؤدي كل شخص مسؤوليته باعتباره عضواً فاعلاً في المجتمع، وتقدُم كل بلد منوط بمدى معرفة ابنائه لمسؤوليتهم.

فالبلد الذي لا يعرف ابناؤه تكاليفهم ولا يعملون طبقاً لها، فلا أمل بتقدم وسعادة ذلك البلد.

ومن ناحية أُخرىٰ فإنَّ تحديد الواجبات في كل مجتمع يؤدي الى تنظيم

العلاقات الاجتماعية والانسانية، والتي على اساسها يشعر أبناء المجتمع بالارتباط فيما بينهم، فيندفعون لمواصلة حياتهم بشكل سليم وإنساني.

ـ من الناحية الدينية:

لقد وصفنا الحياة بانها تكليف ، وتلخص ابعادها في مواصلة الحياة الفردية والاجتماعية وتكوين العائلة وتربية الطفل. وعليه فان كل ما حملناه من مسؤولية يجب ان ننقله الى ابنائنا.

واساس التفكير في بلورة وتنمية روح المسؤولية تتلخص فيما يلي:

ـ أولاً: ان الطفل ملك لله وامانة بايدينا. ولأجل ايصال هذه الأمانة نحو المراتب التي يبتغيها صاحب الامانة، علينا ان نعتبر أنّ للاطفال حقاً على الوالدين والآخرين.

ـ ثانياً: بالرغم من ان الاطفال صغار حاليا، الا انهم جزء من المجتمع. ويجب ان تحكمهم علاقات وقواعد للحياة المشتركة والطيّبة وان يجري اعداد الطفل للانضمام الى هذا المجتمع الالهي والديني بل ومن الأفضل ان نقول: المجتمع العقائدي.

وباختصار: لا مناص من القول ان تربية الشعور بالمسؤولية ضرورية لأن المجتمع حينما يخلو من الشعور بالمسؤولية يكون مجرداً من الصدق والتضحية والأمانة والايثار والطهارة والمحبة والعواطف.

□ مصدر التعاليم المتعلقة بالمسؤولية:

ان اصل تحمل المسؤولية فطري، لان المرء يرىٰ نفسه مكلفاً بإنجاز

بعض الاعمال والواجبات طوال حياته بحكم العقل والضمير؛ وهذا بحد ذاته يمثل ارضية للشعور بالمسؤولية وتحمّلها.

ولكن من اين تُستمد التعاليم المتعلقة بالمسؤولية؟

يقول البعض في هذا الصدد بوجوب أخْذها من العلم والتجربة. ولكن البحوث التي اجريت بخصوص هذا الرأي أثبتت عدم منطقيته للأسباب المطروحة أدناه:

أولاً: أن العلوم في طريقها الى التكامل، وليس هنالك قدر كافٍ متيقن يمكن التمسك به والاعتماد عليه، ولو لحقبة واحدة من حياة الانسان على اقل تقدير.

ثانياً: ان العلوم تقوم على اساس الحس والتجربة؛ وهذا ما يبعد الانسان عن ادراك الكثير من المسائل التي يحتاجها ويستند اليها لا سيما المفاهيم المجردة وشؤون ما وراء الطبيعة، مع ضرورة الأخذ بنظر الاعتبار امكانية خطأ الحواسّ.

ثالثاً: اختلاف نصيب العلماء من الفهم والاستيعاب. وعليه فان اتباع اي منهم لا يبدو مقنعاً، ولا بد من اجتنابه، لانه لا يقود الا الى الابتعاد والتشتت في خاتمة المطاف.

رابعاً: ان نظرة العلوم للمستقبل لا تختلف عن فهمها المسبق للأمور: وهي موضع تشكيك، ولا قاعدة للآراء التي تطرحها سوى في حدود الشك والاحتمال.

وهنالك ادلة اخرى مطروحة عن قصور العلم والتجربة، لمحدودية

حقولها.

أما آراء الفلاسفة واصحاب المذاهب فلا تستطيع ان تكون جديرة بالإعتماد لان اطلاع اغلبهم نابع من الطرق اعلاه،او يقوم على اساس الاستدلال القياسي، الأمر الذي يحظى بأقل قيمة من ناحية المسائل الانسانية، واصحاب المذاهب مخطئون، فنظراتهم الفلسفية غير متعمقة بالقدر الذي لا يمكن الاشارة اليها على مرور الزمن ، كما ارتكبوا أخطاء عظيمة في رؤية ابعاد الانسان ووجوده.

والنتيجة ـ كما نراها الآن ـ ان المبادىء تلتهم بعضها البعض وتحول انسجتها الى حبالٍ وخيوط.

ان التعاليم التي تتعلق بالمسؤولية يجب ان تتصدر عن الله خالق البشر، وهذا الامر يحظىٰ بتأييد العقل والفطرة، لانهما يحكمان بان صانع الماكنة أحقّ واولى من الآخرين في ابداء الرأي حولها؛ فالله هو الذي صنع وجودنا، وهو الذي ابدع معدات وجودنا، وهو اولى في ابداء الرأي في تحديد واجبات هذه المعدّات؛ ورأيه وامره احق بالاتّباع .

ان بعض التعاليم الالهية في مجال الاخلاق والتي يتركز موضوعها حول بحث الالتزامات الفردية والجماعية للانسان، الخير والشر، الواجبات والمسؤوليات، هو خير وصلاح البشرية .

على هذا الأساس ، فإنّ البحث حول المسؤولية هو بحث ديني من ناحية وبحث اخلاقي من ناحية أخرى. ومن ناحية ثالثة فهو بحث تربوي ونفسي. وإبداءالرأي في ذلك يجب أن يكون من قِبَل من يمتلك رؤية مستقبلية

عميقة ولا يكون ناقماً على الحياة؛ وكما يقول اينشتاين: ان يكون ذكياً وليس حسوداً. ومثل هذا الوجود ليس سوى الباري عزوجل. اذن يجب ان يكون مصدر التعاليم التي تتعلق بالمسؤولية هو الله فقط.

□ انواع المسؤوليات:

ما هو نوع المسؤولية التي ينبغي تعليمها للطفل الذي يعيش إلى جانبنا وتحت رعايتنا؟

من أجل الاجابة على هذا التساؤل، علينا ان نرىٰ، نوع الانسان الذي يحتاجه حاضر ومستقبل مجتمعنا استناداً الى الرؤية الاسلامية؟ فمن اجل بلوغ مجتمع انساني نحتاج الى انسان يتمتع ـ على الاقل بالمزايا التالية من الناحية الفردية.

- ان يكون عارفاً بنفسه وقدر شخصيته.
- ان يحب ويحترم نفسه وشخصيته.
- ان يعرف الطريق المؤدي الى العيش الكريم بعيداً عن التفريط بحياته.
- ان يقف على رجليه وليس على أرجل الآخرين.
- أن يتحمل اعباء حياته بنفسه.
- ان يعتبر نفسه مسؤولاً عن صيانة حريته ورفعته ومعتقده .
- أن يكون عارفاً بالقوانين وملتزماًبالتعاليم.
- ان يقاوم ويصمد في سبيل تحقيق هدفه.
- ان لا يتهاون في التنافس على طريق اداء الواجب.
- ان لا يفرط باستقلاله الفكري والعملي.

- ان يعرف قدر نفسه وكلامه ووعوده.

- اذا قال نعم أولا من بعد التامل، ان يتمسك بكلامه ويثبت عليه حتى لو تطلبت التضحية بالنفس.

- ان يكون عفيفاً وفياً، وذا قيمة، ومضحياً، وذا مشاعر واحاسيس، وكريماً و.. الخ.

□ ومن الناحية الاجتماعية:

- ان يفهم اوضاع مجتمعه وقيمته.
- ان يفكر بالآخرين ويحفظ ويحترم شخصياتهم.
- ان يرىٰ نفسه مكلفاً ومسؤولاً أمام المجتمع.
- ان يتحمل دوره في اداء التكاليف الدينية والاجتماعية في المجتمع.
- ان يسلك منهجاً مقروناً بالطاعة لقادته.
- أن لا يجلب الضررلنفسه او يكون سبباً للاضرار بالمجتمع.
- ان لا يرى نفسه غير معنيّ بما يعانيه المجتمع من الفقر والجوع والديون والانحلال.
- ان يرىٰ نفسه جزءاً مهماً وحيوياً من ماكنة المجتمع.
- ان يعتبر نفسه مسؤولاً عن حرية وصلاح ورفاء مجتمعه بل المجتمع البشري جميعاً.
- ان يكون خير صديق وخير زميل وخير عامل وخير تابع ومتبوع.
- ان يكون صديقاً لكل الناس، وأخاً لأخوته في الدين.

وعلى هذا الاساس تتضح نوع المسؤوليات التي يجب عرضها للأطفال

عن طريق التربية.

□ ابعاد المسؤولية:

استناداً الى ذلك فان المسؤولية تشمل جميع وجود الانسان ويعتبر كل عضو من اعضائه مسؤولاً بأي نحو من الأنحاء.

فاللسان مسؤول عن قول الحق وعدم قول سواه؛ فلا يغتاب ولاينم ولا يلدغ و لايهذي ولا يثرثر و.. الخ.

والاذن مسؤولة عن سماع قول الحق، وان تضع حاجز فيما بينها وبين سواه؛ لذلك فهي غير مسؤولة عن سماع ما ليس بحق. فلا تصغي للأغاني والطرب.

والعين مسؤولة عن مشاهدة الحق والحسن، وتقييم الامور من مشاهدتها، لكي يتاح للمرء اتخاذ القرار الصحيح بشأنها والتمييز بين الطريق السالك والطريق المنحرف.

واليد مسؤولة عن عمل الخير والصلاح ونشر الخير والسعادة على الفرد والمجتمع. فلا تؤذي أحداً، ولا تمتدّ للاعتداء على أحد، ولا تهتك ستراً، ولا تضرب انساناً من غير حق، ولا تضع حبل المشنقة في رقبة انسان ظلماً و... الخ.

والقدم مسؤولة عن السير نحو الحق، والتحرك نحو بلوغ الحاجات المشروعة، وان لا تسير نحو المعصية، فلا تسحق مظلوماً، ولا تركل بريئاً:

وعلى هذا الاساس تتضح مسؤولية الفكر والعقل في الادراك والاستنباط، كما تحدد مسؤولية بقية اعضاء الانسان وجوارحه

﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً﴾.

وطبعاً لا ننفي عنها استقلال الفكري من خلال هذا القبول وهذاالتوجيه.

□ تنظيم المسؤوليات:

من أجل تكوين صورة في اذهاننا عن نوع وأبعاد المسؤوليات فإننا نقوم بإدراجها على النحو التالي:

١ ـ من الناحية المادية والمعنوية.

تنحصر بعض أنواع التزاماتنا ومسؤولياتنا ضمن الاطار المادي ـ سواء كانت بنحو العمل الذي يخص المادة، أو على هيئة النشاط الذي تنتج عنه معطيات مادية ـ وبعض التزاماتنا ومسؤولياتنا تدخل في النطاق المعنوي او غير المادّي. وهي ايضاً تدخل في نفس الصورة. اي سواءً كان النشاط معنوياً صرفاً او مادياً ينطوي على مردودات معنوية ولا ننسىٰ ان هذين النوعين من النشاط لا ينفصلان عن بعضهما، كما هو الحال في نتائجهما التي لا يمكن فصلها عن بعضها.

٢ ـ من ناحية الأوامر:

فللانسان علاقة بنفسه وبخالقه وبالظواهر الموجودة في هذا الكون والتي تشمل الانسان والحيوان، ونوع علاقتنا هو الذي يحدد نوع مسؤوليتنا. فنحن مكلفون بحكم الاخلاق والدين ان نقيم علاقاتنا على اساس مبدئي مدروس.

فعلاقتنا بالجمادات والحيوانات استثمار واستغلال؛ ومع الانسان علاقة انسانية.

فلا شك ان حدود مسؤوليتنا فيما يخص كلاً منهما لا تسير على نسق أو نمط واحد.

فمسؤوليتنا تجاه انفسنا على سبيل المثال تتخذ جانب البناء والاصلاح وصيانة الحرية والشرف، والابتعاد عن مواطن التهمة، والسير في طريق السمو والرفعة، في ظل النظام والتربية القائمة على اساس اداء التكليف بشكل متقن.

والمسؤولية ازاء الآخرين تقوم على اساس التعاون والتضامن. وقبال الباري تعالى على اساس الخضوع والتذلل والتسليم والانقياد والعبادة والطاعة.

٣ ـ من الناحية الثقافية:

فسمؤوليتنا هي تقييم واصلاح التراث الثقافي والسعي لتنميته وتطويره، واعداد الارضية اللازمة للاستفادة منه.

٤ ـ من حيث الراعي والرعية:

تتجسد مسؤوليتنا في تربية المجتمع الصالح او ما يسمىٰ بالرعية التي ينبغي ان تتبع الراعي السائر بالحق. ولا بد لكل من الراعي والرعية ان يعتبر نفسه تابعاً للخالق جل وعلا، وان لا يطلب غير الحق ولا يبغي سواه.

٥ ـ من ناحية القوانين والمقررات:

ويتلخص واجبنا في هذا الصدد بتربية افراد يعتبرون أنفسهم تابعين للقانون الالهي، واعين لمسؤولياتهم المدنية والجزائية والوجدانية.

□ السن التي تبدأ فيها تنمية روح المسؤولية:

يجب مراعاة عامل السن خلال الشروع في تربية روح المسؤولية عند الاشخاص؛ لأنّ كل مرحلة من مراحل العمر لها متطلّباتها. فمن المحتمل جدا ان يتخلى الطفل عن وزر المسؤولية التي تفرض عليه؛ وهذا ما يثيرغضب الوالدين فيتّهم بعدم الكفاءة والالتزام، وبعدم معرفة التكليف؛ بينما لو كانا متفهِّمَين لمراحل السنّ، لتبيّن أنّ هذا الأمر غير ناتج عن غايات معيّنة، بل قد يقتضي عمر الطفل ان يتخذ موقفاًخاصاً في تقبل المسؤولية، حينها لا يمكن للعقوبة ان تصلحه ولا يمكن ان يكون لتشدّد الوالدين اي اثر في بناء الطفل.

ويجب القول بخصوص بداية تربية روح المسؤولية لدىٰ الطفل انه لا يمكن تعيين وقت وسنّ محدّد لها من وجهة النظر العلمية وليس هنالك رأي مطروح بهذا الخصوص. وكل ما لدينا هو التجارب والتوصيات التي تفيد أن تربية روح المسؤولية لدىٰ الطفل يجب ان تبدأ من السنة الاولى من عمره. اذ يكون الطفل مستعداً لتقبّل ذلك. فبعض المسائل كرغبة الطفل للاستقلال في تناول الطعام وعدم لمس الأشياء الممنوعة عليه، والامتناع عن الصراخ والصياح، وعدم القبول في الفراش، والتحمل حتى تتم تهيئة الطعام، ونظير ذلك، من مصاديق تقبّل المسؤولية في السنة الاولى من العمر.

ويوصي المربّون بوجوب منح المسؤولية للطفل في أية مرحلة من العمر بمجرد ملاحظة استعداده لقبولها، ولا يجب حرمانه من تحمل المسؤولية

بذريعة عدم حلول وقت العمل والنشاط بالنسبة للطفل. فالوليد يحاول ـ مثلاً ـ منذ الشهر الخامس عشر من عمره ان يستقل في تناوله للطعام، وان لا يتولّىٰ أحد مساعدته أو رعايته، وهذا من مصاديق تقبّل المسؤولية.

اذن، فالاحرى بالوالدين ان يستقبلا هذا الاستعداد ويفوضانه الامورمع مراعاة جانب الاحتياط. وقد يؤدي هذا العمل الى تلويث ملابسه والفراش، ووسائل البيت مما يضاعف متاعب الأم؛ الا ان التجارب اثبتت ان معطيات ذلك اكثر من هذا الضرر.

وقداثبتت الدراسات ان الطفل اذا لم يستوعب المسؤوليات إلى سن السابعة من عمره يكون من الصعب عليه تحمّل المسؤولية وعليه فإنّ هذه الفاصلة الزمنية لها دور حيوي بالنسبة لحياة الطفل الراهنة والمستقبلية.

□ مراحل العمر في تقبل المسؤوليات:

تفيد بحوث علماء السلوك ان الاستعداد لتحمل المسؤولية يزداد في بعض السنين، ويقلّ في البعض الآخر. ولكل مرحلة من العمر خصوصياتها حيث يفيد الاطلاع عليها لإنارة الطريق والمنهج للمربين في إناطة المسؤولية للاطفال؛ مثلاً: سن ١/٥ سنة: هي سنّ الرفض والاعتراض. اذ تقول للطفل «تعال هنا» فيمكن ان يتراجع الى الخلف. او تقول له: اذهب وافرغ الاوساخ في محلها. فقد يفرغها في مكان آخر بل ويفرغ وعاء الاوساخ ايضاً. ففي هذه السن يستخدم كلمة «لا» بكثرة، وتقوم علاقته مع الآخرين على أساس الأخذ لا العطاء وعلى العموم فهو يعمل عكسياً.

سن الثانية: اكثر تقبلاً للمسؤولية. فهو مستعدٌ لارتداء ملابسه لوحده،

ينقل الاواني من مكان إلى آخر، وينفذ الاوامر، يعطي للآخرين، ويجلب، ويأخذ.

من المناسب اعطاءه مسؤوليات سريعة الاستيعاب والتقبل.

سن الثالثة: تترسخ فيه روح تقبل السمؤولية. ذو نزعة استقلالية. فهو يقول: أنا أفعل؛ أنا اذهب الى باحة الدار ويمكن هنا منحه مسؤولية صغيرة، مثل افراغ وعاء أعقاب السجائر، وتجفيف الأواني المغسولة. وهو في هذه المرحلة كثير الميل الى انجاز الاعمال بشكل كامل. وهنا يصحُّ أمره بكفّ لسانه، وعدم الضحك، وعدم الذهاب، و... الخ.

سن الرابعة: يستطيع تحمل المسؤوليات، كأن يرتدي ملابسه ويشدّ رباط حذائه، ويطبق ازرار ثوبه، ويغسل وجهه.. لكنه يتخلف عن تنفيذ الاوامر الصادرة اليه؛ يميل الى الاتصال بالعالم الخارجي، ولديه استعداد للذهاب الى بيت الجيران لايصال خبر ما، وان يبتاع بعض الأشياء من الحانوت المجاور.

سن الخامسة: يؤدي ما يقدر عليه بإتقان. يثق بمقدرته. الا انه عجول، ويحب التقدم على الوالدين. يستطيع بسط مائدة الطعام، وترتيب ثيابه، ويشعر بالرضا لانجازه الاعمال.

يمكن تعليمه ما هي حقوق الآخرين.

سن السادسة: هو عمر التكامل؛ اذ يصبح الطفل مستعداً فيه لكل عمل. يميل للنشاط الاجتماعي. تتنامى لديه الرغبة في العمل. يطمح ان يحترمه الآخرون. يحاول افراغ عاتقه من التكاليف الى حد ما. يتهرب. يختلق

الاعذار. لا يلتزم بوعده.

سن السابعة: وهي سن الثقة، والنزعة الاستقلالية يريد غرفة خاصة، وان يكون له سرير خاص. كثيرالتفاؤل بنفسه. يؤدي المسؤولية باتقان نسبياً، فيما لو انيطت به، وهو جدير بالثقة من هذا الجانب.

سن الثامنة: لا يرىٰ صعوبة في اي عمل. تصوراته تفوق الواقع؛ لهذا فهنالك شيئان خطران بالنسبة اليه:

١ ـ اللعب بكل شيء يقع عليه بصره.

٢ ـ التوبيخ الصارم في حالة الفشل بحيث يمكن ان يدفعه لليأس من الحياة والانتقام القاسي.

سن التاسعة: ترسخ لديه النزعة الاستقلالية. يستطيع تقديم المساعدة في أعمال المطبخ الى حدما . وينفذ الأوامر البسيطة. يهتم بشؤون البيت. يحب الانضمام الى التجمعات وان يكون عضواً فيالهيئات. وفي نفس الوقت غير مطيع. متشائم وهو طاغٍ ومستبد، وقلق مخافة التعرض للامر والنهي. محب للتحديد، لا سيما في المسؤوليات.

سن العاشرة: يعتبر كلام الوالدين بالنسبة له كالقانون، روح تقبل المسؤولية قوية لديه. وهو ميال لأداء الأعمال الأكثر أهمية ، مثل طهيالطعام للجميع. لديه القدرة على العمل.

ولديه القدرة على تقبل التكليف وادائه. يتحمل المسؤولية الدينية وينجزها.

سن الحادية عشرة: تتضاعف قدرته وتكامله. يتعرف على علاقات

العلة والمعلول رويداً رويداً. يدرك الواجبات الاجتماعية ولكن قليلاً ما يكترث بها. طويل التأمّل. لا يرغب في تقييد نفسه بالمشاكل. ويرغب في نفس الوقت بتحمل المسؤولية الاجتماعية.

سن الثانية عشرة: يميل للانضمام الى الجمعيات الادبية والرياضية، والحضور في المحافل والمشاركة فيها. ويراعي الاعراف والتقاليد. يقلّم اظافره بنفسه ويعتني بارتداء الملابس. يراعي بقية الاطفال. يشارك في شؤون المنزل ويرغب في هذا العمل.

وهذا ما يستوجب منحه المسؤولية ومراقبة تنفيذه لها.

سن الثالثة عشرة: يتحمل المسؤولية ولكنه يرفض القيود.

سن الرابعة عشرة: بامكانه تحمل عدة مسؤوليات، لكنه عاجز عن اتخاذ قرار الاختيار.

سن الخامسة عشرة: له كامل القدرة على خدمة نفسه والعناية بها. يتقبل اي اختصاص يتناسب وميوله.

ان هذه السن مهمة جداً ولها مغزى كبير. فالفتى قادر خلالها على تحليل الامور وتفسيرها. فمن الممكن السماح له في الاشتراك في اتخاذ القرار والاحاديث العائلية وانجاز الاعمال العادية للبيت. وهذه السن مناسبة للزواج بالنسبة للإناث.

ويمكن القول بإختصار ان روح تقبل المسؤولية تترسخ لدىٰ الفتى في سن المراهقة. فهو ينجز كل ما تقبّله حتى لو كان الثمن هو التضحية بالنفس. ويجب ان يكون إلقاء المسؤولية في سن الرابعة عشرة بنحو يكون المرء

قادراً على تمحيص نفسه مسيطراً على لسانه ويده واقدامه، وقادراً على انجاز الاعمال الصالحة.

◻ اين تتم تربية الشعور بالمسؤولية:

هناك محوران لتربية الشعور بالمسؤولية، سيما في سني الطفولة، وهما المنزلة والمدرسة. ومع ان المراكز الاجتماعية الاخرىٰ قد تؤثر وتربي، الا انه من المحال ان يكون تأثيرها بمستوى المدرسة، كما انه من المحال ان يكون تأثير المدرسة بمستوى تاثير البيت.

المنزل:

فبقدر ما تكون اعمال المنزل فنية وذاتية، فهي تتخذ طابعاً يمكن ـ من خلالها ـ للطفل المشاركة فيها بأية صورة. فمثلاً يستطيع الطفل سقي سنادين الأزهار وإطعام الطيور، والعناية بتنظيم وسائل اللعب؛ ولا داعي لاجتناب اعطاء المسؤولية للاطفال بحجة ان هذه الامور بسيطة ولا تستحق الاهتمام.

المدرسة:

ومع ان تعاون الطفل فيالمنزل يساعد على تبلور روح المسؤولية لديه؛ الا ان دور المدرسة في هذا المجال ليس قليل الاهمية. فالطفل يستطيع في المدرسة تحمل انجاز المسؤوليات التي تواجهه في المستقبل، كتحمله لمسؤولية النظام والانضباط في الصف، وتنظيم باحة المدرسة، ومسؤولية تثبيت حضور وغياب الطلاب، ومسؤولية جمع الدرجات الاسبوعية لطلاب الصف ومساعدة التلاميذ الضعفاء، والمحافظة على حدود الزملاء وحقوقهم و.. الخ.

وفي بعض البلدان قد يقضي طلاب المدارس اسابيع أو شهوراً من السنة الدراسية في التطبيق العملي للتكاليف والواجبات، بل ويقومون بالاعمال الانتاجية ايضاً.

وعلى هذا، ينبغي اختلاق ٤٠ نوعاً من المسؤولية على اقل تقدير لكل صف ذي اربعين طالباً في المدرسة، ليقوم الطلاب بتحملها، كلٌّ حسب دوره.

□ كيف نعلم الاطفال الشعور بالمسؤولية

بمقدورنا تقديم عدة سبل للاجابة على هذا التساؤل، واهمها عبرة عن:

١ ـ **الايحاء والتذكير**: حيث تناط المسؤولية هنا بالطفل مباشرة، ويطلب منه تطبيقها. وهذا الاسلوب اسهل وأفضل السبل بالنسبة للمربين، الا ان تأثيره ضئيل لدىٰ الطفل.

٢ ـ **تقديم النموذج**: فالوالدان في المنزل، والآخرون في المجتمع، يمثلون الاسوة بالنسبة للمسؤولية، وحتىٰ في تقبل الاطفال للمسؤولية. فالطفل يتعلم الاسلوب الذي يراه فيهم، ويجسده، سواء كان سلوكاً محبّباً أم لا. فعمل الطفل يستند الى سلوكهم وعليه لا بد ان يتحكم الوالدان ـ بل وجميع الاشخاص في سلوكهم ـ امام الاطفال على الأقل.

وهكذا تستند طريقة تقبّل الاطفال للمسؤولية على سلوك الآخرين. فالاب وباعتباره قدوة مكلف بالمحافظة على العائلة، والأُم مكلفة بأن تعتبر واجبها هو المحافظة على الاولاد وانجاز الاعمال المنزلية.

ان مشاهدة مظاهر الاجحاف وعدم الاكتراث، والتجاهل التي تصدر من

الانسان القدوة تعتبر فخاً خطيراً للطفل.

٣ـ**التلقين**: وهو غالباً ما يؤثر في الاطفال، لا سيما في السنوات من ١١ ـ ١٦ ، فهم يتمسكون بطريق الخير والصلاح بأقل نصيحة وموعظة، كما ينحرفون عن جادة الصواب بأقلّ خطأ او اشتباه.

فالأجدر ان يكون التلقين على اساس تقديم النموذج، لأن قوة التقليد لدىٰ الاطفال امر واضح لا شك فيه، ودليل ذلك مطالعة الاطفال ذوي الاربع سنوات للكتب والتي تتم على اساس تقليد سلوك الأب.

والشيء المهم في التلقين هو الظهور بشكل لطيف ومثير؛ لهذا فقد يؤدي الطفل دور بائع الماء أو بائع الملابس، او البقال، أو الشرطي، او السائق. فهو مقلد بارع؛ وما أكثر المسؤوليات التي تُعلَّم بصورة غير مباشرة، فيقوم الطفل بتجسيدها عن طريق التقليد. فعلىٰ سبيل المثال ان أفضل طريق لدفع الطفل للقراءة هو انشغال الوالدين بها.

٤ ـ الاحتكاك المباشر والتجربة:

فمن اجل تعليم روح المسؤولية لا يكفي تقديم النموذج والتلقين لوحدهما، بل يجب السماح له بالاحتكاك بمسؤوليته واختبار الأرضية المطلوبة. فالتجربة والاحتكاك بالمسؤولية تؤدي إلى:

١ ـ تنمية روح المسؤولية عن طريق التجارب.

٢ ـ ترسيخ المسؤولية لدىٰ الانسان.

٣ ـ التعود على ممارسة المسؤولية.

٤ ـ تلافي واصلاح الاخطاء اثناء العمل.

٥ ـ التعرف على العمل والمسؤولية المستقبلية للشخص من خلال التجربة والتدريب، والحصول على الامكانيات اللازمةمن اجل نجاحه في الحياة.

□ بأيّ الأعمال يجب ان تبدأ المسؤولية؟

من المستطاع تحديد جوابين لهذا السؤال، وهما:

١ ـ العمل الذي يتسق مع مسار الوقائع اليومية.

٢ ـ العمل والمسؤولية التي تنسجم ومقتضى السن والإمكانات المتاحة ففي الحياة اليومية هناك الكثير من الاعمال التي تعرض للإنسان مثل ارتداء الملابس وخلعها، وبسط فرش النوم وجمعها، وقضاء الحاجات الاولية كالأكل والشرب، وارتداء الحذاء، وشدّ الحزام وازرار الملابس، وتنظيم الوسائل الشخصية، وما شابه ذلك .

ويجب مراعاة مقتضى العمر خلال تفويض المسؤولية، فيجب النظر إلى مقدار السن اثناء تحديد نوع المسؤولية لكل شخص ولا بدّ أن يكون هنالك توقع خاص علىٰ سبيل المثال:

فلا يمكن ان نتوقع من الطفل ذي الأربع سنوات ان يجلس مثلنا على ركبته، ولا يمكن التوقع من الطفل ذي (٦ ـ ١٢) عاما ان يحيي ليالي شهر رمضان مثلنا.

وباختصار: كلما كانت المسؤولية خلال السنين الأولى يسيرة ومناسبة فهي أفضل. وكلما كانت طيبة ولذيذة كانت أجدىٰ.

فمثلاً: من المستطاع الطلب من الطفل ذي (٣ ـ ٤) سنوات، أن يؤدي

عمله بنظام ورتابة، وان يهتم بتنظيم وسائل لعبه، ويضعها في مكان محدّد.

ويمكن التوقع من الطفل في سن الخامسة أن يرتدي ملابسه، وأن يشد رباط حذائه بنفسه، وأن يأتي بالماء لنفسه، وأن يطبق ازراء ردائه، ويخلع ملابسه بنفسه، اذا ذهب الى المرافق الصحية، و... الخ.

فعندما تتولىٰ أُمّه غسل الملابس، بامكانه جلب الماء والصابون ووضع منديله وجواربه في الطست وغسلها.

ومن المستطاع الطلب من الطفل في هذا العمر ـ وما بعده بقليل ـ أن ينظف الغرفة أو باحة الدار بمكنسة اصغر من المكنسة التي تستخدمها والدته.

ومن الممكن الطلب من الاطفال ذوي (٥ ـ ٦) سنوات بسط المائدة ووضع الملاعق والشوكات، وافراغ سلة المهملات، وسقي سنادين الأزهار. وهذا العمل قابل للتطبيق بشكل واسع في السنوات التالية من العمر.

فقد تقومون بطهي ماء اللحم في البيت. من المناسب حينها ان تدعوا طفلكم يقوم بتقشير البطاطا وجمع الأواني وما شابه ويستطيع الاطفال في سن (٩ ـ ١٠) ان يتحملوا مسؤوليات كبيرة. فعلىٰ سبيل المثال: نقل بعض الأمور للجيران، وايصال او استلام شيء ما.

ويمكن توجيه الاطفال في سن العاشرة والسماح لهم بالذهاب الى البقال وشراء خيوط أو معجنات، أو تنظيم المكتبة، أو مسح المنضدة والكراسي، والقيام بالاعمال اليدوية، وحتىٰ الاعمال الانتاجية كما يمكن الطلب من هذا الصنف من الاطفال بسط فراش نومه وجمعه، وغسل الاواني مع مراعاة

الحذر، و... .

وبعض الصبيان في سن الرابعة عشرة، له القدرة على انجاز أعمال المنزل، وحتى بامكانهم دعوةالطبيب للحضور الى البيت عند الضرورة، والقيام بالاصلاحات الجانبية في المنزل، وربّما طهيالطام، او اعداد قائمة بمصاريف المنزل، ورعاية الازهار، أو المساعدة في اصلاح البناء، والقيام بالاعمال الزراعية كتقليم الأشجار والأزهار، و... .

□ نقاط في تسليم المسؤوليات:

من أجل تلافي العواقب الوخيمة التي قد تحصل نتيجة تسليم المسؤوليات، يقترح التربويون وعلماء النفس الالتفات الى النقاط التالية ـ من باب التذكير ـ وأهمها:

١ ـ ان يتلاءهم مستوىٰ المسؤولية مع امكانية الطفل وقابليته؛ وفي خلاف ذلك يتهرب منها، ويتجنب القبول بها.

٢ ـ عدم محاولة فرض المسؤولية على الطفل، لانها قد تؤدي إلى حدوث ضرر بدني اولاً، وثانياً: قد تثير لديه روح التمرد والعصيان.

٣ ـ ان تكون المسؤولية المناطة بالطفل سريعة التطبيق، أي بنحو يستطيع الطفل انجازها بسرعة. واذاكان الهدف منها كبيراً فيقسم الى أهداف ثانوية كي يطويها الطفل مرحلة فمرحلة.

فلا شك ان بلوغ الاهداف الصغيرة يكون حافزاً داخلياً للطفل.

٤ ـ مساعدة الأطفال في انجاز مسؤولياتهم؛ والخطوة الأولىٰ على هذا الطريق هي تعليمه كيفية انجاز مهمته وكيفية بلوغ الهدف وعندما تستلزم

المساعدة حاولوا مساعدته بصورة غير مباشرة، أي عن طريق الأخذ بيده، ولكن من خلال خطواته ومساعيه الذاتية، لان الطفل اذا تلقى العون المباشر يصبح شخصاً اتكالياً.

٥ ـ الأخذ بنظر الاعتبار مدىٰ الفرصة الزمنية المتاحة له في انجاز المهمة المكلف بها؛ اذ يجب ان لا يستغرق كل وقته؛ فهو يحتاج الى وقت للّعب، كما يحتاج الى وقت لانجاز واجباته المدرسية. أضف الى ذلك يجب ان يكون لديه وقت غير محدد كي يفكر كما يشاء.

٦ ـ فوّضوا اليه مهامّ محدودة وتسلّموها منه بإتقان كي ينشأ منضبطاً.

٧ ـ من أجل ان لا تقعوا في المشاكل أثناء تسلّم المهمة الموكلة إليه ولكي لا تضطروا لمعاقبته واستجوابه، لا بد من تقديم النصيحة له خلال الفترة ما بين تسلمه المهمة واستلامها منه.

٨ ـ ورغم مراعاة هذه النقاط، فقد يقصر الطفل في اداء مهمته، وينبغي هنا عدم قرع الطبول، بل ينبغي اتباع المرونة والأناة معه، وأن تطلبوا اليهم اداء تكليفه من جديد بنحو أحسن .

□ هل الطفل حر أم مقيّد في قبول المهمة الموكّلة اليه؟

لا يمكن ـ ولا يجب ـ فرض الواجبات على الاطفال، بل يجب تربية روح الشعور بالمسؤولية، والرغبة لديهم؛ اذ تؤكد التجارب والدراسات ان المسؤولية المفروضة لا ترسخ ابدا، وسرعان ما تزول بل قد تكون ذا اثر عكسيّ، وعلى المربين ان يراعوا الأصلين الآتيين في منح المسؤولية للاطفال، وهما:

١ ـ اصل الحرية: والمقصود هو ان يكون الطفل حراً في قبوله المسؤولية اما المسألة التي قد تطرح هنا، هي ان الطفل لا يدرك صلاح وفساد الامور في اغلب الموارد. ومن الممكن ان يؤدي منحه الحرية الى الاضرار به. فهو بلا شك لا يمتلك حق إبداء الرأي في مثل هذه الحالة. الرأي هو رأي الوالدين؛ الا ان هذا لا يعني وجوب فرض المسؤولية عليه. فنجعل الطفل يردد ما نريده بلسانه، فنحفز الطفل بصورة غير مباشرة على ترديد كلا منا والبوح بغاياتنا مع الحفاظ على حريته.

ولكن قد يبدو هذا التصرف وكأنه خدعة تربوية، الا انه لا يعتبر خطيئة لانه في سبيل خير وصلاح الطفل.

واما في حالة تشخيصه الفساد والصلاح، ولو بشكل يسير جدا، فيجب ان يكون حراً في قبوله للمسؤولية بهذا المقدار، والا فهو يبدو وكأنه شيء هامد.

وقد تطرأ حالة ثالثة وهي رغم الاعتراف بعدم امكانية تشخيصه للصلاح والفساد الا ان اختياره لا يؤدي الى الاضرار بمصلحته الى صلاحه ومصلحته، بل اننا هنا نحترم حريته وندعه حراً في اختياره.

وعليه ففي جميع الاحوال يجب مراعاة اصل الحرية، ولكن قد نتدخل احيانا.

٢ ـ اصل الرغبة:

فمن اجل ان تنجز المهمة باتقان، يجب ان يكون الشخص راغباً في انجازها، وتحصل الرغبة عندما يكون حراً في الاختيار وتكون المسؤولية

مثمرة.

والسبيل المؤدية الى النجاح في هذا المجال هي ان نضع أمامه امرين أو ثلاثة أمور مدروسة وصالحة ونتركه يختار واحداً منها بحرية، فمثلاً نقول: امامك هذان العملان فانت مخيّر بين غسل الاواني وتنظيف الغرفة ـ فأيهما تختار؟

ولحسن الحظ فان الرغبة امر اكتسابي، وقابلة للنفوذ والإجراء عن طريق التلقين، ويمكن ايجاد مناخها المناسب لدىٰ الطفل. وغايتنا من تربية الشعور بالمسؤولية لدىٰ الطفل:

لا بد أن نتحدث عن عدة مسائل في هذا المجال اهمها عبارة عن ما يلي:

١ ـ السعي الى ان يعتمد الطفل على نفسه وعمله اثناء تربية روح المسؤولية، فيثبت حين تكون المقاومة والاستقامة واجبة، وعند المطاوعة يجب عدم الوقوع في الحيرة والارتباك.

٢ ـ ترسخ المسؤولية لدىٰ الشخص حينما يكون ضميره راضياً عن قبولها والعمل بها، ويشعر بالرفعة. ففي مثل هذه الحالة لا يحتاج الى متابعة واشراف الآخرين، بل يكون الدافع ذاتياً ومنبثقاً من أعماقه. فقد قيل للنبي(ص) ان الله غنيّ عن صلاتك فلماذا ترهق نفسك؟ فقال(ص): صحيح ان الله غني عن عبادتي. أفلا أكون عبداً شكوراً؟!

٣ ـ ان يصبح اداؤه للمسؤولية كعادة بحيث يصبح تركه لها ألماً وعمله بها راحة.

٤ ـ ان تكون المهمة هادفة بحيث يكون قادراً فيما بعد على اجراء خطة

او تنفيذ مشروع، فحينما يطرح عليه موضوع القيادة فهو يمتلك المقومات والاسس الكفيلة بنجاحه فيها. وعندما يتوجب عليه ان يكون تابعاً فهو تابع مفكر وعاقل. وكذا هو الحال في الحقل المادي؛ اذ ينبغي ان تكون المهمة او الواجب المادي المكلّف به منطوياً على ما يؤدي به الى الانتاج والابداع.

٥ ـ ان تقترن المسؤولية بالوعي والايمان، والا فهي تفضي بـه الى بـعض المخاطر. فما اكثر المفاسد والانـحرافـات التـي تـنشأ مـن الجـهل وعـدم التحسب للعواقب الوخيمة له.

فالبعض لا يتورع عن الخيانة والفساد لعدم اعتقاده بوجود العقوبة ازاء تلك المسؤولية، واذا كانت عقوبة فهي تافهة ويمكن تجاوزها.

٦ ـ يجب تعليم روح المسؤولية للطفل باعتبارها تكليفاً، ابتداءً من كيفية ارتداء الملابس وتصفيف شعر الرأس؛ وحلاقة الرأس وترتيب الهندام وان يعتبر ذلك واجبا. واذا لم يقم يـوماً بـهذه الواجـبات يـتصور بأن الجـميع ينظرون اليه بـاحتقار. فـيجب ان يـتصرف كـذلك ازاء المسـؤولية بـحيث يتجسد امامه هذا التصور وهذا التفكير لو قصر يوماً في اداء واجبه.

فحينما تصبح المسؤولية تكليفاً، تتخذ النشاطات طابعاً ذاتياً. فلا وجود للكسل والضجر الروحي، اذ يتساوى لديه العمل المريح والمرهق.

فالامام المجتبىٰ(ع) يصالح ولايـندم عـلى عـمله بـالرغم مـن تـعرضه للتجريح. والامام الحسين(ع) يستشهد دون ان يتأوه للجراح التي اصـابته. ويتعرض الامام السجاد(ع) للمضايقة والاذىٰ، الا انه لم ينشغل الا بما كان ينبغي أن ينشغل به، على الرغم من قدرته على التملق واستنقاذ نفسه، ولكن

هيهات ان يصدر منه عمل كهذا.

٧ ـ واخيراً يجب ان تكون تربية الشعور بالمسؤولية بنحو يعتمد فيه الشخص على الله مع اعتماده على نفسه، فهو يسعى، وفي نفس الوقت، يطلب العون من الله، يرجو رضاه، ويبلور ارادته وأفكاره في ذهنه، وبعبارة اخرى انه لا يرى نفسه وحيداً ولا يحصر نفسه في قالب العقل والشعور فقط.

□ العوامل المؤثرة في ايجاد وخلق روح المسؤولية:

هنالك عدة عوامل تتدخل في ايجاد روح المسؤولية، فيما يلي بعضها:

١ ـ يلعب عامل المحبة دوراً حيوياً، وبه تُحل الكثير من المشاكل، فنادراً ما يتعسر حل المشاكل اذا ما توفر الصدق والاخلاص والمحبة. فقد اثبتت دراسات (سوركين) ان التربية التي تتم في احضان والدين يتّسمان بالرحمة والشفقة هي اهم وسيلة لايجاد روح المسؤولية. واثبتت البحوث الأخرىٰ ان اكثر الاشخاص شعوراً بالمسؤولية اولئك الذين نشأوا في عوائل تغمرها السعادة والتآلف فعليه ينبغي التزام جانب الحيطة من أجل ايجاد روح المسؤولية ويجب ان يكون الكلام صادراً عن القلب وعن ثقة ودقة. ولنقل باختصار باننا لو عجزنا عن ابداء واظهار المحبة لاطفالنا فلنعلم بانهم لن يكونوا قادرين على تحمل اي واجب او مسؤولية.

٢ ـ عدم ترك الطفل وحيداً اثناء تكليفه بالواجب أو المسؤولية بل اجعلوا له شريكاً ومعينا. ومن الافضل ان يكون هذا المعين أخوه أو أخته وهذه

واحدة من وصايا المربين في ضرورة انجاب اكثر من طفل واحد. فوجودالشريك والمعين يخفف من ثقل المسؤولية على الطفل ويبعد عنه روح التكاسل.

٣ ـ كونوا نماذج صالحة لايجاد الشعور بالمسؤولية. أدّوا واجبكم بإتقان. لا تضجروا من ثقل المسؤولية بالرغم من صعوبة وإرهاق العمل.

٤ ـ تجنبوا الاخطاء التربوية التي تؤدي الى سوء التربية في مجال المسؤولية. ومن بين هذه الاخطاء اللجوء الى اساليب شاقّة وايحاءات سيئة في تفويض الواجب والمسؤولية. فتقول مثلاً، ان عملك مرهق لا يطاق، وانت وحدك الذي تتمكن من انجازه بتضحياتك وصبرك.

فقبل القيام بمثل هذه الدعايات، علينا ان نسأل أنفسنا عن ماهية اسباب صعوبة العمل.

من البديهي ان العمل يسير بالنسبة لمن يعرف التكليف. فيجب ان نبدل استخدام الكلمات المستخدمة (السهل والصعب). ويجب افهام الفتيان بان التحلل من المسؤولية امر صعب، ولا يمكن للانسان العيش بلا عمل، وليس من اليسير التخلي عن التكاليف والالتزامات، والاّ فإن الالتزام بالتكليف ومعرفة المسؤولية امر يسير للغاية، والعمل بالواجب بسيط جداً.

علىٰ أية حال، فإن الايحاء بصعوبة اداء المسؤولية يؤدي بالمرء الى التهرب من قبولها. وهذا ما يدفعه الى تصور نفسه مرهقاً ومنهكاً على الدوام. اما اذا وصفناها بالبساطة والسهولة فهو يُقبل عليها بكل رغبة وسرور.

◻ الارضية اللازمة لتربية الشعور بالمسؤولية:

والمقصود هو وجود الارضية والامكانيات التي يكون قبول المسؤولية من دونها محفوفاً بالمشاكل والمصاعب، ويمكن تلخيص اهمها بما يلي:

١ ـ لمعرفة المسؤولية علاقة مباشرة بالصدق والاخلاص، ولهذا فمن الضروري توفّر ارضية الصدق والاخلاص لدىٰ الشخص كي تتم مراعاة الحق والصواب في جميع الأحوال.

٢ ـ ان الانسان بحاجة الى التحكم في زمام نفسه، وهذا التحكم يحصل في ظل وجود القدرة والارادة. ولهذا فان ضعف الارادة يعيق عن القيام بالمسؤولية؛ وهذا ما يوجب على المربي مكافحة هذه الظاهرة .

ويمكن بلوغ هذه الغاية من خلال تقوية الارادة الذاتية وإحياء الضمير ومجاهدة الاهواء النفسية والكسل.

٣ ـ ان اللين والمحبة والاحسان وتعزيز مبدأ العدالة، تعتبر من الاسس المهمة للغاية لتحقيق العوامل الهادفة الى تعميم روح الشعور بالمسؤولية.

٤ ـ لا بد من الاعتقاد والايمان بمبدأ عام توضع كل الحسابات باسمه، وترتبط باسمه كل مشاعر الفرح والحزن. ففي ظل الايمان يمكن تعليم الاشخاص على تحمل المسؤوليات الفردية والاجتماعية المختلفة وانجازها على أفضل وجه.

اما في حالة عدم انجاز الواجب والمسؤولية: - اذ من الممكن ان لا يقوم الاطفال بأداء المهمة المناطة بهم، ويجب ان نعتبرذلك تخلّفاً منهم. ولكن

ما هو الموقف والعمل الذي يجب القيام به في مثل هذه الحالة؟!

قبل الاجابة على هذا السؤال، علينا أن نرىٰ لماذا يقصر المرء في انجاز المهمة الموكولة اليه؟

بمقدورنا طرح ثلاثة اجوبة لهذا السؤال، وهي:

١ ـ الجهل: اي انه يحتمل ارتكابه الخطأ في ادائه للواجب أو التكليف وفي هذه الحالة يجب اصلاح الخطأ المرتكب بهدوء، واعادته الى جادة الصواب فلا شك ان اي نوع من الكلام البذيء والتجريح والعقاب بحق هذا الطفل يعتبر خطأً تربوياً فاحشاً.

٢ ـ **العجز**: اي ان القيام بالمسؤولية خارجٌ عن طاقته، كأن يطلب من طفل يبلغ الرابعة من عمره رسم وردة علىٰ الورقة، أو ان يأخذ وعاءً الى باحة الدار المظلمة. فمن الواضح ان مثل هذا الطفل عاجز عن اداء هذه المهمة، وان الضغط الذي نمارسه عليه وإكراهنا له يعتبر ـ في مثل هذه الحالة ـ ظلماً له أو جهلاً منّا بحقّه.

ان مراعاة متطلبات العمر في اعطاء الواجب مهم جداً، كما يجب ان تناط المسائل والاعمال بالتدريج وفي ظل التجربة والتدريب، ليتحفز الطفل على انجازها.

٣ ـ انعدام الرغبة: اي عدم رغبته في تقبل المسؤولية وانجازها وهنا يجب منحه الحق، فهو أولاً لا يزال في طور الطفولة، وكل ألوان القيود تخالف نزعته الاستقلالية وتثير في نفسه الضجر والاستياء.

وثانياً: يجب البحث عن اسباب ذلك ومعرفتها، اذ ينبغي معرفة هل أن

الدوافع الكامنة وراء ذلك هي الجهل او العجز ام انها البلادة والاهمال؟

اما مسألة العقوبة فهي لا تطرح الا في الحالة الاخيرة فقط، وهذه ايضاً لا تجري الا على صيغ ومراحل نشير اليها فيما بعد لنعلم بادىء ذي بدء ان فرض المسؤولية وتحميلها عن طريق الاكراه لا يجلب الظفر والنجاح للوالدين ابدا؛ وذلك لانهما لا يستطيعان ملازمة الطفل على الدوام، فمتى زال الضغط يعود الطفل الى عادته.

وثالثاً: ان استخدام الضغوط قد يولّد لديه روح العصيان والتمرد، مما يؤدي الى إعراضه وتهربه الدائم من العمل والمسؤولية.

رابعاً: ومن الممكن ان تحصل لديه حالة من التسيب وعدم الاكتراث بالأوامر والنواهي مما يفرز نتائج معكوسة، وتمسي الحالة اكثر وخامة؛ وهذا بعينه نقض للغاية التربوية.

واخيراً، يجب على الوالدين السيطرة على عواطفهم ومشاعرهم والتمسك بمنهج واسلوب اكثر تعقّلاً.

اما الاسلوب الذي نسلكه ازاء تهرب الطفل من تحمل اعباء المسؤولية في اعقاب النصائح والمواعظ، فهو اسلوب العقوبة.

وغايتنا من العقوبة هو تمهيد الارضية لايقاف الطفل على خطأه لكي لا يكرره ثانية. وقد يكون هذا العقاب بشكل تذكير، انتقاد، عقوبة، قصاص، صفعة، ... او الحرمان من شيء محبب لديه، و... وهذا ما يتوقف على رأي المربي الواعي الذي يعرف ما هو الاسلوب الذي يسلكه.

□ علائم الانسان المسؤول:

وددت في ختام البحث ان اوضح علامات الانسان المسؤول لكي تكون منطلقاً للتقييم وتلافي الخطأ اذا ما وقع، ولنسير ـ نحن واطفالنا ـ على هذا الاساس.

ـ فالانسان المسؤول قوي روحياً، حتى وان كان ضعيفاً بدنياً.

ـ جريء بالرغم من ضعف حالته المادية.

ـ ينجز مهمته بذكاء، وفي حدود مسؤولياته فقط. وصامد ومثابر في سبيل انجاز هذا التكليف.

ـ لا يدخله السرور من الانتصارات والمنصب والجاه والابهة فسروره في اداء تكليفه، ولا تمنعه العوائق ولا المرض ولا فقدان الأعزة ولا الجوع والعطش، ولا سلبه الدرجة والمكانة، ولا الازعاج والتجريح.. كل ذلك لا يؤثر فيه. بل ان ابتعاده عن الواجب وحده هو الذي يبعث في نفسه الألم والاستياء.

ـ لو تهيأت له الفرصة لاداء واجب ما فهو يؤديه؛ وان عجز عن ادائه تألم ومرض لذلك.

ـ نهجه نبوي فهو«ص» يفكر بوجوب تحمل مسؤولية هداية الأُمة، ويصنع من افراد البشر اناساً بمعنى الكلمة. وحينما يرى نفسه عاجزاً امام ذلك، يتألم ويبكي، الى الحد الذي تنزل سورة «طه» فتقول **﴿طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾**

ـ واخيراً؛ فالانسان المسؤول لا يضل هدفه ابدا، لا في السراء ولا في الضراء، ولا حتى عند الموت؛ بل يصون هدفه حتى في حالات الشدة والحزن والأسىٰ. فان كان هدفه رضوان الله فهو يقول ـ حتى لو كان مخضباً بدمائه او مطروحاً على الثرىٰ ـ:«الٰهي رضاً بقضاك وتسليماً لامرك، لا معبود سواك».

٩ ـ التربية فيما يخصّ القيم

٩ - التربية فيما يخصّ القيم

مقدمة:

ان مسألة القيم من المسائل الاساسية التي تبحث في الفلسفة ويتم بحثها وتحليلها تحت عنوان علم القيم Axiolog . ان المقصود من القيمة هو الشيء الذي اذا صدق على أمر ما، أضفى عليه جلالاً وقدسية. وبعبارة اخرى: فالانسان يثمن ويقيّم ما يعتبره قيّماً.

ان مسألة القيم تحظى باهمية فائقة في جانب الثقافة الاجتماعية لأن كل مجتمع يتمسك بمجموعة من القيم المنبثقة عن فكره ومعتقده، وعليها يبني اهدافه في الحياة، وبهاتوزن جميع انشطة وسلوك وأفعال ابناء المجتمع من حيث حسنها او قبحها، وخطاها أو صوابها.

ففي موضوع التربية يتركز البحث عن القيم في مجال الافعال والسلوك وكذلك في الأخلاق، فالبحث يدور حول سلوك الحسن او القبيح. وعلى العموم فان كل الدراسات المتعلقة بحياة الانسان تدور في الإطار العام للأفكار، ولا يشذ عن هذا الموضوع اي عمل او حديث.

واما من الناحية التربوية، فمن الضروري اجراء البحوث والتحليلات في مجال القيم؛ لأن جيلنا الناشيء سيواجه الناس والاشياء الواقعية ووقائع المجتمع - عاجلاً ام آجلا - فيضطرون الى تحكيم القيم على أنفسهم وعلى أفعالهم في هذا المجال.

□ مسألة القيم:

على هذا الاساس، من الضروري ان نوضح حدود البحث أولاً من حيث المعنى والمفهوم، ونرىٰ ما هي الجوانب التي ينبغي بحثها منه.

يمكن القول في تعريف القيم أنها الشيء الذي يدلل على أهمية وقيمة امر مهم من ناحية التقدم والتأخر؛ او يمكن القول ان القيمة نوع من المعايير والملاكات لتشخيص الثمن المادي او المعنوي للأشياء ـ وعلى اساس ذلك يتحرك المرء نحو العمل والاجتهاد ويسعىٰ في نيلها.

فنحن نهتمّ بموضوع القيم في اعداد الثياب والطعام والمنزل، واختيار الفرع الدراسي، والزوج، والعبادة، والخدمة، والحرب والسلم، وفي جميع الأمور المتعلقة بحياتنا؛ فندرك من خلال ذلك قيمة اي امر، كما اننا نقوم بنفس العمل حين محاولتنا المفاضلة بين أمرين متساويين في الظاهر؛ لنعرف ايهما اكثر قيمة فنجتهد في نيله.

وحتى لو اننا انهمكنا في اصدار الاحكام على مسألة ما من حيث حسنها او قبحها وخطأها او صوابها، فاننا منهمكون في الحقيقة بتعيين قيمتها مستهدفين من وراء ذلك معرفة مدىٰ القيمة الحقيقية. او عندما نقول بوجوب تربية الطفل على هذا النمط، وضرورة الابتعاد عن ذلك الاسلوب التربوي وتحاشيه، فمعنى ذلك اننا نثمن الاسلوب الذي نرتضيه ونحبّذه.

والمسائل المطروحة بخصوص القيم هي هل أنّها عينية ام حقيقية؟ وهل انها فردية ام اجتماعية؟ مطلقة ام مقيّدة؟ وهل هي امور اعتبارية ونسبية ام

مطلقة؟ وهل منشأها العقل ام الذهن؟ أم التجربة ام العاطفة؟ و... الخ.

ونحن لا نتطرق هنا الى جميع البحوث سوى بالقدر الذي يقتضيه الموضوع.

ان اساس التفكير في القيم منبثق عن الرغبة في الاختيار فنحن نريد ان نرىٰ ما هو الامر والمسألة التي يجب اتباعها وما هي الجوانب التي يجب الاهتمام بها؟ وأي الأعمال اكثر قيمة بالنسبة لنا؟ واي اسلوب يجب اتباعه بحيث يكون اقرب الى القيمة والمنفعة؟

□ منشأ القيم:

ففي نظر التربية والمربي، من الضروري معرفة منشأ القيم، لأجل ايجاد المنهج الذي نسير وفقاً له ومعرفة ما هي المواقف التي يجب اتخاذها على اساس ذلك؟ حتى نصل في هذا البحث الى ضرورة انبثاق القيم من أحد المصادر التالية:

١ ـ **عقل وفكر الانسان**: الذي هو حصيلة التجارب والرؤىٰ والنظرة الكونية ، وسعة الفكر او محدوديته، وكيفية فهم الفرد للقيم، والفلسفة العامة السائدة على الأرض، وتاثرها بالسلوك الاجتماعي والاحداث الطارئة، ونمط التربية والوضع الاقتصادي والرؤية الاجتماعية و... الخ.

ولو اننا اردنا الاستفادة من مثل هذا المصدر وجعله قاعدة نشيد عليها بناءنا التربوي فلن ينتج عنه سوىٰ الدماء والفوضى والاضطراب والشقاء.

فاذا تقرر ان يتربى كل شخص على اساس اهوائه وميوله، فلن يكون هناك سلم ولا استقرار.

٢ ـ **الفلسفات الاجتماعية السياسية**: ويتلخص الرأي هنا بعدم قبول الافكار الجماعية او الفردية التي يعرضها اصحاب المذاهب والمشارب والفلاسفة من امثال الماركسية اوفلسفة هيجل، او الأراء الشخصية لابن سينا، او الغزالي، او الملا صدرا وغيرهم فهذه الافكار لا تتسم بالأصالة من الوجهة التربوية، وذلك للاسباب التالية:

ـ ان الآراء والنظرات الشخصية محدودة.

ـ عدم امتلاكهم للرؤية المستقبلية وجهلهم بالماضي الذي يجب ان يكونوا على دراية تامة به. فالانسان لا اِلايعدو ان يكون حلقة وصل بين الماضي والمستقبل.

ـ عدم اطلاعهم على جميع ابعاد وجود الانسان؛ ولهذا فلا يمكن ان تكون آراؤهم قطعية.

ـ ان اغلبهم ذائبون في قوقعة حب الذات وعبودية النفس وهذا يحجب عنهم رؤية الآخرين.

ـ وقع بعضهم تحت تأثير المنصب والقوة، وهذا بمثابة الساتر الذي يغطي ابصارهم.

ـ واخيرا، فهم غير مصونين من الخطأ والزلل، سيما وان تفكيرهم لا يتجاوز المقطع الزماني والمكاني.

٣ ـ **الدين والوحي**: حيث يعتبر المصدر الوحيد والقاطع لتعيين القيم، لأنّها موضوعة ومنزلة من قبل خالق البشر وصانع الكون والذي لا يرتجي

منه سوىٰ الخير.

وعلى هذا الاساس، فاننا نضفي اصالة على هذه الجوانب في التربية ونعتبرها مصدراً نستلهم منه القيم.

ولا بد ان نعلم ـ في نفس الوقت ـ ان المصادر الاخرىٰ التي نطرحها كالظروف الاجتماعية والاوضاع النفسية وتداعي الافكار، والاسس المنطقية للرسوم والتقليد وتشريعات مجالس النواب وآراء اصحاب السير والسلوك، والتي لا يحظى اي منها بالاصالة.. يمكن ان نستلهم منها بعض الافكار شريطة. ان لا تتعارض مع احكام الدين.

□ التربية والفضيلة:

لا شك ان التربية يجب ان تستبدل القيم السقيمة بالقيم السليمة، فتنقل كل ما هو جميل الى الاجيال، وتُشخِّص مفاسد وعيوب كل مجتمع، وتعلم الناس بكل ما ينبغي أخذه، وما يجب رفضه.

ان الاهداف التربوية يمكن ادراكها من خلال القيم المخبوءة في الأفكار التربوية. وعلى العكس من ذلك، يمكننا ادراك القيم الموجودة في كل مجتمع من خلال الاهداف التربوية والمناهج والمضامين الدراسية والنظام التربوي والاساليب المستخدمة في التربية وكيفية التعامل مع التلميذ.

ونحن في المجال التربوي نسعى لدفع الافراد الى التحرك صوب الاهداف المنشودة، مع الاخذ بنظر الاعتبار القيم المستهدفة من ذلك التحرك. ويجب ان تنصب الجهود على ان نجعل من افراد المجتمع مظهراً لتجسيد القيم الدينية السليمة.

وفي الحقيقة، فاننا نربي ابناءنا على رعاية القيم المقبولة لديهم ونعدّهم لمسيرة تكون فيها الغايات والاهداف واضحة المعالم، وكيفية السير والسفر في هذا الطريق واضحة، وقائمة على اساس القيم، وكذلك طيّ الطريق مع التمسك بالاهداف التي تقوم على اساس القيم المنشودة لذلك، مثل السلم والحرب، الهدم او البناء، والشعور بالمسؤولية او تجاهل الامور.

◻ اهمية القيم:

ان الانسان يستثمر القيم دائماً كمعيار لجميع الاعمال والتصرفات، ويعتبرها ميزاناً لكلامه وكلام غيره، ومقياساً لترجيح امر على آخر.

ان جميع امور حياتنا من العمل والزواج والدراسة والعلاقات الفكرية خاضعة للتقييم. فالقيم تضفي صبغة على الحياة وتدفعنا الى اصدار الآراء والاحكام وعلى اساسها تبنى كل مشاريعنا واعمالنا. وتتأطر بإطارها مشاعرنا واعتقاداتنا وأفكارنا.

فنحن نستطيع من خلال القيم ان نعلم الافراد ما هي الضرورة في وجوب تقبّلهم المسؤولية، ولماذا يجب عليهم مراعاتها، والالتزام بها؟ لماذا يجب ان يعملوا، ويتعلموا، ويتحلّوا بالأدب؟ وأخيراً: فانها على قدر من الاهمية يمكن الادعاء ان القيم اذا تداعت في مجتمع ما فان ذلك المجتمع يتراجع القهقرىٰ وتسوده الفوضى والارتباك وتتشابك فيه مفاهيم المعروف والمنكر.

□ انواع القيم:

تقسم القيم الى قسمين: المطلقة والمقيّدة.

والمقصود من القيم المطلقة هي تلك القيم التي تمثل القاعدة والاساس للحضارة الواقعية البشرية. ومن اجل بلوغها يضحي الانسان بالكثير، ومنها الحقيقة، والاخلاص، والجمال، والعلم، والعدالة، والاخلاق والدين؛ ومن اجلها يترك الانسان سلامته الشخصية وزوجته، واطفاله، وماله، وحياته، ويتجه نحو التضحية والشهادة.

والمقصود من القيم المقيدة (او النسبية) هي التي تؤمّن السعادة الشخصية للفرد. أو تؤثر في توفير احتياجات مجموعة من الناس، ويحتاجها الانسان من اجل مواصلة حياته، ويسعىٰ للحصول عليها والقيم المطلقة مرتبطة بالدين او بالفلسفة العامة، وتقوم القيم المطلقة على اساس من الضوابط العقلية، وتؤيدها التقاليد والأعراف ويجب التركيز من خلال التربية على نشر القيم المطلقة وتقييد القيم المقيدة بضوابط وشروط معينة.

وقد تكون القيم في نظرة اخرىٰ عالمية او اقليمية، كالأمانة والصدق والدفاع عن شرفه القيم العالمية، بينما تعتبر خدمة الضعفاء والمعوزين عملاً ضعيفاً او اقليمياً.بل يمكن ان تعتبر مساعدةالفقير فيبعض المناطق خيانة له.

وعلى هذا الأساس يمكن ان تكون القيم فردية او جماعية او نفسية او دينية او سياسية او اقتصادية او ثقافية، ثابتة او متغيرة .

وهنالك بحوث فلسفية بخصوص كل منها، وما مطروح في التربية في نظرنا هو ما يستند الى القيم التي يؤيدها الدين والضوابط الدينية. وبالطبع، فان بقية القيم ـ بالرغم من اتصافها بالقومية الا انها مرفوضة، كالقفز على النار يوم الاربعاء الذي يصادف يوم الثالث عشر من الشهر الاول، وغير ذلك.

□ درجات الفضائل:

لا تتساوىٰ جميع الفضائل الموجودة في المجتمع او العقيدة من حيث القيمة التي تعطى لها. فالمساواة ـ مثلاً ـ هي فضيلة، الا ان المواساة قيمة عليا؛ والايثار قيمة اعلى منها. ومساعدة الفقيرة حسنه، الا ان اقتلاع جذور الفقر أحسن. والتصدي للفاسد واجب لكن مكافحة بؤر الفساد اكثر اهمية وقيمة.

ان المذاهب والمجتمعات تتشابه في الظاهر في ترتيبها لدرجات القيم، فيعتبرون بعضها اكثر اهمية؛ وهذاالامر يبرز تماماً في مجال الطعام والثياب والمسكن والعبادة وخدمة الناس والتعاون والتضحية، وكذلك في الآداب والتقاليد والشعائر.

ففي الاسلام. مثلاً ـ تعتبر صلاة الليل والاذكار والدعاء فضيلة، ودفع الخطر عن المؤمن فضيلة اخرىٰ، الا ان الثانية اكثر اهمية في مقام التسلسل. ففي الحالات الضرورية يجب ترك صلاة الليل وانقاذ حياة المؤمن.

فنحن نسعى من خلال التربية الى مراعاة الأولويات في سلّم الفضائل، وكذا الاهتمام بالدرجات في بيان القيم. فلا ننسىٰ في تعريفنا لكل مسألة ان

هنالك ثلاث درجات هي المهم والاهم والاكثر اهمية. كما اننا نعين الجانبين السلبيين للقيم ـ المكروه والحرام ـ ونتجنب الانتقال من الواقع الفاسد الى الأفسد.

□ تغيير وتبدل الفضائل:

ان القسم الأعظم من فضائل الانسان لا سيما في المجتمعات غير الدينية تمر في حالة تغير وتبدل. وهذا التغير يحدث بسبب تغير الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع.

وبالطبع، فان القيم المطلقة ثابتة ولا يحصل فيها تغيير وتبدل من ناحية الاصالة، الا ان الاختلاف يحصل في الفهم والتطبيق حيث تؤثر نتائج ذلك في القيم.

ومن ناحية اخرى، فان نوع القيم يتغير تبعاً لفقر الانسان وغناه، فما دام الانسان فقيراً فهو يتبع نوعاً من القيم، وعندما يصبح ثرياً يفكر بنوع آخر من القيم التي تتناسب وطبقته. وكذلك فان الذين يعيشون في مجتمع ما، يقدسون القيم التي يحترمها ذلك المجتمع. واذا ما انتقلوا الى مجتمع آخر، اختاروا القيم التي تؤمن بها الجماعة التي انتقلوا اليها.

وهناك ظروف تؤثر في هذا الامر كالحرب والسلم والاختراعات الحديثة والتقدم والانتقال من الزراعة التقليدية الى الصناعة، وبروز التغيرات التاريخية في المجتمع البشري والتجارب الحديثة.

ولا بد من وجود الرقابة على نوعية القيم الجديدة، من الوجهة التربوية على الأقل، لغرض تحديد نوع القيم التي يجب حجبها، والقيم الاخرى

السليمة التي لا ضرر في دخولها الى ميادين الحياة الاجتماعية.

□ العوامل المؤثرة في القيم:

بناءً على ذلك، يمكن القول ان هنالك عدة عوامل تؤثر في قيم اي مجتمع او جماعة من الناس، وهي عبارة عن:

- **السنّ**: فلكل سن مقتضياته الخاصة، وينجذب افراده لقيم خاصة. فالطفل يصبو الى الشيء الذي يهرب منه غيره.

- **التكامل**: والمراد به التكامل الجسمي او النفسي او الفكري، فقصير النظر يسعىٰ الى نوع من القيم خلافاً لمن يمتلك سعة فكرية وبعداً في النظر .كما يؤثر الضعف او القوة الجسدية ووجود المعنويات او عدمها في هذا الأمر.

- **الوضع الثقافي**: فأعضاء العائلة التي تتمتع بمستوىٰ ثقافي متدنٍ ليسوا كافراد العائلة التي تتحلىٰ بثقافة متطورة.

- **الوضع السياسي**: فالمجتمع الذي يعاني من الأزمات يعيش قيماً خاصة غير قيم المجتمع الذي يعيش الانفتاح.

- **فلسفة الحياة**: فيؤثر نوع الفلسفة التي نختارها لحياتنا في نوع القيم التي نحبذها.

- **الحاجة**: فالحاجة ـ بمعناها العام ـ تؤثر في القيم التي ينشدها الأفراد.

- **التغييرات** ـ بالمعنى العام للكلمة وتشمل الاجتماعية منها والسياسية بل وحتىٰ البيئية والمناخية.

وعلى هذه الشاكلة، فهنالك الكثير من العوامل الاخرى التي ذكرت

بشكل عام، والتي تؤثر في القيم، وتضع المربي امام مسائل معقدة في هذا المجال، وفي السيطرة على القيم. ولا شك ان كثرة العوامل تؤدي الى شدة المواقف وصعوبتها والى مضاعفة عمل المربي.

□ الحياة والقيم:

يسعى ابناؤنا ـ منذ السنوات الأولىٰ للتمييز والمراحل الاولىٰ للبلوغ ـ الى معرفة فلسفة الحياة وعللها، وبالطبع فانهم لا يعرفون القيمة الحقيقية والثمن الواقعي للحياة. وحتى انهم يعتبرون الانسان أعلى مرتبة من الحيوان، الا انه اقل درجة من الانسان الحقيقي، وهم يسندون في ذلك الى مزاياه المادية لا المعنوية.

فهم يشعرون في هذه السنوات بأن امامهم مسائل جديدة واسئلة يجب الاجابة عليها، ولا علم لهم بأصل الحياة وهل يقوم على اللذة ام المصلحة؟ ولا يدرون علام يستندون؛ على الواقع ام على الحقيقة؟ حتى ان بعضهم يتصور الحياة شيئاً تافهاً لا معنىٰ له وقضية لا تستوجب الاهتمام.

وتقوم عقائدهم وافكارهم على اساس الجوانب التجريبية كما تتجانس مع ما يقال ويُسمع؛ فهم يريدون ان يحصلوا بين هذا وذاك على شيء ما، وهم بحاجة ماسّة للدليل في اختيار فلسفة الحياة ومعرفة قيمتها. وقد تحرفهم الغفلة عن جادة الصواب او تجرفهم الى وادٍ آخر.

وهم يحددون توجهاتهم على اساس الحكم الذي يصدره الوالدان والمربون على القيم، يفكرون مع انفسهم هل يتقبلون اللذة أم يجتنبوها؟ ويولون اهمية للاهداف التي نختارها لهم، وتنفذ الى جميع زوايا حياتهم

واذهانهم، ويرون من الضروري أن نضع بين ايديهم الموازين اللازمة باعتبارنا مربّين لهم، كي يستطيعوا تحديد الفضائل التي يحتاجونها ويختارونها.

□ مصدر استلهام القيم:

ان الاجابة واضحة عن المصدر الذي يأخذ أبناؤنا منه قيمهم؟ فهنالك ثلاثة مصادر للقيم بالنسبة لهم، وهي

١ ـ **الاسرة**: وهي اقوى واهم مصدر للقيم بالنسبة للابناء فالطفل، وخصوصاً في المراحل الاولى من حياته يتعلم كل شيء من العائلة، فهو يتعلم ما يقوله الوالدان حسناً كان ام سيئاً. ان اهمية دور العائلة في تركيز القيم لدرجة يمكن القول انها تحافظ على اعتبارها حتى نهاية العمر.

فالعائلة التي تعيش حياة مادية، وتسيطر على الوالدين حالة اللاابالية وانعدام الدين، والأسرة التي تسودها القيم المتضادة والمتناقضة... يعيش اطفالها حالة من الضياع والانحراف ويقضون حياتهم على هذه الشاكلة حتى يحل اليوم الذي تتوفر فيه امكانية البحث والتقييم بالنسبة لهم في محيط آخر، فيعودون الى جادة الصواب.

٢ ـ **المدرسة**: فبالنسبة للابناء الذين بلغوا سني الدراسة تُطرح مسألة المعلم والمدير والمرشد والمستخدم . فاذا كانت مناهج المدرسة استمراراً لنمط التربية في البيت فلن تحصل اية مشكلة، اما اذا كانت هنالك اختلاف وتعارض، فلن يجني الطفل غير الضياع .

فطريقة سلوك المعلم واسلوب تدريسه وطرق الاصلاح والبناء التي

يتبعها، والاوامر والنواهي التي يصدرها المدير والمعاون، ونوعية التصرفات التي يشاهدها من زملاء المدرسة، والمضامين التي تحملها الدروس، والاهداف التربوية، او قل النظام السائد بشكل عام و.. تعتبر كلها وسطاً ناقلاً للقيم الخاصة بالطفل، والتي قد تكون بمجموعها عاملاً في بناء اوتدبير شخصيته. ولا ننسى ان زيادة تسلط ونفوذ اي من العائلة والمدرسة يؤدي الى رجحان كفة القيم التي تطرحها الجهة الاكثر نفوذاً وتاثيراً.

٣ـ **المجتمع**: والمراد به الثقافة التي تسود ابناء المجتمع. وتطرح فيه مسألة الفن والادب والاعراف والتقاليد والعلم والفكر والسنن و...

فهذه الاجواء والمفاهيم تنتقل الى الابناء من افرادالمجتمع، وبالخصوص رهط الزملاء. ويجب ان تخضع للضوابط. فابناؤنا معرضون لتأثير افكار الآخرين وايحاءاتهم منذ بلوغهم سن التمييز، حيث تؤثر فيهم وسائل الاعلام من صحف ومجلات وكتب وبرامج اذاعية وتلفازية... ولا يقل مدىٰ تأثيرها عن الدور الذي تؤديه العائلة.

□ مراحل بلورة القيم:

هناك فرق في انواع القيم التي يتقبلها الافراد في مراحل الحياة المختلفة. فكثير من القيم المعتبرة في مرحلة، تناقض القيم المعتبرة في غيرها.

فالدمى بالنسبة للطفل قيّمة، لكنها ليست كذلك بالنسبة للسياسي العجوز وكذا الحال بالنسبة للركض العبثي وغيره من الاعمال الاخرىٰ غير الهادفة .

١ـ **في مرحلة الطفولة**: لاغلب القيم الشائعة في هذه السنين طابع مادي وحسي وذوقي ولمسي. فالشيء الذي يحظى بقيمة لدىٰ الاطفال هو ما

يمكن تذوقه والتلذذ به كالطعام والشراب والرضاعة.

ومن غير المعقول ان نتوقع منه شيئاً يتّسم بالاخلاص والتضحية والايثار والمساواة والمواساة و... فمنطقهم هو منطق يتعلق بذواتهم، وعقائدهم مزيج من عقائد الوالدين وثقافة المجتمع والتعاليم الرسمية والتجارب الشخصية ونظرتهم الطفولية للعالم. وان عمرهم وعقلهم وتجربتهم لا تسمح لهم بالتفكير بما وراء المادة، ونظرتهم لا تتجاوز حدود المأكل والملبس. وبالطبع فان تاثير الكبار عليهم قوي للغاية؛ وفي بعض الاحيان يجبرون انفسهم على اتباع ما يؤمرون به.

٢ ـ مرحلة المراهقة:

ان موقفهم ازاء القيم بنحو يمكن القول عنه انهم يرون ان كل قيمهم معرضه للخطر والتشكيك، وهم يسعون الى تقييم انفسهم ليروا ماهيتهم ومدىٰ قدرتهم.

من الضروري اعانة الشاب لمعرفة الحقيقة وطلبها، وكذلك لمعرفة معنى ومفهوم الحياة. وهي صعبة في نفس الوقت؛ لانه كثيراً ما يلاحظ انهم لا يفرقون بين الوهم والخيال، والواقع والحقيقة، أو لا يرون تمايزاً بينها. وان حكمهم على الامور سطحي، حتى ان أغلبهم يتبعون رأي الاكثرية في تقبلهم للدين والتعاليم؛ فهُم مع الاكثرية اين ما كانت، وذلك ما يجعلهم يشعرون بمزيد من الأمان.

انهم يشعرون في هذه السن بالحاجة الى الدين ويتقبلون القيم الدينية بكل بساطة، حتى انّهم اكثر تحملاً من الآخرين ازاء التعاليم الدينية وقيمها.

ويتمكنون ببساطة من أقلمة أنفسهم مع ضوابط الحياة الدينية.

فمن خلال استثمار هذه الارضية الشعورية والعاطفية يمكن تعليمهم طريق الحياة وتعبيد طرق الحياة المعنوية أمامهم.

٣ـ في مرحلة الكهولة:

ان المرء في هذه المرحلة يصل الى وضع يكون فيه محّص الدنيا الى حد كبير، وصار لديه فهم لمسائل الحياة، ويستطيع ان ينال قيمه الشخصية والنسبية وان يحفظها من الأخطار، ويستقيم تفكيره، وتتجذر لديه اغلب التصرفات حتىٰ تصبح كالعادة المغروسة.

ودور الايحاء مهم لديه من اجل انتقال القيم، ولكن بشرط ان تقترن بالمنطق والاستدلال، وهو ليس في وضع يسمح له بقبول اية عقيدة والاستسلام لها من غير تمحيص. فهو لا يمكن النفوذ الى داخله واقناعه بسهولة بهذا الرأي وذاك.

وهنالك مسألة تجدر الاشارة اليها وهي ان معتقداته وأفكاره السابقة ونمط مساره في الحياة، والذي أخذ قالبه فيه وبلور شخصيته في ظل توجيهات الوالدين والمدرسة والزملاء والاقران، وجعله يبدو وكأنه لا امل في اصلاحه أو اعادة صياغته؛ ولكن لا ينبغي عقد الأمل على احتمال اقتناعه بقبول القيم؛ وهذا هو احد الاسباب في عدم نجاح دعوة الانبياء في عصرهم.

◻ عمل المربي فيما يخصّ القيم:

باعتبارنا مربين نصبو من خلال التربية الى نقل القيم والقواعد والاعراف

والآداب المنشودة، والادلة والشواخص الاجتماعية، الى ابناء المجتمع، ونعلمهم نوع القيم المطلوبة؛ فيجب الايحاء اليهم بالقيم الموجودة عن طريق التربية. وهذا هو واجب جميع المربّين والمعلمين. ولكن من الضروري الانتباه الى هذه النقاط في سبيل بلوغ هذا الهدف.

١ ـ **معرفة القيم**: فأول مسألة بالنسبة للمربي في هذا المجال هي ان يعرف القيم بما في ذلك القيم الموجودة وكذلك المطروحة في ديننا، والتي لا يتم التطرق اليها في المجتمع.

فلا شك في وجوب بحث وتقييم الكثير من القيم، وهل أنّها قائمة على أساس موازين الدين الذي نرتضيه أم لا؟ وحينذاك تتجلىٰ تلك القيمة في التربية، وكذلك من الضروري ان نرىٰ ما هي الأمور المطروحة في ديننا مما لا وجود لها في المجتمع ونقلها الى الطفل من خلال توجيهنا له.

كما يجب على المربي معرفة ما اذا كانت القيم عينية أم ذهنية؟ وما هو الخاص منها وما هو غير الخاص، وايها ثابت وايها يتغير، وما هو تسلسل القيم ودرجاتها.

وهل ان القيم الراهنة والسلوك صحيحة ام خاطئة؟ وما هو معيار حسنها وقبحها؟ وهل انها تستند الى العلة ام التجربة؟ أم العلم ام الدين؟

فلا جدال في عدم امكانية اتخاذ القرار بشأن تربية الأفراد بدون معرفة القيم، ولا يمكن اعدادهم للانسجام مع هٰذا العالم المتغير من غير معرفة نوع الشخصية التي نصبو اليها. وما هو الفرد الذي يجب اعداده لهذا العالم الجديد.

٢ ـ معرفة نمط الأفكار:

والمسألة الثانية بهذا الخصوص هي معرفة نمط الأفكار. فنحن نعلم ان الأفكار الملقاة الى الافراد تتفاوت وتتنوع على مدىٰ مراحل الحياة، فالبعض قد تقبل المسائل عن طريق الالحاح والاكراه، والبعض الآخر عن طريق المنطق والاستدلال، وبعض عن طريق العلم والعمل. فلكل من هذه القيم موطأ قدم في نفوسهم.

ان الجيل الصاعد، وابتداءً من الطفل والصبي والشاب، ليسوا في مرحلة من النضج تؤهلهم لاتقان فهم القيم واتخاذ القرار بشأنها فكل واحد منهم يتقبل قيماً معينة وله رأيه الخاص بها. فبعضهم يصبوا الى القيم المطلقة، والآخرُ يؤمن بالقيم المقيدة، أو الثابتة، او المتغيرة،الاقليمية او المحيطية.

وتختلف عاقبة الأمر بالنسبة للحياة التي يرتضونها على مدىٰ مراحلالعمر المختلفة. فالبعض يحبذ نظام التسلط وأعمال العنف، وجماعة تحبذ المنطق والاستدلال. وبعض يفضّل نمط التحلل، فيتقبلون الحياة المطلقة ويعتبرونها ذات قيمة. واحياناً تكون الدنيا بالنسبة لهم ذات طابع مكاني وشخصي ومحلي.

وصفوة القول هي انه لا يمكن تلقين القيم وكيفية نقلها الى جيل الاطفال واليافعين والشباب والكبار ما لم يتم التعرف بدقّة على اساليب التفكير، ولا يمكن الاطمئنان من نجاحنا في أمر التربية من دونه.

٢ ـ معرفة الرغبات والعواطف: فالقيم وكيفية انتقالها أوقبولها يرتبط

بميول وعواطف الانسان،وتتغير بتغيرأيّ منها.

فأنتم تعلمون ان نوع الرغبات والعواطف تختلف لدىٰ الافراد وعلى الاقل على اساس الجنس؛ فهي تختلف بين الذكور والاناث فكل منهم له رغبات وعواطف في مراحل من حياته تتباين مع ما لدىٰ الآخرين.

ولأبنائنا مآرب خاصة بهم في كل مرحلة من العمر؛ فمثلاً منتهىٰ امل الطفل في سن الخامسة هو نيل بعض الحلويات والمرطبات ولا امل لدىٰ الشاب اهم من الحصول على زوجة وبيت. ومطمح الكبار هو بلوغ الدرجة والرتبة والثروة والجاه.

وعلى هذا الأساس، فإن المآرب والعواطف لدىٰ الأفراد تتغير على الدوام. فعواطفهم وتفاعلاتهم غير ثابتة، بل تغدو وتروح من مكان الى آخر كأمواج البحر. والمهم في الموضوع هو معرفة هذه المتغيرات عند الناس، لانها تمثل ارضية الميول عندهم.

فلا شك ان الكثير من اسس الرغبة والعلاقة العاطفية الموجودة في العقائد والتّصورات تتدخل ـ بالنتيجة ـ في القيم، فتقويها أو تضعفها.

فعلى الوالدين معرفة هذه الحالات والكيفيات لدىٰ الاطفال، واخذها بنظر الاعتبار في نقل القيم؛ وحسب المثل العامي: يقيسون الحجم ثم يشرعون بخياطة الملابس المتناسبة مع ذلك المقياس.

٤ ـ معرفة العقيدة الأفضل: ان التربية لا تحصل في الفراغ ولا تقوم على اساس المآرب او الآراء الفردية، فكل شخص يقوم بتربية ابناء المجتمع على اساس دين ومعتقد. فمنذ الخطوات الاولى في هذا المجال

يجب معرفة الدين الذي نرتضيه. فنقوم بتربية ابنائنا على اساس الدين الذي نعتنقه ونجزم بشرعيته.

وعلى هذا الاساس، من الضروري أن نعرف ما هو الاسلام؟ ماذا يقول؟ وما هي القيم التي يدعو اليها؟

ففي رأينا ـ نحن المؤمنين ـ ان الحسن هو ما يعتبره الدين حسناً، وبالعكس. فالقبيح هو ما يقول الدين بقبحه. وعلى هذا، فلا علاقة لنا بما يقوله الناس، لاننا نعترف بأن الله تعالى يعرف صلاح كل امر وقد ابدى رأيه فيه. فالذي يدّعي انه يريد الخير اكثر من الباري تعالى، يقول هراءً. وكذا كل من يدعي بانه اكثر اطلاعاً على اسرارنا وخفايانا وحاجاتنا من الله، فكلامه لغو وباطل.

فيجب فهم القيم عن طريق قوانين الشرع. ويجب ازالة الحجب عن ما يبدو للعيان غامضاً، والسعي لمعرفة المعايير من خلال كشف ومعرفة القيم وادخالها الى حيز التنفيذ.

□ على طريق بناء القيم:

وفي الحقيقة ان هذا يرتبط بكون القيم ايجابية ام سلبية اذ اننا نسلك طرقاً مختلفة لبنائها. ونذكر اولاً ان القيم التي نعتبرها ايجابية هي التي تحظى بالتاييد والثناء. والقيم السلبية هي التي تُجابَه بالذمّ. اما في طريق تكوينها وبنائها فنحاول ابداء التشجيع والاستحسان امام الطفل لكل ما يستحق المدح والثناء او تطبيقها عملياً، وتحفيزه على مراعاتها ودفعه للقيام بالعمل الفلاني. وبالطبع نعمد في الادوار الاولى من الحياة بان نقول:ان اباك يحب

هذا العمل، وان امك ترغب في ان تنجز لها هذا العمل. ويمكن بعدها نسبة هذا الحب الى الله، والقول بأن الله يحب ان تعمل كذا وكذا.

ويُتخذ نفس الاجراء باسلوب الذم بخصوص القيم السلبية التي نستهدف ازالتها. وبالامكان استخدام اسلوب الايحاء بالكلام له ليكفّ عن هذا العمل أو ذاك، كأن نقول له: ان اباك لا يحبّ أن تقوم بكذا وكذا، ثم نستطيع القول في المراحل الاخرىٰ ان الله لا يحب هذا العمل.

ويمكن الاستعانة ببعض الأساليب كالتشجيع والثناء في سبيل بناء القيم، اذ بالامكان تحفيز المرء على اداء العمل المطلوب من خلال كلمة احسنت أو مرحبا، او الاعراض عنه للدلالة على النفور من عمل ما، وإشعاره بأن لا يقوم بهذا العمل.

ويمكن الاستفادة من القصص في هذا السبيل، لان الاطفال يميلون اليها ويرغبون في معرفة النتائج التي تتمخض عنها، اي أننا قادرون على صياغة نتائج القيم الايجابية في قالب قصصي، وابراز قبح القيم السلبية بنفس ذلك الاطار أيضاً.

□ سبل انتقال القيم:

يمكن اتخاذ سبل متعددة ومناهج مختلفة لايصال ونقل القيم الى الجيل الجديد، واهمها:

١ ـ احياء الفطرة:

تشير التعابير القرآنية الى ان المفاهيم الاساسية والمطلقة، حسنها وقبيحها، كامنة في داخل الانسان، وتأتي معه الى الدنيا اثناء الولادة، وان

فطرة الانسان فطرة الهية قائمة على معرفة الله، وبقدر ما نبذل من جهد في ارشاد وتعليم الاشخاص، فاننا نعرفهم بالحقائق والقيم ونزرع بذورها في قلوبهم. فالطفل سريع التعرّف على كل ما هو حقيقي وقيم، ويجب ان يتعلم كل ما يتعارض والقيم عن طريق التعليم والمشاهدة.

فباطن العقل عارف بكل ما ينطوي على الخير والصلاح، بينما يتعلم الفساد تدريجياً، وهو أمين بطبعه، ويتعلّم الخيانة والكذب فيما بعد.

وعلى هذا الاساس، فبالقدر الذي نسيطر فيه على الطفل منذ صغر سنه ـ بحيث لا ندعه يشاهد أو يسمع الا ما هو حسن وصادق ـ فاننا نقوم بعملية نقل القيم الايجابية اليه وترسيخها فيه كذلك.

٢ ـ التعليم المباشر:

حيث نحاول فيه من خلال الامر والنهي والنظرية والبيان ان ننقل القيم الى الاطفال والشبان. وبالطبع فان بلوغ هذا الهدف يحتاج الى توفّر الظروف والامكانيات والاوضاع والمجالات التي لا تتوفر ببساطة.

فمن المعروف ان الانسان يبدي موقفاً معيّناً ازاء كل ما يعرض له، وتزداد امثال هذه المواقف في سنوات معينة من العمر.

الا ان هذا النهج يصبح اقل تاثيراً في مراحل الحياة التالية، اي في مرحلة المراهقة والشباب، وذلك لامتلاكهم لتصورات تحول دون تقبل آراء الآخرين واوامرهم ونواهيهم. فالمراهقون والشباب يمتلكون قوة وقدرة وهم مغرورون بقدرتهم ويريدون ان يروا الى اين ستنتهي بهم ردود الفعل ازاء المواقف المتصلبة.

ومن جانب آخر، فان المراهقين والشباب بل وحتى الكبار يعتبرون امرنا ونهينا المباشر لهم نوعاً من الاستهانة بهم.

فمن الطبيعي ان يبدون ازاءه التصلب والعناد، وهذا ما ينطوي على مضاعفات في الكثير من الحالات، وهذا يعني عدم جدواها؛ بل قد تصحبها اضرار وخيمة ايضاً.

٣ـ التعليم غير المباشر:

ويبدو أنه اسلوب ومنهج جيد لنقل القيم. فالمربّون يستطيعون ان يحققوا طموحاتهم من خلال المباشرة، والحديث، وتوجيه الأبناء لدراسة الكتب والقصص والامثال المفيدة.

ان المربين الاذكياء والفطنين يحاولون توفير الظروف والامكانيات التي تجعل ابناءنا يندفعون تلقائياً نحو قراءة الكتب والمقالات والقصص والأشعار، ويقومون بأنفسهم بتحليل الأمور والاستنتاج. وفي مثل هذه الحالة سيكون تقبل القيم ايسر ويتضاعف اطلاعهم على الحقائق.

ان التعليم غير المباشر مفيد لعدم اصطحابه بالضغط والاكراه كما هو الحال في التعليم المباشر الذي يحتم وقوف الشخص المراد تربيته امام المربي. اذ يبدي الأول مقاومةً وعناداً.

لقد أثبتت الدراسات ان الذين يتعرضون للضغوط في البداية سيتخذون فيما بعد مواقف عدائية ضد المجتمع، ولا يرفضون قيمه فقط، بل وينكرونها ويقفون ضدها ايضاً. فليس هنالك من جاذبة تحفّزهم لتقبل التعاليم والعمل بها. ولو أكرهوا عليها فانهم سيصابون بالاضطرابات

والاختلافات النفسية.

٤ ـ تقديم القدوة الصالحة:

ويعتبر تعليما مباشراً من جانب وغير مباشر من جانب آخر، وهو افضل منهج لنقل القيم وموضع اهتمام من قبل اولياء الدين، فيجب تعلم القيم من خلال العمل كي يتم فهم سبلها وما فيها من السنن، وكذا من أجل التعرف على خصائصها، ومشاهدة جوانبها وأبعادها المختلفة.

وهذا الأمر يمكن القيام به لجميع أدوار العمر سيما وان الأطفال لا يفهمون القيم في بداية الحياة، ومن جانب آخر، فإنّ وضعهم الفكري والعقلي لا يتيح لهم تعلم جميع المسائل دفعة واحدة. فمن خلال تقديم النموذج والقدوة، يتعرف الطفل على القيم تدريجياً، ويترسخ لديه كل ما تعلّمه.

فمن اجل بلوغ هذا الهدف من الضروري توفير الظروف والامكانات بحيث يشاهد الطفل مجموعة كاملة من القيم التي تتجسد في سلوك الوالدين والمربين، فيتعرف الطفل على مفهوم الصدق، والامانة، والتواضع، وحسن السلوك، والتعاون، واعانة الآخرين، والتضحية، والايثار، و... الخ.

ومن الضروري ذكر هذه النقطة وهي ان الاطفال يراقبون اعمال الكبار، فمن خلال مشاهدة سلوكهم يتعلّمون ما يجب ان يعملوه، وما يجب ان يتركوه، فكل عمل يعتبر درساً بالنسبة لهم، فقد يكون درساً ايجابياً وبنّاءً، وقد يكون درساً مدمراً وهدّاماً.

□ مواقف المربين:

ان ما يجب ان يتخذه المربون من مواقف ازاء القيم؛ والأمور والجوانب التي يجب ان ينقلوها الى الطفل بحاجة الى بحث مفصل وشامل. واما ما يمكن طرحه في هذه العجالة فهو ما يجب اتخاذه في المجالات التالية والتي قد تكون ذات آثار ايجابية:

١ ـ في الجانب الثقافي:

ويجب في هذا الجانب الاهتمام بعالم الخلق وقيمته، والتأكيد على حقيقة ان العالم لم يُخلق عبثاً ولا اعتباطاً، مع تبيان أهمية الانسان ومقامه وقيمته ومكانته وشأنه باعتباره جزءاً صغيراً من هذا العالم الكبير، فهم يتصورون احياناً انهم خُلقوا عبثاً، سيما اذا تسرّب اليأس الى نفوسهم لسبب اولآخر. فلا يرون مخرجاً سوىٰ الانتحار.

فمن الضروري ان يفهموا مكانتهم وموقعهم وما هو الموقف الذي يجب عليهم اتخاذه، وما هي موجبات كما لهم، والاهمية التي تحظى بها سمة الكمال، وكيف يستفاد من استعدادهم الفطري وامكاناتهم الذاتية والطبيعية، فيجب ان يعرف هؤلاء هل ان الطفل يولد مفطوراً على الصلاح ام على الخبث؟ وهل يأتي إلى الدنيا بريئاً ام مذنباً؟

انهم بحاجة الى التمسك بهدف معيّن في الحياة مع ضرورة اتضاح الهدف المنشود بالنسبة لهم، ولماذا يجب ان تزول شكوكهم في مجال تحمل المسؤولية. ومن الضروري ايضاً ان يتعرفوا على الهدف الذي

يعملون من أجله؛ وهذا ما يستلزم تحديد قيمة الفن وأطره، وقيمة الاعراف والتقاليد، والعلم والفكر والفلسفة، والامثال والحكم،والاستعارات البلاغية.

ولا بد ايضاً من تبيان قيمة طلب العلم، وهل ان غاية املهم هو الحصول على وثيقة التخرج ام ان هناك امرا آخر؟ وذلك يعني ضرورة اطلاعهم على القيمة التي يهدفون اليها في مجال العلم والسبب الكامن وراء ذلك،وما هي قيمة الوعي في رأيهم، وما هي الفلسفة التي يتوخّونها في هذا المجال، ولماذا؟؟

٢ ـ في الجانب الاجتماعي:

يجب ان يتضح في هذا المجال قيمة وثمن الحياة الاجتماعية، وما مدىٰ العلاقات او الضوابط التي تقوم على اساسها؟ وما هي حدود الاواصر التي تربطهم مع مختلف الشرائح الاجتماعية، ابتداءً من الوالدين والاخوة والاخوات، والاقارب والاصدقاء والمعارف والزملاء، والاخوة في الدين، ومن اتباع الديانات الاخرى، والاصدقاء في البلدان الاجنبية، والاعداء الاجانب، وما هي القيم والحدود المطلوب مراعاتها في هذا المضمار؟

اما في مجال الحياة الاجتماعية فيجب تحديد مفاهيم الصداقة والعداء، والتضحية والجهاد في سبيل الله، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومكافحة الفساد، والتقوىٰ الاجتماعية، وحسن الخلق، وما هي الشروط والضوابط التي يجب ان تقوم على اساسها روابط الصداقة والعداوة، وما هي درجة كل منها استناداً الى كلام الدين؟

كما ان المربي مكلف بأن يوضح قيمة العلاقات العامة والخاصة،

والموقف الذي يجب اتخاذه ازاء كل منها، ما هي حياة الانطواء وما فيها من قيم سلبية؟ وما هي قيمة الحياة الاجتماعية التي يحياها الصالحون والخيرون؟ وما هي قيمتها مع الأشرار والفاسقين؟

فالامور التي ذكرناها هي امور مهمة، ولا بد من نقلها الى الجيل الناشىء.

٣ـفي الجانب الاقتصادي:

يجب ان تتضح قيمة العمل وكيفيته، ومكانه، ومجالاته، وظروفه، ومقداره، وهدفه، ونتيجته.

يجب افهام الطالب سواء كان طفلاً او صبياً او شاباً: ما هو المشروع وما هو غير المشروع؟ يجب ان يعرف القيمة الايجابية والسلبية للمال، وهل ان كسبه غاية ام وسيلة؟ وما هو الهدف من كسبه وفي اي طريق يجب ان يبذل وما هي الضوابط؟ وما هو التوزيع الذي يبني القيم؟ وما نوع الانفاق المشتمل على شيء من القيم والفضائل.

عليكم ان تفكروا بشأن الطعام، وهل ان الغرض منه هو سدّ الجوع ام التقوي على انجاز الاعمال ام التلذذ؟ ما هي قيمة الطعام؟ لماذا يجب تناول الطعام وكيف؟ ما هي الموانع من كونه هدفاً؟ وما هي الفوائد من كونه وسيلة؟ وما هي قيمة الاسراف؟ وماهو الإقتار؟ كيف تتم مراعاة الاعتدال؟ وما هي اهمية مبدأ من أين لك هذا؟ والى اين انت ذاهب به؟ وما هي نظرتنا ازاء الدخل، الكسب، والانفاق والصدقات، والخمس، والزكاة، والإيثار، والعطاء، والهبة و...؟

٤ ـ في الجانب السياسي:

ففي هذا الجانب يجب ان يتجلى موقف المربي بخصوص مسألة الحرية وحدودها وانواعها من ناحية الاطلاق والتقييد، مشروطة او غيرمشروطة، كما يجب ان يتضح استخدام الحرية وتطبيقها ومعرفة الشروط والاسس التي يجب ان تمارس في ظلها.

ومن ناحية القوانين والمقررات فيجب ان تعرف اهميتها وما هو القانون الجيد؟ ولماذا يجب اتباعه؟ وما هو القانون الذي تجب مواجهته، ولماذا؟ ما هي قيمة التحزب؟ وما هو الحزب او الجماعة التي تمتلك القيمة والاعتبار؟ ولماذا؟ اين تكمن قيمة العلاقات الداخلية؟ وما هو شكل العلاقات الخارجية؟ ما هو الموقف الذي يجب ان نتخذه تجاه الاصدقاء الاجانب؟ وما هو الموقف الذي يجب اتخاذه ازاء الاعداء الأجانب؟ ما هي قيمة البشرية؟ ما هي قيمة السلم؟ وما هي قيمةالحرب والجهاد والدفاع؟ ما هي القيمة التي نوليها للجهاد الدفاعي؟ وما هي القيمة التي نوليها لجهاد التحرير؟ ما هو موقفنا ازاء الثورات؟ ما الذي يجب عمله عند تدخل القوىٰ المتجبرة؟ ما هي قيمة الحكومة؟ ما نوع السلطة؟

ما هي قيمة المداراة؟ وما هي مواردها؟ ما هو موقفنا حيال المساومة؟ وما نوعها؟ ومع من؟ وتحت اية ظروف؟

ما هي قيمة العدالة؟وما هي سلبيات الظلم؟ العدالة مع من؟والظلم لمن؟.

٥ ـ في الجانب المعنوي:

يرىٰ ديننا ان الانسان قدمه على الارض ورأسه في السماء، فهو موجود نصفه مادي ونصفه الآخر الهي، وهو ينطوي على نفحة من الباري عزوجل، ونفحة من الأزل نرىٰ آثارها في نزوعه الى البحث عن المطلق، فهو مفطور على معرفة الله ويسعى الى الارتباط به.

فالمهم في التربية هو ان نشخص قيمة الارتباط بالله للاجيال وان نجعل ارتباطهم بالله مباشراً بنحو يعرفون كيف يجب ان يكونوا امامه، وبأية صورة يعرضون عليه شؤونهم ومشكلاتهم .

ومن الضروري بالنسبة لهم معرفة قيمة دينهم وان يفهموا قيمته الاقناعية ويدركوا ثمن المعنويات والعبودية لله تعالى؛ فحياتهم مقرونة بالازمات على الدوام، سواء المفتعلة منها ام العفوية؛وذلك ما يدفعهم الى التوسل جيداً. فعلى الجيل الصاعد ان يفهم قيمة الحق ويدرك النتائج السلبية للباطل، ويعرف قيمة الشرف والعدالة، والامانة،والصدق، ويدرك ثمن التكامل المعنوي ويؤمن به. من الضروري ان يدرك هؤلاء ان الدين ما هو الا ناصر ومعين، ولا مفر لهم من اكتساب القيم المعنوية وغرسها في أنفسهم ، وتكريس جذورها في اعماق قلوبهم ، لانها تنمو وتينع وتمنحهم القيم التي يصبون اليها.

ان افتقاد الحياة للقيم المعنوية يجعل منها كسفينة خالية من ربّانها، لا

سبيل لها للوصول الى ساحل الأمان، فيجب عليهم ان يدركوا هذا الأمر.

ومن الضروري بالنسبة لهم ان يدركوا قيمة العبادة وكيفيتها، ويفهموا لذة الارتباط بالله ومناجاته، ليعوضوا بذلك عما لديهم من نواقص وسلبيات.

□ تحذير للوالدين والمربين:

من الضرورات الاساسية في عمل المربين وجود نوع من التنسيق والتعاون بين جميع القطاعات المهمة بنقل القيم والفضائل إلى الأطفال، وتجنب اي اختلاف وتعارض، وان لا يكرهوا الابناء على الاستسلام الأعمىٰ للآراء والافكار وان يكون تصرفهم منطقياً اذا ما عُرض أي سؤال في أي مجال من المجالات؛ والّا فكل قبول ثم بلا تأمّل ولا روية يكون في مرحلة البلوغ والشباب موضعاً للتساؤل والتشكيك كما يعتبر من الضروري ازالة العقبات عن طرق استجابتهم للقيم المطلوبة، ومراقبة الآراء التي يبديها الآخرون امام الطفل.

كما ومن المتعيّن وضع منهج وقيود بخصوص ارتياد المحافل، وقراءة الصحف والمجالات والكتب والنشرات.

والنقطة الاخيرة والمهمة هي أن يجسّد الوالدان والمربون في شخصياتهم كل القيم الدينية التي يرومون ان يترعرع ابناؤهم وفقاً لها، لأن ما يراه الطفل اكثر تأثيراً مما يسمعه.

مسألة الكذب في الأطفال

مسألة الكذب في الأطفال

المقدمة:

مسألة كذب الأطفال هي واحدة من المسائل التربوية الهامة بالنسبة للاطفال والعوائل. وهي مسألة تعاني منها أغلب العوائل لا في صغر سن الطفل بل في فترة سن التمييز. فاعمال الطفل حتىٰ وان امتزجت بالكذب في الأيام الاولىٰ من حياته فهي محبوبة عند الأبوين، الا ان نفس هذا الجانب سيكون صعباً على الوالدين تقويمه في المستقبل.

ومن الملفت للإنتباه ان أُسس هذه الخصلة القبيحة تترسخ منذ أيام الطفولة. فالاسباب الاجتماعية او حتىٰ الدوافع الغريزية قد تُلجيء الطفل الى الكذب والتحايل، فيقابل من الوالدين بالتشجيع والضحك والاستحسان غير ملتفتين الى ان هذا الموقف هو الذي يؤدي الى تنامي واستفحال مثل هذه العادة المنبوذة، فتنعكس نتائجها الوخيمة على الأبوين والمربّين بالأذىٰ والإرهاق.

نحاول في بحثنا هذا التحدث عن هذه الظاهرة واسبابها ودوافعها وطرق مكافحتها، وتقديم الارشادات اللازمة للوالدين والمربين في هذا المجال. ولكن يبدو من الضروري أوّلاً وقبل كل شيء تبيان الصورة العامة لهذه الظاهرة.

□ تعريف الكذب:

الكذب هو الكلام الذي لا يتطابق مع الحقيقة والواقع، او هو عدم وجود رابطة او علاقة صحيحة بين ما يقوله الشخص وما هو موجود في الواقع الخارجي.

فعمل الكاذب هو تحريف الحقيقة عن وعي والتفوّه بما لا وجود له في العالم الخارجي، وطبعاً لا يصدق هذا على الاطفال في كل الظروف، وذلك لأننا سنرىٰ في ما بعد بأنَّ الكثير من صغار السن او الاطفال المميزين لا يفرّقون أحياناً بين الحقيقة والخيال فيقولون اموراً نعتبرها من وجهةنظرنا كذباً.

غالباً ما يقترن كذب الاطفال المميّزين بوجود الأرضية المناسبة والتدابير المدروسة وتمتاز بوجود الخطط والحسابات التي يستغلها الطفل في سبيل بلوغ الهدف الذي يبتغيه.

□ صور الكذب:

للكذب صور متعددة. فهو احياناً يتخذ طابع تحريف الحقيقة او قلبها في احيان أخرىٰ، ويتفوّه بعض الاطفال باشياء لا وجود لها في الواقع ويتحدثون احياناً عن مسألةٍ لهم يد فيها وكأنهم بعيدون عنها كل البعد.

وقد يكون الكذب ذا طابع اعتباطي في بعض الحالات، صحيح انه يتحدث عن أمر واقع الا انه يبالغ كثيراً في تصويره، وكما يقال انه يصنع من

الحبة قُبّة. وقدتكون القضية على العكس تماماً فيحالات أخرى، كأن يكون قد تسبب في حصول أمر خطير او حادثة كبيرة الا انه يصوّرها وكأنها قضية بمنتهىٰ الصغر والتفاهة وذلك من اجل التخلص من عواقبها او العقوبات المترتّبة عليها.

يقوم الكذب احياناً على اساس بيان قضية ما ،او قد يكون احياناً بصورة الصمت عنها، كأن يدور الحديث بين شخصين عن المواصفات الحميدة التي يمتاز بها الطفل الفلاني وهي غير موجودة فيه حقيقة، فان السكون ازاء امثال هذا الكلام والانصات اليه يُعَد بذاته نوعاًمن الكذب.

□ الغاية من الكذب:

ولكن ما هي الاهداف والغايات التي يتوخّاها الطفل او الشاب او حتّىٰ الكبير من الكذب، يمكن القول بوجود اهداف متعددة ومختلفة فيما يتعلق بالجوانب القائمة على الوعي والادراك.

يهدف الكذب عادة الى تضليل المقابل او تعتيم الأمر عليه لغرض الوصول في ظل ذلك الى الغاية المنشودة. فالكاذب يرمي الى إغفال الآخرين وخداعهم لكي لا يفهموا حقيقة ما يجري وليبقىٰ الطريق مفتوحاً امامه لبلوغ مآربه.

وقد يكون هذا الهدف او الاهداف متعددة ومتنوّعة، من جملتها النجاة من العقوبة، والحصول على المنافع المنشودة وجلب أنظار واهتمام الناس الآخرين الذين لهم دور في حياته وسعادته فقد ينجح الانسان احياناًبواسطة الكذب من خداع شخص قادر على جلب الخير والسعادة له بشكل اوآخر،

ودفعه الى التصديق به ومسايرته نحو تحقيق اهدافه.

◻ الكذب دلالة على ماذا؟

ان الكذب سواء عند الصغير ام عند الكبير ينم عن وجود حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار الداخلي. ويدل على أنّ الشخص يعيش في وضع غير مستقر. وان شخصيّته ومكانته عرضة للخطر ولا منجىً له منه سوىٰ بواسطة الكذب.

فهو قد يشعر احياناً بالضعف او الحقارة، وتظل هذه المعاناة تؤلمه فيضطر الى سلوك هذا الاسلوب أملاً في النجاة ونيل الاستقرار والإتزان ولاجل ايضاح هذه المسألة نشير الى ان الانسان يعيش في عالم معقد يصعب فيه اثبات الوجود وحيازة المكانة اللائقة ، ولا يُتاح فيه للانسان نيل كل ما يبتغي، ولا سبيل امامه لبلوغ اهدافه سوىٰ باحدىٰ الوسيلتين التاليتين وهُما؛أوّلاً الجهد والتعب وتحمل المشاق والآلام، وثانياً: الاساليب غير الشريفة التي تتيح له نيل غاياته بسهولة ولكن بشكل غير مشروع؛ ومن ابرز ادواتها الكذب.

وعلى هذا الاساس فان ضعف الانسان وعجزه عن بلوغ اهدافه هو سبب الكذب، وانه ـ اي الكذب ـ دلالة على الشعور بالضعف.

فمن بلغ الرشد وحاز الكمال وتغلب على مشاعر الضعف والحقارة في نفسه لن يكون بحاجة الى الكذب، بل ان شؤون حياته تسير بأجمعها على وتيرة من الصدق والاستقامة.

□اعراض الكذب على الفرد:

الكذب ظاهرة غير فطرية، لذا فهو بحاجة الى التعلم وخوض التجارب المختلفة. فالطفل لا يتيسّر له الكذب ببساطة؛ لذلك يواجه اثناء الكذب مصاعب متنوّعة يمكن ملاحظة اثارها عليه بكل بساطة، وهي آثار واعراض جمّة يمكن الاشارة الى بعضٍ منها في ما يلي:-

شحوب لون الطفل، وتسارع ضربات قلبه وجفاف فمه حتىٰ يصعب على اللسان الدوران في الفم بسهولة، والتلعثم في الكلام وعدم القدرة على التحدث كالمعتاد، وتضارب اقواله التي تبدو وكأنها بلا رأس ولا اساس والتحدث باضطراب وفقدان القدرة على التحكم بالاعضاء، والنظرات الحائرة مع ظهور آثار الخجل على محياه.

وهذه الاعراض اكثر ما تشاهد ـ طبعاً ـ على الاشخاص الذين بدأوا الكذب حديثاً، ثم تبدأ بالاضمحلال مع تدرجهم في الكذب وكثرة ممارستهم له حتّىٰ يبلغون درجة يكونون قادرين معها على التظاهر بالمظلومية وحتّىٰ البكاء حين الكذب ويظهر نفسه وكأنه على حق مع الادلاء باليمين الكاذبة.

□ الكذب من الوجهة الشرعية والاخلاقية:

نحن نعلم ان جميع المذاهب والأديان اعتبرت الكذب امراً ذميماً. وفي الشريعة الاسلامية صرّحَ القرآن بشدة غضب الله ولعنته على الكاذبين

واشارت الروايات الى عدم امكانية.

تحقيق ايمان العبد الا بترك الكذب، وان المفاسد قد جمعت في خزائن مفتاحها الكذب.

قد يتعرض الإنسان نتيجة لقول الصدق لكثير من المضار، وقد أكّد الاسلام على ضرورة تحمّل تلك الاضرار حفاظاً على قيمة الصدق وابتعاداً عن الدخول في عالم الزيف والتصنّع. وان وردت هنالك حالات تبيح الكذب لمصلحة ما، فيجب ان نعلم أوّلاً ان تلك الموارد لا تحصل على مدىٰ حياة الانسان سوىٰ مرّتين او ثلاث مرّات، وثانياً ان لا تنطوىٰ على قتل نفس او انتهاك عرف او كرامة شخص و... الخ.

مخاطره واضراره:

ينطوي الكذب على مخاطر واضرار كثيرة، يبدو اهمّها من وجهة نظرنا تحويل حياة الإنسان الحقيقية الى أخرىٰ مزيّفة ومتصنّعة. فمن يكذب انّما يسعىٰ في حقيقة الحال الى اخراج نفسه من عالم الواقع وادخالها في عالم الزيف والتمويه، هذا في الحقيقة انتزاع له من صورته الشخصية وتحويله الى مجرد شيء آخر.

الكذب يقضي على الثقة ويجعل الفرد غريباً بين افراد المجتمع، ويزلزل الكيان الاجتماعي ويعيق حركته ويؤدي في بعض الحالات الى التناحر وسوء التفاهم وينشر بين الناس سوء الظن ويخدش الضوابط والركائز الأدبية والأخلاقية ويُنهي قيمة الحياة ويقضي علىٰ لذّتها في ما بين افراد المجتمع.

فالكذب الذي يبدر من الطفل اليوم حتّىٰ وان كان ضئيلاً بل وحتّىٰ محبوباً، الا انه يشتمل في الواقع على خطر فادح الا وهو امكانية تحوّله في ما بعد الى انسان محتال يهدد. بنقل هذا المرض الى ميدان الحياة الاجتماعية حتّىٰ يسري الى جوانب السياسة والاقتصاد في المجتمع ثم يأخذ طريقه بالتسلل الى ثقافة ذلك المجتمع وتقاليده، ويتسع نطاقه حتّىٰ يدخل في الفن والادب والاعلام، وهذاما يؤثر في زعزعة اركان الحياة الاجتماعية.

□ ضرورة معالجته:

اننا نعتبر الكاذب انساناً مريضاً لا قرار له، ولا يثق ببقية الناس. وهو انما يطعن ـ من خلال الكذب ـ بشخصيته وكيان المجتمع، ويجب السعي لانقاذه من هذه الحالة واخراجه منها.

والأمل بالاصلاح موجود وقائم، وكلّما كان اصغر سناً كان الامل بالاصلاح اكبر، وسبب ذلك هو ان هذه الظواهر لم تتجذر بعد في شخصيته ولم تتحول لحد الآن الى عادة متاصلة. ولا زال قلبه وروحه كالعجينة بيد الوالدين والمربّين بامكانهم صياغتها كيف ما شاءوا

اما واجب المربّي فهو العمل علىٰ اصلاح ومعالجة هذا النقص عن طريق التوعية وابداء المحبّة له والرغبة في سعادته، ونصحه وارشاده وخلق الثقة لديه والتأكيد له بالوقوف الى جانبه ومساعدته، وتنبيهه الى مخاطر الكذب حتّىٰ تستقبحه نفسه ويسعىٰ الى النجاة منه.

ولا يجب ان ننسىٰ بان طفل اليوم أب غداً، وما هو الا ذكرىً ومظهر

لوالديه ومربّيه؛ فان فشلنا في اصلاحه فسيكون سبباً لإلحاق الضرر بالمجتمع، والاساءة الى سمعة وكرامة والديه ومربّيه.

□ تعلّم الكذب:

يبدو من الضروري الاشارة الى هذه النقطة وهي ان اكثرية علماء الاخلاق وعلماء النفس يرون ان الكذب ظاهرة لها طابع اجتماعي وتعليمي، وحتّىٰ ان بعض المتخصصين في هذا الحقل اشاروا الى وجود جذور غريزية للكذب اذ تتجلىٰ ابرز صورها لدىٰ الحيوانات عن طريق المخادعة والاستتار، الا ان التجارب اليومية تثبت خلاف ذلك.

اننا نرىٰ ان الطفل يتعلم الكذب من عائلته ومجتمعه والمحيطين به. واصل خلقته مفطورة علىٰ الصدق، والكذب حالة طارئة عليه ومكتسبة من الآخرين. فحين يحاول الكذب في الأيام الأُولىٰ يتعثر في كلامه ويعتريه القلق والاضطراب، الا انه يتحوّل تدريجياً ومن التمرين والممارسة الى شخص محترف يتفنن في اساليب الكذب.

فمن المعروف أن الطفل يمتاز بالنشاط الذهني، وهذا ما نجعله ينجسم ويتفاعل بسرعة مع ما يرىٰ وما يسمع من اكاذيب. وكثيراً ما تؤدي العلاقات الاجتماعية وألوان الكذب وصوره المختلفة التي يراها من هذا وذاك الى اكتسابه لهذه الخصلة واحترافها والتعوّدعليها. وهذا ما يُعتبر بمثابة المؤشر والانذار للوالدين على ضرورة مراقبة اقوالهم وافعالهم، وتحذير الطفل من الاصدقاء الكذابين والمجتمع الموبوء بامثال هذه الخصال الخبيثة.

اسباب الكذب ودوافعه

يدور الحديث في هذا الموضوع حول الاسباب التي تدفع الفرد الى الكذب، ولماذا يكذب الصغير او حتّىٰ الكبير. تتحدث التحقيقات العلمية والتجارب اليومية عن وجود اسباب وعوامل شتّىٰ لا يتيسر البحث فيها جميعاً او الاحاطة بجميع جوانبها.

الا انه يمكن طرح جملة من النقاط التي تُعتبر بمثابة الخطوط العريضة وبالشكل التالي:

الخوف والحسد والانتقام والحقد وحب الاستطلاع والتخيّل والانانية والميول الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمباهاة والغرور والخجل، والضعف والعجز، والشعور بالحقارة والرغبة في استعطاف الآخرين وجلب انظارهم، والمبالغة، وسعة الآمال و... الخ. وسنقوم في ما يلي بشرح عدد منها:

١ ـ **الخوف من العقوبة:** وهو من الدوافع التي تضطر الطفل بل وحتّىٰ الكبير الى الكذب خوفاً من العقوبة ، وان هو صدق في قوله فلن يأمن المجازاة مما اقترف. فالطفل الذي كسر اناءً، او اصطدمت قدمه اثناء السير بمزهرية فسقطت وانكسرت، أو أخذ نقوداً من مكان ما واشترى بها بعض المأكولات، او انشغل باللعب ولم يؤدِّ ما عليه من تكاليف او غير ذلك من

الافعال، يضطر الى الكـذب للـتملّص مـن العـقوبة والإفـلات مـن قـبضة المجازاة.

فيلقي تبعة كسر الإناء مثلاً على عاتق شخص آخر، ويبرر عـدم ادائـه لواجباته بعدم وجود المصباح او باعتلال صحته ومجيء اصدقائه لعيادته، او مرض احد اصدقائه وانشغاله بزيارته. وتذكر التحقيقات العلمية ان ٧٠٪ من اكاذيب الاطفال تعود لهذا السبب؛ ولو انكم وعدتموه بعدم العـقوبة لقال لكم الحقيقة.

٢ـ **كثرة الضُغوط**: قد يلجأ الطفل الى الكذب في بعض الموارد حينما يشعر أنّ الصدق يجلب عليه الضغوط من الوالدين والمربّين؛ ويحصل ذلك حينما يعمد الطفل الى إخفاء امر كان قد ارتكبه عن انظار والديـه، الا أنّ اسئلتهم الكثيرة واصرارهـم عـلى تـقصّي حـقيقة الأمـر يـزيد مـن عـناده واصراره على الكذب.

فمن الواضح انه يتمسك بالدفاع والإنكار حفاظاً على شخصيته، فيرفض الإجابة على الاسئلة التي توجّه اليه ويتصدىٰ للضغوط التي تمارس ضده للتفوّه بالحقيقة معتبراً كل ذلك إهانة له وانتقاصاً من شخصيته. فالضرورة التربوية تقتضي بأن يكتفي الوالدان بإشعار الطفل بأنّهما قد علما بـحقيقة الامر، ولا داعي للاكثار من الضغوط والاسئلة لتقصّي دقائق الامور.

٣ـ **الضعف والعجز**: يلاحظ في بعض الأحيان أن الأبـوين والمـربّين يفرضون على الطفل تكاليف شاقّة فوق مستوىٰ طاقته، فيضطر حينها الى

اختلاق الاعذار والاكاذيب كأن يدّعي عدم وجود الوقت الكافي لديه او انه لا يجيد انجاز هذا العمل، اويتمارض ويتظاهر بالعجز وامثال ذلك من الذرائع.

وقد ينعكس هذا الضعف في بعض الموارد لاجل التغطية على ضعفه امام الآخرين فيتظاهر بالقدرة على فعل ما يفوق طاقته وهذا هو نفس الوضع بالنسبة لبكاء صغار السن فهم يبكون من اجل نيل مطلب يعجزون عن نيله بالكلام وبمجرد الحصول على مبتغاه ترتسم على شفتيه ابتسامة الرضا والارتياح .

٤ ـ **الحسد والتنافس:** تنشأ بعض اكاذيب الاطفال من الحسد والتنافس . فهو يرىٰ مثلاً ان اخاه او اخته الاصغر لهما القدرة على لفت انظار الأب والام من خلال حلاوة اللسان وانهما قد نالا منهما المحبّة والاهتمام فيحاول الحصول على موطىء قدم له عند الوالدين عن طريق منافسة اخوانه؛ وهذه المنافسة لا منشأ لها في حقيقة الحال سوى الحسد، فاذا لم تكن لديه المواصفات الكافية في العمل، او فشل في مجاراة اقرانه في المنافسة فسيجد نفسه حينذاك مضطرّاً لانتهاج مسلك الكذب والتصنّع. وقد يعمد احياناً الى ايذاء أخيه الاصغر الى حد دفعه الى البكاء ثم ينكر في ما بعد اية علاقة له بالموضوع.

٥ ـ **لفت الانظار:** حينما يجلس الأب والأم بين مجموعة من الاصدقاء والاقارب وينشغلون بالاحاديث والمناقشات يشعر الطفل بأنّه وجود منسي

ولا حساب له في مثل هذه الأجواء، ويتصور ان لا مكانه له ولا وجود يستحق الاعتبار بين هذه الجماعة، فيبادر الى الحديث عن مسألة لا وجود لها في الواقع ويضفي عليها الواناً براقة من التهويل والتعظيم من اجل جلب انتباهكم ولفت انظاركم نحوه.

٦ ـ **حيازة المنفعة:** نعلن للطفل احياناً باننا سنشتري له الشيء الفلاني الذي يحبّه كثيراً اذا ما حاز المرتبة الاولى في امتحانات الفصل الثاني، وامتحانات نهاية العام الدراسي، او فيما اذا حصل على درجة عالية في الدرس الفلاني، فلنتصور الحال لو انّه فشل في حيازة المرتبة الاولى، وكان شديد التعلق بالشيء الفلاني الذي وعدناه بشرائه؛ فمن الطبيعي ان يضطر الى انتهاج الاساليب غير القويمة، كالكذب مثلاً، من اجل الحصول على غايته. اونلاحظ الشخص الكبير انه مستعد للقسم على انه اشترىٰ هذه السلوة بالثمن الفلاني ولا يجني من بيعها الآن سوىٰ ربح يسير، وذلك كله من اجل صيانة منفعته الشخصية.

٧ ـ **الغرور والمباهاة:** تُظهر بعض التحقيقات بأن اكثر من ١٥٪ من انواع الكذب منشؤها المباهاة وصيانة الغرور. فيتحدث الشخص كذباً امام الآخرين عن شخصيته والمنزلة الاجتماعية لعائلته، وما تحظىٰ به من الأهمية ، وذلك من اجل ان لا يستهين به الآخرون، اويستقلوا شأنه، فيقول ان اباه يحتل منصباً رفيعاً، وفي دارنا ٩٠٠ غرفة، وانني حزت على المرتبة الاولى في النجاح في مدرستي... هادفاً من كل ذلك الى تثبيت مكانته والاستحواذ

على اهتمام الآخرين واشباع اهوائه النفسية.

٨ ـ **التستّر على الخطأ:** الطفل مجبول ـ كالآخرين ـ على حب ذاته، فهو يحب ذاته ويعتزّ بشخصيته. وحينما يقع في أي خطأ او منزلق يشعر بانه سيتعرّض للمهانة الاجتماعية بسبب الطعن والتوبيخ الذي سيلقاه على ايدي الآخرين. فيبادر الى معالجة الموقف بالكذب في سبيل التغطية على خطئه. ولأجل الافلات مما قد يتعرض له من استهزاء واحتقار، يصبح مستعداً للادلاء باقوال تتنافىٰ مع الواقع. ولو انه كان يعلم بأنَّ خطأه سيغفر له من قبل المجتمع لما اضطر الى الكذب.

٩ ـ **الآمال والأماني:** وقد تعكس اكاذيب الطفل احياناً ما يدور في مخيّلته من آمال وأمنيات. (مثلاً) فهو يتمنىٰ القدرة على القفز من فوق النهر الفلاني واجتيازه، فيطرح هذه الفكرة امام الآخرين وكأنها قد تحققت فعلاً على ارض الواقع، وهو يتمنىٰ ايضاً ايجاد آصرة من الصداقة والانس فيما بينه وبين معلّمه، فهو يتحدث عن هذه الأمنية احياناً وكأنها واقع قائم.

نلاحظ الاطفال يتحدثون في بعض الأوقات كذباً عن امور لم يقوموا بها وعن اشياء ومواقف من الشجاعة يأملون في مخيّلتهم ـ تحقيقها او بلوغها. انهم يطمحون لنيل أمنيات لا يتحقق لهم نيلها حالياً، ويرغبون في بلوغ درجة من الاستعداد واللياقة لا تتوفّر فيهم حالياً.

١٠ ـ **الانتقام:** ويمثل الكذب في بعض المواقف نوعاً من الانتقام ايضاً، كأن يضع أبويه في موقف حرج جزاءً لهما على ايذائهما له ورغبة في

الانتقام منهما وحرق قلبيهما كما احرقا قلبه. فالطفل يدرك انّ كذبه يثير الاضطراب لدىٰ أبويه. او قد يحاول القيام بما يسيء الى كرامة ابويه لأنهما انتقصا من كرامته امام صديقه، وكثيراً ما يتجلىٰ مثل هذا السلوك عند الاطفال الذين يفتقدون المقوّمات النفسية السليمة ويشعرون غالباً بالمظلومية والضعة والحقارة. وهم يَعُدّون هذا الاسلوب كوسيلة للدفاع عن أنفسهم.

١١ ـ **الالعاب الصبيانية**: يميل الطفل بطبيعته الى اللعب والى اللهو بكل ما يجد فيه متعة ولهواً، وقد يعمد احياناً الى الكذب في سبيل ان يتلّهىٰ ويُلهي معه الآخرين، فيرعب الآخرين ـ على سبيل المثال ـ بالاحاديث المخيفة والاخبار الكاذبة كأن يخبرهم بان شرارة قد انقدحت في كهرباء المطبخ فيسارع الأب المسكين الى اقتلاع المفتاح الرئيس للكهرباء، ويتجه للبحث عن موضع الإتّصال الكهربائي والطفل يركض وراءه متظاهراً وكأن الحق معه وان الخبر الذي اورده لا غبار عليه، وهو يضحك في اعماقه على هذا الموقف الذي افتعله، فهو يحب إفتعال المواقف مع الآخرين كما يحب اثارة الضجيج والاضطراب في اللعب ويشغل الآخرين.

١٢ ـ **التخيّلات الصبيانية**: من المسائل المهمّة والنقاط الاساسية في علم نفس الطفل بأنه لا يفرق كثيراً في بعض الحالات بين الواقع والخيال فما اكثر المسائل التي يتخيّلها في ذهنه ثم يطرحها في ما بعد على اساس انّها حقيقة فيتصوّر في ذهنه مثلاً ان القطة قد دخلت المطبخ وأكلت اللحم. في

أي الى امّه حالاً ويخبرها بذلك فتسارع الام الى المطبخ فلا ترىٰ ما يؤيد ذلك.

تلاحظ هذه الظاهرة بكثرة عند الاطفال الذين لا يتجاوزون سن الخامسة. وكثيراً ما يثير هذا التصرف اسهزاء الوالدين وغضبهما ويدفعهما الى إتّهامه بالكذب، بينما يقتضي واقع الحال تعليمه وتوعيته. فمثل هذا الكذب لا يمثّل كذباً في الحقيقة، بل هو نوع من التصور والخيال، او قد يكون إنعكاساً لحكاية قصّتها عليه امّه بالامس او حلماً رآه في الليلة البارحة لا سيما وانه عاجز عن التفريق بين الواقع والخيال وعاجز عن بيان معنىٰ كل منهما.

١٣ ـ **الجهل بالشؤون التربوية**: اثبتت الدراسات بان الوالدين اللذين يجعلان اجواء البيت مليئة بالصدق والمحبّة، ويرعيان الضوابط الاخلاقية في المنزل وينتبهان الى جميع تصرّفاتهم واقوالهم، سوف ينشأ اطفالهم على الصدق والاخلاص. ولكن مما يؤسف له ان بعض الآباء والامّهات يفتقدون لهذا الوعي او الانتباه اللازم، ويتصرفون بلا وعي او ادراك. فالأم على سبيل المثال تفعل شيئاً امام طفلها وتقول له اذا سألك أبوك عن هذا فلا تقل له شيئاً، فمثل هذا الموقف يعد بحد ذاته درساً في الكذب او حينما يكثر الطفل من الالحاح على امّه بطلب نوع الطعام تقول له لقد انتهىٰ ولا يوجد منه شيئاً حالياً، فهذا يُعتبر ايضاً درساً في الكذب واسلوباً فجاً في تربية الاطفال.

١٤ـ **الأسوة السيّئة**: تعتبر أُذن الطفل وعينه نوافذ يطل منها على العالم المحيط به فهو ينظر الى ما تفعلون ويسمع لما تقولون. فمن المؤكّد انكم تنصحون اطفالكم دوماً بصدق القول إلا ان عملكم قد يكون خلافاً لذلك، فهو يراكم تقولون للآخرين اثناء وجوده في البيت بأنّه غير موجود، ويتعلم منكم اعطاء المواعيد وعدم الوفاء بها، ويتعلم منكم حينما يطلب منكم جاركم شيئاً تقولون له ليس لدينا، وهو لديكم. ولاتنسوا ان الطفل يتعلم منكم كل ما يراه منكم من افعال واقوال، ويمارس اليوم اوغداً ما تعلمه منكم في علاقاته الاجتماعية. فكل تصرفاتكم اليومية درس يأخذه الطفل عنكم وينتقل اليه منكم.

١٥ـ **التشجيع في غير موضعه**: نلاحظ ان بعض صغار السن يردد بعض الأكاذيب التي سمعها من الآخرين، ويقولها امام ابويه بلسانه المحبوب وكلامه الجميل فيلقىٰ التشجيع منهما من غير ان يلتفتا الى عواقب مثل هذا الموقف غير الصحيح. ويشعر الطفل بدوره بالارتياح لمثل هذا التشجيع لأنّه جاهل بكل هذه المسائل، ويواصل انتهاج نفس السلوك في الأيّام اللاحقة، بل ويعمد الى اكاذيب اكبر لأجل الحصول على مزيد من التشجيع والمحبّة حتّىٰ يتعوّد على هذه الخصلة تدريجياً.

١٦ـ **اختبار الوالدين**: قد يبادر الطفل في بعض المواقف الى الكذب لأجل اختبار أبيه اوامّه والاطلاع على موقفهما من الأمر الفلاني. فنحن نعلم ان اطفالنا لا يعرفون الكثير من اسرار هذا العالم وما يدور فيه، ويجهلون

الكثير مما يجري حولهم بسبب صغر سنّهم وقلّة تجربتهم وعدم معرفتهم بالمواقف الصحيحة التي يجب عليهم اتّخاذها في مختلف الظروف، فيبادرون الى اختلاق اكذوبة يُتاح لهم من خلالها معرفة رأي الوالدين في هذا الموضوع او ذاك، فإن كان الرد من الوالدين سلبياً قالوا؛ انما نحن نمزح وانها مجرّد اكذوبة، وأمّا اذا كان ايجابياً واصلوا انتهاج نفس الاسلوب. وعلىٰ هذا فان هذا النوع من الكذب انما هو لمجرد الاختبار ليس إلّا.

وهنالك عوامل ودوافع أخرىٰ في هذا الصدد الا اننا نمتنع عن الاشارة اليها تجنّباً للاطالة.

□ إمكانية معالجة ظاهرة الكذب:

ولكن هل من المتيسّر اصلاح ومعالجة الطفل الذي اعتاد على الكذب أم لا؟ يمكن الاجابة على هذا السؤال بالايجاب. فالطفل في مرحلة بداية الحياة، ويمكن ايجاد اي نوع من التغيير والتحول فيه. انه قابل للمطاوعة اكثر من اي مرحلة أخرى في عمره، لا سيما اذا نشأ في أجواء تمتزج فيها العاطفة بالانضباط والالتزام، وتتوفر فيها القدرة على تربيته تربية سليمة.

ولا بد هنا من التنويه الى وجوب بقاء فطرة الطفل على صفائها ونقاوتها من غير ان تسري اليها امثال هذه المفاسد. وضرورة الاسراع الى تطهيره من أي رذيلة قد يبتلي بها نتيجة للاهمال وسوء التربية. فالتحقيقات العلمية تشير الى ان الاستعداد التربوي لدىٰ الانسان يتناسب عكسياً مع تقدّمه في السن، فكلّما تقدّم في السن تناقصت الامكانية بالقدرة علىٰ إصلاحه.

ومن جهة أخرىٰ لم تكن قد ترسّخت في اعماق الشخص الكثير من الصفات والطبائع ولم تصبح عادات متاصلة فيه، اذ من الواضح ان الانسان اذا اعتاد على صفة او خصلة وذاق لذة الذنب فلن يكون من البساطة تركها او التخلّي عنها.

□ اساليب العلاج:

يمكن اتخاذ بعض الاجراءات والاستفادة من بعض الفنون في اصلاح ومعالجة الطفل او الشخص المبتلى بمثل هذه العادة القبيحة. ومن الطبيعي لو اننا استطعنا إقناع الطفل بضرورة اصلاح ما لديه من اخطاء فستكون امكانية نجاحنا في هذه المهمة التربوية اكثر وافضل.

اما الطرق والاساليب الواجب اتّباعها في هذا الصدد فهي كما يلي:

١ـ **معرفة الاسباب:** وهو عامل ينبغي الاهتمام به والتركيز عليه، لا في جانب العلاج النفسي فحسب، بل في جميع انواع العلاج الجسدي ايضاً. اذ ينبغي لنا ان نعرف أولاً: لماذا يكذب الطفل؟ وما هي العوامل التي تدفعه نحو الكذب؟ وما الهدف الذي يبتغيه من وراء ذلك؟ الا انه من الطبيعي جداً ان توجد الكثير من الموارد والحالات التي يستعصي فيها فهم الاسباب والدوافع، ولايتيسّر لكل شخص سبر اغوار الطفل والاطلاع على خفاياه الدفينة وانتزاع الاسباب التي تدفعه نحو الكذب. وليس معنىٰ ذلك انه سرمقفل لا يمكن بلوغه مطلقاً، لا سيما لدىٰ صغار السن الذين لا زالت فطرتهم نقية.

ان الاكاذيب الساذجة المنبثقة من التضخيم والتهويل الذي يبديه

الاطفال، يمكن اكتشافها بكل بساطة، ولكنه حينما يكذب في قضية كبيرة تتضمن مسألة هامّة، فذلك يستوجب التأمل والدقّة.

٢ ـ **التوعية**: وبعد معرفة السبب او الأسباب لا بد من اتاحة الفرصة للتوعية وطرح المعلومات الضرورية، كأن ينبّه الطفل، اذا كذب بسبب الخلط بين الحقيقة والخيال، الى ماهية الحقيقة والفارق بينها وبين الخيال، وتوعيته الى انه قد أخطأ في تبيان هذه القضية.

اما الطفل الذي بلغ مرحلة التميز فمن الضروري ان ينبّه الى ان الكلام الذي تفوّه به غير صحيح ولا يحظى بقبول الأب او الأم او الآخرين، وقد يترتب على مثل هذا الكلام مخاطر في يومٍ ما، او قد يفضي الى انتهاك الكرامة و..

٣ ـ **توفير الاجواء السليمة**: لا شك ان الاجواء التي يسودها الاخلاص والصدق، والاجواء التي لا يلجأ فيها الأب او الأم الى ممارسة انواع الحيلة والمكر والكذب والخداع في حياتهم اليومية تؤثر كثيراً في اصلاح الأبناء ويعود السبب في ذلك كما ذكرنا سابقاً الى ان الكذب عند الاطفال ناتج من سوء التربية ومن النماذج الخاطئة التي يصادفها في حياته اليومية .

وهذا ما يفرض علينا تنقية اجواء البيت والمدرسة من مظاهر الحيلة والرياء، وابعاد الطفل عن الاصدقاء الكذّابين وحتّىٰ أولئك الذين يكذبون مزاحاً، لان الطفل سريع التأثر بما يلقىٰ في حياته اليومية، ومن صفاته سرعة التأثر والتقليد.

٤ ـ **مراعاة العدالة**: وهي نقطة جوهرية يتحسسها الطفل حين مشاهدته

لوالديه وهما يخرقان هذا المبدأ. فهو يرىٰ لو ان الاناء سقط من يد احدهما وانكسر لا يتعرض للمؤاخذة والاستجواب، لكن هذا الموقف لو حدث معه شخصياً لتعرّض من جرّائه للاهانة والتوبيخ.

فحينما يشاهد الطفل الجور من والديه في امثال هذه المواقف يضطر الى الكذب حفاظاً على شخصيته التي يرغب في صيانتها من الإذلال والهوان.

فلو ان الوالدين تصرّفا مع انفسهما كما يتصرّفان معه لما برز مثل هذا الوضع، ولما وجد الطفل نفسه مضطرّاً للكذب.

٥ ـ **العفو والتسامح**: صحيح ان تربية الاطفال تستوجب وجود مجموعة من الضوابط، الا ان ذلك لا يعني التدقيق في كل شيء، فهنالك فرق بين البيت والثكنة العسكرية، فاذا وجد الاطفال انفسهم في حلقة ضيّقة من الحصار فسيلجأون الى الكذب.

فاذا ما شئنا حثَّ الطفل على قول الصدق ،فلا بد لنا من التسامح معه في بعض الموارد والاخطاء التي قد نرتكبها نحن ايضاً. فان اصطدم بالمزهرية سهواً وسقطت وانكسرت، يمكن التغاضي عنه، الا اذا كان هذا العمل قد تكرر منه مرات متعددة من بعد التنبيه والتذكير. ومن الواضح ان طبيعة الحياة تفرض عليه إخفاء بعض الامور التي يتسبب كشفها في خجله واحراجه، على شريطه ان تكون اموراً جزئية وغير مخالفة للشرع والاخلاق.

٦ ـ **اختصار الطموحات**: لو اننا عقدنا الأمل على صلاح ابنائنا وحسن سلوكهم، فذلك لا يُعدُّ خروجاً عن اطار الطموحات المشروعة والمنطقية،

الا ان الجانب الذي يجب مراعاته هو ان تقتصر طموحاتنا في حدود ما يتمتّعون به من قدرات وقابليّات، كأن نطلب اليه القيام بالاعمال التي نتقاعس نحن او نعجز عن القيام بها.

يتوقع بعض الآباء والامّهات عدم صدور اي خطأ من طفلهما ويريدان له ان يظل في حياته بريئاً كالمعصوم، وامر كهذا لا يمكن تحققه، وكل ما يمكن انجازه في هذا المضمار هو تقليل نسبة اخطائه عن طريق ما يبذل من جهد ومتابعة وارشاد. وان بدا منه خطأ او زلل، فالأحرى بكم ان تبدو له الصفح والتسامح، كما تخطأون انتم ويصفح عنكم الرب الكريم؛ فمن الصغار الزلل والتقصير، ومن الكبار العفو والتسامح.

٧ ـ **الأمان من العقوبة**: يجب ان يشعر ابناؤنا في البيت بالأمن والاستقرار. ويطمئنون الى ان اخطاءهم اللاإرادية أو غير العمدية تُغتفر لهم. ولا عقوبة ولا توبيخ الا عند ارتكاب الاخطاء المتعمّدة، اما اذا صدق في كلامه، فالأولىٰ ان نخفف عنه العقوبة حتّىٰ في الاخطاء المتعمّدة.

ومن الضروري ان يتّضح للطفل ان أبويه لا يتبّعان عثرته ولا يقصدان مكاشفته بكل صغيرة وكبيرة. بل ان مبدأ الحياة قائم على التفاهم والمحبّة وحسن الظن وطيب النيّة. وما العقوبة الا للحالات التي يتعمد فيها الاساءة، ففي مثل هذه الحالة لا بدّ من معاقبته.

٨ ـ **النصح والارشاد**: وهذا ايضاً له دور لا يُستهان به في اصلاح السلوك وتقويم الاعوجاج بل انّ دوره مصيري وفعّال ، فلا ينبغي التساهل فيهاو اهماله. وما اكثر الاشخاص الذين استقامت حياتهم بالنصح والارشاد

وكانت نتيجته ان سلكوا طريق الصواب في الحياة.

فاذا كان هذا العمل مؤثّراً في الكبار فهو اكثر تاثيراً في الصغار، وسبب ذلك هو عدم ابتعادهم كثيراً عن الفطرة؛ فلا زالت نفوسهم زكية وضمائرهم طاهرة. وتذكيرهم بمفاهيم الصفاء والطهارة، والعدالة والطهارة، والنقاء والاخلاص يؤثر كثيراً في نفوسهم. ولا بأس بالاشارة الى التصرفات الخاطئة التي يرتكبها الآخرون، فنقول ان التصرّف الفلاني غير صحيح، وينطوي على اضرار بالغة، ويثير سخط الله ، ويؤدي بالانسان الى دخول جهنم، فهذا يُعتبر من الوعظ غير المباشر وله تاثير ايضاً في صدّه عن التمادي في ارتكاب مثل هذه الاخطاء.

٩ ـ ابداء المحبّة: يجب أن نُبدي لاطفالنا من المحبة والحنان ما يجعلهم يشعرون بطعمها ودفئها. فالطفل يجب ان يشعر بأنه وجود محبوب في البيت ، واذا حدث وان اغلظ له الابوان بالقول او العقوبة فهو ايضاً من باب المحبّة.

فوجود الحنان يجعل الطفل في غِنىً عن التصنّع والتظاهر، ولا يشعر بالحاجة الى جلب انظار الآخرين بواسطة الاكاذيب والمبالغة والتهويل، لأن هذا يثير حنق الوالدين وسخط الخالق. فبالمحبّة ينعقد ما كان قد انفصم، وتزاح الكدورة من القلوب، وبوجودها يسهل التفاهم بين الولد ووالديه، ويندفع الى التحرّك في نفس المسار الذي يرسمه له الوالدان، وهذاما يستلزم طبعاً التغاضي عن اخطائه في بعض المواضع والصفح عنه حتّى في بعض الموارد التي تستحق العقوبة.

١٠ ـ**الإنذار**: من جملة الامور المتعارفة في التربية هو السعي الحثيث من قبل الوالدين لإفهام الطفل بعدم صحّة الطريق الذي يسير فيه، والعواقب السلبية المترتبة عليه، ولا شك في ان مثل هذا الاسلوب ومثل هذا المنطق غير مفهوم، بل وغيرنافذ عند جميع الاطفال.

فالاسلوب المتّبع مع الاطفال في دون سن السابعة اذا ماارتكبوا خطأً هو أن نقول لهم بأنَّ هذا التصرّف غير صحيح ولا يرتضيه ابواك، ونحن لا نريد في بيتنا اطفالاً كذّابين، ولا نحب الشخص الكاذب، ولا بد ان يعرف الطفل مسبقاً ما هي المنفعة التي يجنيها من محبة ورضا الوالدين، وما هي الاضرار المترتبة على عدم رضاهما. امّا في السنوات اللاحقة فيمكننا ان نقول له بانّ الله لا يرضىٰ عن مثل هذا العمل، والعمل الذي لا يرتضيه الله تتبعه عقوبات شديدة من قبيل جهنّم والعذاب بالنار والحرمان من النعم والملذّات.

١١ ـ**اظهار السخط**: وفي ميسور الاب او الأم ايضاً الايحاء الى الطفل بعدم رضاهما عنه سواء كان ذلك تصريحاً ام تلميحاً، وانهما لا يُحبّان ان يسمعا منه اي كلام كاذب، وانهما يشعران بشديد الاستياء نتيجة لتلك الكذبة المفضوحة التي تحدّث بها امام ذلك الجمع من الحاضرين.

وبإمكان الوالدين في بعض المواقف الاكتفاء بمجرّد التعبير بالملامح الظاهرية عن غضبهم لهذا الكلام الذي اساء الى كرامتهم امام الآخرين . وينبغي ايضاً تهويل المسألة في نظره حتّىٰ لا يتكرر منه مثل هذا الموقف ولا تراوده فكرة الكذب مرّة أخرىٰ.

١٢ ـ**التثبيط**: اما في الحالات التي يتكرر فيها الكذب من الطفل فلا بد

من مواجهته وبشكل متّزن بالتثبيط والردع. كأن نواجهه مثلاً اثناء إدلائه بالاحاديث الكاذبة بوجه عبوس وملامح دالّة على عدم التصديق، وألا نقف ازاء أكاذيبه موقف المتفرّج الذي لا يُبالي بما يسمع، بل نتدخل ونقطع عليه حديثه ونغيّر مسار الحديث ليفهم بانه لم يفلح في مقصده، وان نفهمه من خلال تجاهلنا لكلامه بان حديثه تافه لا وزن له وغير جدير بالاسماع اليه، ليخجل من فعلته ولا يعاود تكرارها.

١٣ ـ **التوبيخ**: وفي المواقف الاكثر حدّة لا بد من اتّخاذ مواقف اكثر صرامة. فبعد الاطلاع على اكاذيبه لا بد من مكاشفته بها وتنبيهه الى اننا على علم بما يقول من اكاذيب، فالمسألة التي نقلها لم تكن بتلك الصورة وإنما بشكل آخر، فلا يتصور انه قادر على خداعنا.

ولا داعي للتذكير مَرّة أخرىٰ بان مثل هذا الارشاد والنصح والمكاشفة يجب ان لا تتم على مرأى ومسمع الآخرين، فيشعر من جرّاء ذلك بالفشل والاحباط، لأن الطفل عندما يجد نفساً مفضوحاً امام الآخرين، يدخل في بعض المطبّات الخطرة، حتّىٰ يصبح كذاباً محترفاً.

١٤ ـ **التهديد والعقوبة**: واخيراً اذا لم تُجْدِ ايٌّ من الاساليب المشار اليها سابقاً ولم تحقق ما يرتجى، فان الواجب يحتّم علينا اتّباع اساليب التهديد والعقوبة لردعه عن الكذب، وهو ليس بالاسلوب العملي الناجح والمطلوب، وان استخدامنا لاسلوب العقوبة يدل على ان عملنا التربوي قد جاء بعد فوات الأوان.

ومع هذا فان المواقف اللاحقة تفرض علينا امتلاك امكانات اخرىٰ وهي

ان نلوّح بنفس العقوبة لا ميزانها، ومن الضروري ايضاً عدم حصول العقوبة بحضور الآخرين وان لا تتسم بالخشونة و.. الخ. وهو موضوع موسّع ويستحق ان يبحث في فصل مستقل.

توجيهات على طريق اصلاح خصلة الكذب:

نلفت في هذا الفصل انظار الوالدين والمربين المحترمين الى عدد من المسائل التربوية التي تشكل ـ من جهة ـ الركيزة التي يقوم عليها الفكر التربوي، وتدعم من جهة أخرىٰ اصلاح الطبائع والخصال الاخلاقية.

١ ـ **ضرورة بثّ الوعي**: إننا نرىٰ أن أحد اوجه واسباب الخطأ والكذب تكمن في عدم وجود الوعي الكافي عند ذلك الشخص، فهو لا يفهم القيمة الحقيقية لوجوده ولا قيمة الحقيقة والأخلاق. وهذا مانلاحظه حتّى بين الكبار ايضاً.

وهذا يفرض علينا إتاحة الفرص التربوية امامه لاصلاح ذاته والحصول على الوعي الكافي بشأن الوجود وما يتّسم به من أهمية. وان شأن الانسان اجل واكبر من ان ينزله الى حضيض الكذب؛ وان كان قد استطاع خداع الآخرين عن طريق الكذب فأنه لم يحقق بذلك لنفسه شخصيتها وكرامتها، وان تحقق له شيء من ذلك فهو للكذب لا له شخصياً، ولا يحصل هو على شيء وانّما يعود صفر اليدين.

٢ ـ **نيل المحبّة الحقيقيّة**: يجب ان يدرك الطفل، بل وحتّىٰ الكبير، بان المحبوبية بين الآخرين لا تنال بالكذب والزيف، بل يحصل عليها الانسان في ظل الصدق والاخلاص، وليعلم ان العقوبة مع قول الصدق خيرٌ له من

الكذابون كانت فيه النجاة.

ومن الضروري هنا التميز بين المحبوبية الحقيقية والمحبوبية المزّيفة الكاذبة، والتأكيد على ان الاولى راسخة والثانية متزعزعة. ويمكن توضيح مثل هذه المسألة حتى للطفل وهي لو انه كذب اليوم ونال غايته، فما الذي سيفعله غداً؟ واذا سرق اليوم نقوداً واشترىٰ بها المرطّبات مثلاً وانكر السرقة، فمن اين سيأتي بالنقود غداً لشراء المرطّبات مَرّة أخرىٰ؟ وإن تحايل اليوم في نيل عطف ابيه او امه وحصل على امنيته، فما سيفعل مرّة أخرىٰ لنيل أمانية الأخرى؟ فهل سيُتاح له الكذب في كل الظروف؟

٣ ـ **منحه قدراً من الحريّة:** لا شك اننا نعتقد كما يعتقد بقية المربّين بضرورة وجود حجاب وستر وقدر من الحياء بين الأبوين والابناء لكي يستثمر عند الضرورة في الاهداف التربوية.

فلا يحق للطفل التصرف امام انظارهما كما يحلو له او ان يقول ويفعل ما يشاء، ولا يعني هذا عدم السماح له بالتعبير عمّا يختلج في نفسه امام ابويه.

فالكثير من اطفالنا يكذبون بسبب عدم إتاحتنا الفرصة لهم بالتحدث بصدق وصراحة. فلو اننا اوضحنا لهم بان لهم كامل الحرية في طرح ما يدور في اذهانهم بلا اي خوف او وَجَل وعليهم ان يخبرونا بجميع احتياجاتهم لانحلّت مشكلة الكذب عندهم ولما بقيت لها أية ضرورة. نعم ان الاجواء المبنيّة على الصدق والثقة وبعيداً عن الخداع لها دور فاعل في اصلاح الافراد وهو وضع من الضروري ان يعتاد عليه اطفالنا منذ البداية.

٤ ـ **ادراك دور الطفولة:** تتّسم فترة الطفولة بالتغيير والتبدّل ومن

خصائصها انعدام الثبات والاستقرار، فلا يمكن الوثوق بجانب من جوانبها او بعد من ابعادها، فهي تتحوّل في كل لحظة الى حال ووضع جديد.

فنرى الطفل مسروراً في حين وكئيباً في حين آخر، يعبّر عن حاجته المبرمة الى أمرٍ ما في بعض الأحين ويشير الى تعلقه الشديد به روحياً وقلبياً، بينما نراه مستقلاً في اوقاتٍ أخرىٰ مستشعراً الاستغناء عن كل شيء وكل احد.

وعلى هذا الاساس، لو صدرت من طفلكم أيّة اكذوبة فلا تظنوا ان الدنيا قد انهارت، وانه قد سقط في بؤرة الانحطاط والرذيلة.

فهو سرعان ما يتحول الى حال أخرى بمجرّد التحدّث معه وملاطفته فينقلب فجأة الى ملاك طاهر والى شخص طاهر ينبض قلبه بالطيب والنقاء. ولا نقصد من كلامنا هذا ان نتجاهل كذب الاطفال، بل يجب الاهتمام به بما يتناسب وحجم الكذب وظروف الطفل واوضاعه.

٥ ـ فسح المجال امام نشاطاته: يعيش بعض الاطفال في بيوتهم كالخدم، ليس لهم الحريّة في فعل اي شيء وينحصر نشاطهم في إطار القرارات والتعليمات التي يضعها الوالدان ويشرفان على تنفيذها بالدقّة. ومن الطبيعي ان الابناء بحاجة الى ميدان عمل اوسع وحريّة اكثر وان لم تتوفر لهم مثل هذه الأجواء فإنّهم مضطرون الى اختراق تلك القيود والانطلاق منها الى ميادين اوسع، ولو انّهم تعرّضوا من بعد ذلك لأي استجواب أو سؤال فلا يجدون امامهم مناصاً سوىٰ الكذب كوسيلة للنجاة من العقوبات المترتبة على استهانتهم بتلك القوانين.

ان احد الأبعاد التي تتطلبها التربية هي فسح المجال امام الطفل للنشاط والتحرّك ، ليختبر قدراته وامكاناته ويكتشف ما لديه من مواهب وطاقات حتى تُخلق لديه الثقة الكاملة بنفسه ولا يشعر بعدها بالحاجة الى الكذب كوسيلة لإثبات ذاته. من المؤكد وجوب استحصال الابناء على موافقة الوالدين للقيام ببعض الاعمال، الا ان هذه الرؤية يجب ان لا تنسحب على جميع التصرفات والامور بصغيرها وكبيرها. لأنّه قد يرى في بعض المواقف ان فرصة العمل قدحانت وان الوقت لا يسمح بالانتظار حتّىٰ حصول الإذن منكم، لذلك يجد نفسه مضطراً لإغتنام الفرصة حينها، ومن ثم البحث بعد ذلك عن اكاذيب يبرر بها امامكم موقفه حين الاستجواب.

٦ ـ **خلق الثقة بكم:** علينا ان لا ننسىٰ بأننا نُعتبر كأمناء على اسرار الأبناء ووجود هذا الموقع يفرض علينا احترام آرائهم واقوالهم واعمالهم وكتمان اسرارهم، وهذا الفعل جدير بخلق الثقة بنا لكي نكون ملاذاً يلجأ الينا عند الشدائد والازمات، يطرح علينا مشاكله مباشرة من غير حاجة الى الكذب والتحايل. ووجود مثل هذه الثقة يشجّع الطفل على طرح شؤونه ومسائله على ابويه بشكل جدّي وصريح. فاذا ما تعرّض لإساءة من قبل الآخرين يأتي لابويه ويعرضها عليهما مباشرة ويخبرهم بكل ما جرىٰ بشكل صريح. فكثير من الاطفال يتعرّضون للاساءة من قبل الآخرين، بل ويقعون ضحيّة لاطماعهم واهوائهم، الا انهم لا يجرأون على اطلاعكم على مجريات الامور خوفاً من البطش والعقوبة، وبسبب انعدام الثقة بكم ، ولن يُتاح لكم الاطلاع على مجريات الامور الا بعد فوات الأوان.

٧ـ **تجنّب التشهير:** يتردد الطفل احياناً في اطلاع ابويه على الحقائق انطلاقاً من عدم ثقته بهما، ولشعوره بأنهما لا يحفظان له سرّاً فبمجّرد ما ن يعلموا له سراً، يبادرون الى اذاعته ونقله الى هذا وذاك،فيكون ذلك سبباً في الانتقاص من شخصيته.

فلا يفوتنا ان للطفل ايضاً شخصية يعتز بها، ويعتد بمكانته في أيّة مرحلة من مراحل حياته. وهذا هو الحاجز الذي يمنعه من مصارحتكم بالحقائق، فلا يجد مناصاً من عرضها عليكم بشكل مقلوب.

واذا شعر الطفل يوماً بان كرامته قد هدرت وان ماءوجهه قد أُريق، سيتحول الى شخص خطير لا يمكن التعايش معه، ولا سيما بعد ان تطبع على الكذب واثارة الفتن، ولا بد من التأمل في كل تصرف او كلام يصدر عنه.

٨ـ **تبيان العواقب والمخاطر:** لا يمتلك الطفل التجربة الحياتية الكفيلة بإرادته المستقبل، وليس لديه التجربة الكافية ليتعرّف من خلالها عواقب الامور والنتائج الوضعية الوخيمة المترتبة على الكذب. وهنا يتوجّب على الوالدين والمربّي ارشاده وهدايته عن طريق ذكر القصص المتعلّقة بالكذب والمصير المهلك الذي يؤول اليه الكذّابون.

ويبدو من المناسب ايضاً حثّه على قراءة مثل هذه القصص شخصياً. وذكر امثال هذه الحكايات مفيد لهم قبل الدخول في المرحلة التي يبدأون فيها بالكذب وبالشكل الذي يثير فيه الخوف من مسألة الكذب ويجعله على حذر شديد من ان يكذب.

٩ ـ توعيته بمكانته وقيمته: وعلى الوالدين والمربين توعية الطفل الى ان قيمته واحترامه مرتبطة الى حدٍ بعيد بمدىٰ صدقه وصراحته، واذاما سوّلت له نفسه الحياد عن المسار القويم للصدق فلن يتلقى منهم ومن المجتمع أيَّ احترام اوتقدير واذا لاحظ بأنّهم يولونه الثقة ويثقون بكلامه فذلك منبثق من ظنّهم بأنه صادق ولو اتّضح عكس ذلك لسلبت منه كل تلك الثقة.

لا بد ان يتحلّىٰ الطفل بدرجة من الوعي بحيث يؤثر قول الصدق على الكذب حتّىٰ وان كان في الصدق ضرر عليه. وانه لو اساء فبامكانه الاعتذار عن اساءته، اما الكذب فلا عذر معه ولا تسامح فيه.

١٠ ـ الاستعداد لقبوله: وعلى الوالدين والمربين ان يثبتوا للطفل عملياً استعدادهم لقبوله وتقبل اخطائه ايضاً. وانهم لا يتضايقون من سماع كلامه، ولا يستكثرون عليه احترام مشاعره وعواطفه. ولا يستخدمون الخشونة في الرد على اخطائه ولا يستهينون بكرامته امام الآخرين. ان وجود مثل هذه الاجواء وسيادة مثل هذا التعامل يسلب من الطفل الدوافع التي تضطره للكذب ويضعه على الطريق القويم.

١١ ـ المثل الصالح في الوالدين: من الطبيعي ان الوالدين يعتبران المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل. فان كذب الأبوين أخذ عنهما الكذب وان كان لهما اي موقف سلبي تجاه أية مسألة من المسائل فان الطفل يواصل انتهاج نفس ذلك الموقف. ولا تتصوروا ابداً ان الطفل لا يفهم المواقف التي تجري امامه، قد يبدو في الظاهر هادئاً ازاء تصرّفاتكم

لكنّه في حقيقة الحال يتعلمها منكم ويمارسها بنفس الصورة حينما تُتاح له الظروف ان العمل الخاطئ الذي تمارسونه يفسح امامه السبيل ويمهّد له الطريق للخطأ ويرصد امامه سبل الصدق والصراحة. وفي مثل هذه الحالة ستكونون انتم المسؤولون عن العواقب السلبية لسوء تربية ابنائكم.

ان التزامكم الاخلاقي والايماني وتمسككم بالاخلاص في القول والعمل يُعتبر درساً قيّماً يأخذه عنكم الاطفال وسيكون عاملاً مؤثراً في استنقاذه من أمثال هذه البلايا.

١٢ ـ **التخلّي عن العناد:** انتم تعلمون ان الطفل قد يعمد أحياناً الى تناول طعام منع عليه تناوله، والبقع الموجودة على ثيابه ورائحة فمه تثبت انه قام بهذا العمل، الا انه ينكر ان يكون قد فعل ذلك وانَّ إصراركم على استحصال الاعتراف منه سيزيد من عناده واصراره على الانكار. ولهذا عليكم عدم التمادي في الاصرار اكثر من ذلك؛ لأن هذا الموقف يخجله لانّه يتّسم بالحساسية المفرطة.

وفي حالة اصراره على الانكار، عليكم ان لا تحاولوا وصفه بصفة الكذب. فالوضع يقتضي حالياً تجاهل القضية، وبعد ذلك تنبيهه الى خطئه في وقت لاحق.

من هم الأكثر كذباً؟

تظهر التحقيقات ان الكذب اكثر انتشاراً بين الفئات التالية:

١ ـ الاشخاص الذين يمتازون بالضعف وحدّة المزاج وسرعة الإثارة او المصابين بالهوس والاهواء غير المتّزنة.

٢ ـ الاشخاص الذين يفتقدون الشجاعة والرزانة الكافية وتستحوذ عليهم هواجس الجبن والتردد.

٣ ـ عند الاشخاص الاكثر ميلاً لاجتذاب انظار ومحبّة الآخرين.

٤ ـ اولئك الذين تستحوذ عليهم دوافع الحاجة ويصعب عليهم بلوغ الهدف.

٥ ـ الذين تُفرض عليهم تكاليف شاقّة تفوق طاقاتهم.

٦ ـ ضعاف الايمان والذين يخضعون لسلطان الآخرين وضغوطهم.

٧ ـ الذين عاشوا الحرمان والفوضىٰ في عهد طفولتهم ولم يحظوا بالعطف والرعاية الكافية.

٨ ـ واخيراً الافراد الذين لم يلقوا نصيبهم من التربية.

توجيهات للوالدين والمربّين:

إنَّ اتّباع بعض طرق الاصلاح للقضاء على ظاهرة الكذب عند الاطفال، اما ان تكون قليلة التاثير او ان تكون عديمة التأثير بالمرّة؛ بل وقد تتولد عنها في بعض الحالات نتائج سلبية وآثار معكوسة وخاصّة من أمثال الاساليب التالية:

١ ـ كثرة اللوم والتوبيخ.

٢ ـ القسوة والعقوبة الشديدة الى درجة الايذاء

٣ ـ اتّهامه بالكذب ونعته بهذه الصفة والانتقاص منه امام الآخرين.

٤ ـ عدم بذل الحنان والمحبّة له، وكذلك سلب الثقة منه.

٥ ـ ايكال الطفل الى نفسه على أمل ان يُحقق لنفسه الاصلاح الذاتي تلقائياً.

وعلى كل حال من الضروري تقصي اسباب ومكامن معاناته ومعالجتها جذرياً، وبناء علاقتنا معه على التفاهيم وحسن النيّة، وفي جميع الأحوال فهو ابنكم، وشأنه شأن اعواد المنبر، فهي لا يمكن حرقها ولا يمكن رميها بعيداً والتخلّص منها، بل تجب معالجته واصلاح ما به من خلل.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**





مكتبة فخراوي: البحرين ـ المنامة

ت : ٢٣٢٨٤٩ ـ ٢٧٧٦٤٤

ص. ب. : ١٦٤٣

فاكس : ٥٥٢١٨٢